الشريف الدكتور
أحمد حسن محمد حسين
لواء أركان حرب بالمعاش

العقيدة العسكرية الإسلامية
دراسة.. ومنهج.. ومقارنة

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ . [يونس : ٧ – ١٠]

« صدق الله العظيم »

المقـــــدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله علمنا كيف نخلص العبادة لله وأرشدنا إلى كلمة التقوى – ﷺ – وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

بالرغم من اجتهاد كثير من المفكرين العسكريين على مر العصور والأزمان من أجل وضع مضبطة شبه متكاملة لقوانين الحرب إلا أن هذه القوانين لم تشمل كافة النواحى المادية والفكرية والروحية ، كما أن هؤلاء المفكرين لم يعطوا العقيدة العسكرية حقها من الدراسة والجهد والفكر الذى تستحقه ، بل إن مفاهيم هؤلاء المفكرين اختلفت فى تحديد تعريف واضح ودقيق للعقيدة العسكرية للدولة ومكانتها وعلاقتها بالغايات والأهداف القومية والسياسة العسكرية للدولة ، وكذلك علاقتها بالاستراتيجية (الشاملة والعسكرية) مما نتج عنه عدة تعريفات اختلفت فى مفهومها ومضمونها بين دول الشرق ودول الغرب .

فمنهم من عرف العقيدة العسكرية بالسياسة العسكرية أى أنها مرادف لها ومنهم من أسماها بالمذهب العسكرى ، وذهب آخرون إلى اعتبارها نظرية عسكرية أو مرادفا للاستراتيجية ومبادىء الحرب أو عقيدة استخدام سلاح أو قوة معينة ، مما أظهر خلطا واضحًا بين مفهوم العقيدة العسكرية وكل من مفهوم السياسة العسكرية ، النظرية العسكرية ، الاستراتيجية ومبادئ الحرب مما أدى إلى انحراف العقيدة العسكرية عن طريقها السوى إلى طريق آخر غير الطريق الذى شرعه الله لها فكانت عقائد غير صحيحة لا تحق الحق وتنصره ولا ترد الباطل وتدحره .

إن كلمة عقيدة تمثل لدى المسلمين وأهل الكتب السماوية الحقة اتصالا

محكما بالدين وإن العقيدة العسكرية وبالأخص لدى المسلمين لا تكون عقيدة حقة إلا إذا نبعت وارتبطت بالعقيدة الإسلامية ، كما أن الجيش المسلم لا يمكن أن يحارب من أجل أهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية لا تنبع من العقيدة الإسلامية . وبالرغم من ذلك كله نجد أن كثيرا من الدول العربية والإسلامية بعد أن اتصلت بدول الشرق ودول الغرب أصبحت عقيدتهم العسكرية فى قسم من بلادهم شرقية وفى قسم آخر غربية وجمع قسم ثالث بين العقيدتين فى مزيج غير متناسق وغير واضح المعالم وبعيدا عن العقيدة العسكرية الحقة (العقيدة العسكرية الإسلامية) مما أدى إلى تمزق وضعف الأمة الإسلامية الأمر الذى جعلها معرضة للخطر الواسع الزاحف ولعل الأحداث المتلاحقة والدماء المتدفقة والأشلاء المتناثرة ابتداء من الفلبين إلى بورما أو الهند أو كشمير إلى الصومال مروراً بزلزال الخليج إلى أفغانستان إلى البوسنة والهرسك ومن قبلها فلسطين خير دليل على صحة ما نقول .

كما نرى أن الأمة العربية يعتريها مشاكل عديدة تتطور بسرعة إلى وضع يصبح فيه التعايش فى ظل مجتمع منظم أمرا بالغ الصعوبة وتزداد المشاكل تعقيداً بالاقتتال بين الدول المتجاورة إما لاختلاف على الحدود التى صنعها الاستعمار أو طمعا فى ثروات بعض الدول الغنية أو رغبة فى التوسع للسيطرة أو التسلط ، هذا علاوة على تهديد القوى الكبرى وإسرائيل التى تخطط وتسعى لفرض هيمنتها على الأمة العربية ونهب ثرواتها والسيطرة على مقدراتها والاستيلاء على خيراتها ولانتهاك حرماتها ومقدساتها وهدم عقيدتها وشرائعها .

ولعل ما نراه هذه الأيام من تصرفات وتعنت حكومة الليكود الإسرائيلية (برئاسة نتانياهو) من محاولات التنصل من اتفاقات حكومة إسرائيل السابقة مع السلطة الوطنية الفلسطينية ، واستئناف بناء المستوطنات اليهودية على الأرض العربية وخاصة فى مدينة القدس العربية ومحاولة تهويدها وتغيير معالمها - نقول لعل كل هذه المؤشرات وتهديد حكام إسرائيل باستخدام الأسلحة النووية التى تمتلكها شاهد صدق على حجم التحديات الخطيرة التى تواجه الأمة العربية .

وفى هذا السياق لابد أن نقرر بأن أمتنا العربية تمر بمرحلة من التمزق والضعف والوهن لم يشهد له التاريخ العربى الإسلامى مثيلا من قبل ٠ الأمر الذى يتطلب ضرورة سرعة العودة إلى عقيدتنا العسكرية الحقة (الإسلامية) المغيبة ، وأقصد بذلك العقيدة العسكرية النابعة من الكتاب والسنة حتى تكون منبعا لإرادة القتال للقوى البشرية العسكرية وموجها للسياسة العسكرية إلى مسارها الصحيح لنصرة الحق ورد المعتدى ٠

والهدف من هذه الدراسة التى يتضمنها هذا الكتاب الآتى :

– البحث عن عقيدة عسكرية حقة قادرة باعتناقها وتطبيقها على إعادة الحق العربى كاملا غير منقوص وإعادة العزة والكرامة إلى الأمة العربية ٠

– توفير مرجع موحد ودقيق للعقيدة العسكرية الحقة يتضمن أساسيات هذه العقيدة من ناحية المفهوم والجوهر والمشتملات ٠

ولذا فسوف يعتمد البحث فى العقيدة العسكرية الإسلامية على المصادر الرئيسية للشريعة الإسلامية (القرآن والسنة النبوية الشريفة أساساً) باعتبارها المثل الحى للعقيدة العسكرية الحقة ٠

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى : أن وجود عقيدة عسكرية حقة يتم غرسها فى نفوس القوى البشرية وتطبيقها تطبيقا سليما (نصاً وروحاً) تكون منبعا لإرادة القتال لهذه القوى إذا أحسن غرسها فى نفوسها وتكون الشعلة التى تضىء قلب المقاتل بنور الإيمان بالقضية التى يقاتل من أجلها بحيث تشكل فى نفسه قوة ذاتية تحركه وتدفعه إلى الفدائية فى القتال ، عقيدة عسكرية مرتكزة على مقومات فكرية وروحية ومادية تكون السبيل الصحيح للتصدى للعدوان والنصر على الأعداء والزود عن الحرمات والمقدسات للأمة العربية بإذن الله ٠

ومع ندرة المراجع التى تتناول العقيدة العسكرية الإسلامية وافتقار كثير من القوى البشرية العسكرية العربية إلى البيانات والمعلومات عن هذه العقيدة ٠

وجدت من جانبى كرجل عسكرى مسلم أن أقدم هذا الجهد المتواضع الذى يتمثل فى هذه الدراسة لأبناء الأمة العربية والإسلامية مساهمة فى إعادة

بناء قوتها العسكرية التى قوامها فى المقام الأول العقيدة العسكرية حتى تستعيد مكانتها وهيبتها على خريطة العالم .

وقد اعتمدت فى دراستى على المصادر الرئيسية للشريعة الإسلامية (القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة والإجماع) والدروس المستفادة من تاريخ الصراع بين الأمم عبر العصور متوكلا على الله ومتبعا للمنهجين التاريخى والوصفى فى البحث ومستندا على خبرتى العسكرية من خلال معايشتى للحياة العسكرية أكثر من ثلاثين عاما اشتركت فيها فى كثير من الحروب التى خاضتها مصر دفاعا عن الحق العربى واستردادا للأرض العربية كان آخرها حرب العاشر من رمضان / السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م متدرجا فى المناصب القيادية بسلاحى قريبا من صانعى القرار على المستويات المختلفة والمدعمة بأعلى مراتب التأهيل العلمى والعسكرى (دكتوراة فى فلسفة العلوم العسكرية) ومن نشأتى الدينية والحمد لله .

وقد تم تناول الدراسة فى ستة فصول بخلاف المقدمة والخاتمة كالآتى :

١ – فى الفصل الأول : تم استعراض مفهوم العقيدة العسكرية الإسلامية وأهميتها للأمة الإسلامية وكذلك جوهرها ومصادرها .

٢ – فى الفصل الثانى : تم تناول الجهاد فى سبيل الله ، الغاية منه وأطواره وفضل الجهاد للمجاهدين وعاقبة ترك الجهاد .

٣ – فى الفصل الثالث : تم تناول توجيهات القتال فى الإسلام متناولا العناصر الآتية :

(أ) التوجيهات الأساسية للقتال .

(ب) توجيهات إدارة القتال .

(جـ) اقتتال المؤمنين وحكم الله فى البغاة .

٤ – فى الفصل الرابع : تم دراسة آداب الحرب فى الإسلام مع إبراز وصايا رسول الله ﷺ والصحابة الكرام وتوضيح الأعمال المنهى عنها وكذلك كيفية معاملة الأسرى فى الإسلام .

٥ – فى الفصل الخامس : تم بحث إعداد قوة الدولة للجهاد موضحا جوهر الإعداد وتفصيلات إعداد القوة البشرية العسكرية ، كما تم توضيح كيفية إعداد المقاتل .

٦ – فى الفصل السادس : تم إجراء مقارنة بين العقيدة العسكرية الإسلامية والعقائد العسكرية لدول العالم (فى الشرق والغرب) موضحا العقيدة العسكرية لكل من دول الشرق (الاتحاد السوفييتى القديم) (الاتحاد الروسى الجديد) ، وكذلك العقيدة العسكرية لدول الغرب متمثلة فى العقيدة العسكرية للولايات المتحدة مع استعراض العقيدة العسكرية لدولة إسرائيل وعلى ضوء إبراز سمات العقيدة العسكرية الإسلامية ، ثم إجراء دراسة مقارنة لإبراز العقيدة العسكرية الحقة .

وجاءت الخاتمة مشتملة النتائج واستخلاصات الدراسة ، كما اشتملت على التوصيات .

وتسهيلا للباحث والقارئ خاصة القارئ غير المتخصص ، ألحقنا بالكتاب دليلا للمصطلحات السياسية والعسكرية التى تم تداولها فى العصر الإسلامى وفى العصر الحديث والمتداولة حتى هذه الأيام ، وبما يغطى غالبية الكلمات والمصطلحات الواردة فى هذه الدراسة التى احتواها هذا الكتاب .

وفقنا الله جميعا إلى ما فيه خير أمتنا الإسلامية ، وأدعوه سبحانه وتعالى أن ينبت من هذه الدراسة ثمرة يستفيد منها كل من يطلع عليها .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

الفصل الأول

العقيدة العسكرية الإسلامية
(الأهمية والجوهر والمصادر)

- تمهيد .
- المبحث الأول : أهمية العقيدة العسكرية للأمة الإسلامية .
- المبحث الثانى : جوهر العقيدة العسكرية الإسلامية .
- المبحث الثالث : مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية .

الفصل الأول

العقيدة العسكرية الإسلامية

(المفهوم والأهمية والجوهر)

● **تمهيد :**

لم تترك الشريعة الإسلامية أى جانب من الجوانب العملية للحرب بغير أن تضع له قانونا محكما ، فقد منعت جميع الأساليب الحربية الوحشية التى راجت فى العالم . ووضعت قوانين متحضرة جديدة للقتال وبكل ما يتعلق بالحرب متمشيا مع التطور والرقى الزمنى ومراعيا لحقوق الإنسان وبهذا وضعت أصولاً جديدة تتميز بقدرتها على التطور بحيث يمكن استخراج أحكام فرعية وجزئية منها طبقا لمستلزمات كل زمان وكل مكان . هذا بالإضافة إلى أن النبى ﷺ وصحابته قد تركوا ميراثا عمليا يوضح تماما روح الشريعة ، وحين نستعرض هذه الروح يمكننا أن نتعرف على الأسلوب الذى يتبعه الإسلام مع كل ظرف من الظروف .

والعقيدة العسكرية الإسلامية هى : الإيمان بقيم سامية (أحكام تكليفية ملزمة) تنبع من العقيدة الإسلامية لا تقبل الشك فيها لدى معتقدها ، جازما بصحتها ، قاطعا بوجودها وثبوتها تمثل (هذه القيم) منبعا لإرادة القتال ، لذا فهى الشعلة التى تضيئ قلب المقاتل بنور الإيمان بالقضية التى يقاتل من أجلها والتى تشكل فى نفسه قوة ذاتية تحركه إلى الفدائية فى القتال إلى درجة استرخاص النفس فى سبيل تلك القضية ، وهى تتضمن قواعد إرساء نظريات العلم العسكرى وعلوم فن الحرب وإعداد الدولة للجهاد فى زمن السلم وزمن الحرب ، وهى توجه السياسة العسكرية لتحقيق الغاية من القتال وأهدافه بما تحتويه من آداب للحرب وبما تتضمنه من توجيهات للقتال .

وللعقيدة العسكرية أهمية كبيرة للأمة الإسلامية ، فهى تشتمل على قيم سامية تمثل الغاية الدائمة والأهداف الثابتة من وراء استخدام القوة المسلحة (الغاية من القتال فى الإسلام وأهدافه) كما تمثل كيفية إعداد الدولة للجهاد وطرق إدارة الصراع المسلح ، إذا أن القتال مفروض بحكم الشرع كما تمثل الأحكام الشرعية الواردة فى شأن توجيهات القتال ومنهجا واضحا متكاملا يحدد آداب الحرب بحيث لا يبدأ الصراع المسلح كما كان فى بعض المجتمعات القديمة مجرد استخدام القوة فى تدمير العدو ولكن يبدأ فى صورة واجب وفريضة دينية غايتها الجهاد فى سبيل الله لجعل كلمة الله هى العليا وأهدافها دفع الفساد ونصرة الحق وإعلائه بما يجعل استخدام القوة لأغراض إنسانية نبيلة مقيدا فى ممارستها بأخلاق إنسانية سواء فى بداية القتال أو أثنائه أو بعد انتهائه ، فكل هذه المراحل تتميز فى الإسلام بقواعدها الأساسية الواضحة وهذه القواعد تعد أحكاما شرعية تجمع كل القيم السامية فى عقيدة عسكرية إسلامية (شعارها النصر أو الشهادة) ، والشورى فى القيادة أساس اتخاذ القرار على كافة المستويات ٠

وقبل أن نسترسل فى استعراض مضمون هذه العقيدة العسكرية ، سوف نلقى الضوء فى هذا الفصل على أهمية العقيدة العسكرية للأمة الإسلامية مع توضيح جوهر العقيدة ومصادرها ، ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث كالآتى :

المبحث الأول : أهمية العقيدة العسكرية للأمة الإسلامية ٠

المبحث الثانى : جوهر العقيدة العسكرية ٠

المبحث الثالث : مصادر العقيدة الإسلامية ٠

* * *

المبحث الأول

أهمية العقيدة العسكرية للأمة الإسلامية

حتى يمكن توضيح أهمية العقيدة العسكرية للأمة الإسلامية سوف نبرز أهمية القوى البشرية العسكرية وتأثيرها فى تحقيق الغاية والأهداف من القتال وحاجة هذه القوى البشرية للعقيدة العسكرية .. ثم نتناول أهمية هذه العقيدة للأمة الإسلامية .. وبالتالى تتضح أهمية العقيدة العسكرية للأمة الإسلامية .

أولا – أهمية القوة البشرية العسكرية :

القوة البشرية العسكرية عنصر هام من عناصر القوة العسكرية فالإنسان هو أهم أدوات القتال فى جميع العصور والأزمان حتى فى عصرنا هذا الذى تحكمه سيطرة التكنولوجيا وتسيطر عليه الأفكار العسكرية النووية ، فإن القوة البشرية العسكرية (مجموع الأشخاص الممكن إخضاعهم للخدمة العسكرية فى الدولة) لها خصائص تجعل مساهمتها فى الصراع المسلح شيئا فريدا لا يمكن استبدالها بشيء آخر ، ومن هذه الخصائص الآتى :

١ – القوة البشرية العسكرية هى صانعة القرار :

برغم التقدم فى معالجة البيانات والذكاء الصناعى (وهو مصطلح لنسق علمى جديد يعنى بكيفية برمجة الحاسبات ليؤدى أعمالا تشبه ما يؤديه الذكاء البشرى مثال فهم اللغات الطبيعية والتخطيط واتخاذ القرارات والتعرف على البيئة المحيطة وهذه الأعمال تحكى بعضا من القدرات الفعلية للإنسان) [١] .

فإن التفاعل الاستراتيجى ينبئ بانه سيظل على نطاق كبير عملية تجريبية

---

(١) عبد الرازق رجب : تطور أبحاث الذكاء الصناعى ، عملية التكنولوجيا والتسليح ، المجلد الرابع – العدد الثانى ، أبريل ١٩٨٩ ، ص ١٣ .

تتطلب استجابة الإنسان للاشياء غير المتوقعة والتى لا يمكن التنبؤ بها والتى لازالت الآلات غير قادرة على استنتاجها أو التصرف حيالها فإن اتخاذ القرارات سيظل أهم وظيفة يقوم بها العنصر البشرى .

٢ - القوة البشرية هى التى تدير المعدات :

برغم انتشار الأفكار المشابهة لتصويرات باك روجرز (Buk Rogers) لمعركة حربية يتم كل شيء فيها بصورة تلقائية وتمتلىء بأعداد كبيرة من الأسلحة التي يتم التحكم فيها من بُعد إلا أن الفترة اللازمة لكى ترى مثل هذه الإنجازات النور يحتمل أن تكون بطيئة وتحتاج وقتا طويلا ، وهكذا فإن الإنسان والآلة سيظلان شريكين لا يمكن الفصل بينهما فى المستقبل الذى يمكننا تخيله (١) .

٣ - القوة البشرية تحتل الأرض وتسيطر عليها وتحمى الحدود :

وهذا أمر استراتيجى حتمى يبدو أنه مقدر له أن يظل إلى الأبد منوطا بالإنسان .

٤ - القوة البشرية تنتقل من مكان لآخر :

قدرة القادة والضباط على تحقيق الاتصال الشخصى والتواجد فى أماكن الأحداث لتعويض النقص فى الاتصالات الإشارية وتكنولوجيا السيطرة .

٥ - القوة البشرية تستهلك الموارد :

حيث إن القوة البشرية كائن حى فإنها تستهلك طاقة ولذلك فإنها تستهلك الموارد التى لابد من تعويضها مثل الطعام والمال والذخيرة والمسكن ووسائل النقل حتى تظل حيوية وفعالة . وهكذا تنشأ علاقة اعتماد على هذه الموارد ويؤثر نوع هذه العلاقة تأثيرا فعالا على الأهداف التى يحددها النظام لنفسه وكذلك على الأسلوب الذى يحاول النظام تحقيق تلك الأهداف عن طريقه ولذلك فإن هذا الأمر يكون عادة هو أهم معوقات التفاعل الاستراتيجى .

---

(1) Gregory D . Fosteretal , The strategic Dimension of Military Man Power, Center for Strategic and International studies U . S . A. , 1987 . P . 14 .

٦ - القوة البشرية هى أعلى صور الالتزام القومى :

ربما كانت هذه أهم نقطة فإن القوة البشرية هى أعلى صورة من صور الالتزام القومى . وهذا هو البعد الاجتماعى للاستراتيجية والذى كثيرا ما يهمل والذى علق عليه المؤرخ البريطانى ميكائيل هوارد (Micheel Howard) أهمية كبيرة [١] . وهذا يشير إلى امتلاك القوة البشرية لروح معنوية كبيرة وتأثير العامل الإنسانى فى الاستراتيجية .

لهذه الخصائص السابق ذكرها للقوة البشرية ، مكان فريد ، وتعطى المبرر العام لإدخالها فى أى تخطيط استراتيجى .

ثانيا - حاجة القوة البشرية إلى العقيدة :

عندما نتناول حاجة القوة البشرية إلى العقيدة فإننا نعنى حاجة الإنسان إلى العقيدة ، ومفهوم العقيدة هو التصديق بالشىء والجزم به دون شك أو ريب فهى بمعنى الإيمان يقال : اعتقد فى كذا أى أؤمن به والإيمان بمعنى التصديق يقال : آمن بالشىء أى صدق به تصديقا لا ريب فيه ولا شك معه .

والعقيدة هى الدافع الرئيسى للسلوك الإنسانى وباعثه الأول وهى أساس الدين وقوامه والدعامة الرئيسية لبنائه ، لذا كانت المهمة الأولى للرسل منذ بدء الخليقة هى غرس العقائد الصحيحة الحقة فى النفوس .

وإن دعوى استغناء الإنسان عن العقيدة الصحيحة دعوى باطلة يكذبها الواقع ويبطلها تاريخ البشرية الطويل فالإنسان يحتاج إلى تشريع إلّهى يلائم فطرته ويعرفه منهج ربه وكيفية التعرف إليه وكيفية عبادته ودعائه ولقائه وتشريعه من حلال وحرام وينظم علاقته فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين أبناء جنسه الذين لا يستغنى عن التعاون معهم لتوفير أسباب حياته وبقائها صالحة .

---

(1) Micheel Howard , The Forgotten Dimension of Strategy , Foreign Affairs (Summer 1979) : P . P . 975- 986 .

فمنذ أن أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض لم يتركهما فريسة للشيطان يوسوس لهما ويضلهما عن الصراط المستقيم كما وسوس إليهما من قبل وأخرجهما من الجنة إلا أنه سبحانه وتعالى تاب على آدم إنه هو الغفور الرحيم بل أفاض عليه من رحمته وأرشده إلى طريق الهدى وأرسل له المنهج الذى يحقق له ولزوجه وذريته سعادة الدارين يقول تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ من رَّبِّه كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة ٣٧ -.٣٩] .

إذن فحاجة الإنسان إلى العقيدة حقيقة وهى حاجته الدائمة للإيمان والتدين ، فالدين ضرورة من ضروريات الحياة وحاجة من حاجات نفسه فهى حقيقة علمية ثابتة فلا غنى له عن الإيمان بربه وعبادته بأى حال من الأحوال ومن رحمة الله بعباده أنه لم تخل أمة على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان إلى الحياة من عقيدة ودين وهو ما يـشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] والمراد بالنذير نبى أو رسول أو عالم وارث علم النبوة ينذر تلك الأمة عاقبة الكفر بالله والشرك بربها ومعصية الرسل والأنبياء وما يتبع من ظلم وشر وفساد وبعد عن الصراط المستقيم .

والعقيدة الصحيحة التى جاءت بها جميع الرسل عقيدة واحدة أساسها التوحيد عقيدة لا تتغير بتغير الزمان ولا تختلف باختلاف الأنبياء والأمم بل هى ثابتة محكمة لأنها من لدن حكيم عليم تتضمن الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، يقول تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى به نُوحًا وَالَّذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا به إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فيه ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْه ، اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْه مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْه مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

إن ما شرعه الله لنا من الدين ووصانا به كما وصى رسله وأنبياءه كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وذلك فى جوهر العقيدة وأصول الدين لا فروعه ولا تشريعاته الخاصة لأن لكل أمة منهجا يتفق مع ظروفها وأحوالها وشريعة تتلاءم

مع مستواها الفكرى وحياتها التى تعيشها فى زمانها واستعدادها الروحى وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة : ٤٨] .

وقد آمن رسولنا الكريم ﷺ والمؤمنون الذين اتبعوا دين الإسلام بهذه العقيدة وأقروا التوحيد وإفراد الألوهية لله وحده لا شريك له وآمنوا به وبملائكته وكتبه ورسله يقول تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة : ٢٨٥] .

إذن فالعقيدة واحدة أساسها التوحيد بدليل الكتاب والسنة وليس ذلك فقط ولكن بمراجعة الكتب السماوية الأخرى تبرز عقيدة التوحيد :

١ - ففى التوراة ورد الآتى :

(أ) « رفعت يدى إلى الرب الإله العلى مالك السماء والأرض » (التكوين ١٤ - ٢٢) .

(ب) « فى البدء خلق الله السماوات والأرض » (التكوين ١ : ١) .

(جـ) « الرب هو الإله ليس آخر سواه » (التثنية وتيرونيمى ٤ : ٥٣) .

(د) « لا مثيل لك يا رب » (المزامير ٦٨ : ٨) .

(هـ) « أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى » (أشعيا ٢٤ : ٦) .

(و) « لأنه هو الإله الحى القيوم إلى الأبد وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى » (دانيال ٦ : ٦٢) .

٢ - كما ورد فى الأناجيل أيضًا الآتى :

(أ) أجاب المسيح عليه السلام على رجل قال له يا صالح :

« ليس أحد صالحا إلا واحدا وهو الله » (متى ١٩ : ١٧) .

(ب) أجاب المسيح عليه السلام عن وصاياه بالنص :

« فأجاب يســوع أو أولى الوصـايا أعلــم يا إســرائيل الرب إلّهنا واحد »
(مرقص ١٢ : ٢٩) وإسرائيل بالعبرانية معناها عبد الله – إسرا معناها عبد ،
وئيل معناها الله) .

٣ – ومفهوم العقيدة أو الإيمان ينتظم ستة أمور [١] :

(أ) المعرفة بالله وأسمائه الحسنى وصفاته ، وأفعاله .

(ب) المعـرفة بـعالم ما وراء الطبيـعة (من ملائكة وجن ومالا يعلمه إلا الله) .

(جـ) المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل والخير والشر .

(د) المعرفة بأنبياء الله ورسله .

(هـ) المعرفة باليوم الآخر .

(و) المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير .

وهذا المفهوم للإيمان هو العقيدة التى أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله وجعلها وصية فى الأولين والآخرين – فهى عقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام .

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة يقصد بها تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل العليا – فضلا على أنها حقائق ثابتة وهى تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق . وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية .

إن هذه العقيدة هى الروح لكل فرد ، بها يحيى الحياة الطيبة وبفقدها يموت الموت الروحى ، وهى النور الذى إذا عمى عنه الإنسان ، ضل فى مسارب الحياة وتاه فى أودية الضلال .

---

(١) السيد سابق : العقائد الإسلامية ، توزيع الفتح للإعلام العربى ، القاهرة ، ص ٨ .

ثالثا – حاجة الأمة الإسلامية للعقيدة :

لقد أعز الله الأمة العربية بالإسلام وعرفها بقدرها ومنزلتها فى هذه الأرض لكى تنهض بواجبها فى الحياة ولتكون خير أمة أخرجت للناس ثمرة قيامها بالعمل الإيجابى لإصلاح الحياة الدنيا وترقيتها وثمرة تحملها تبعة الدعوة إلى الله وإلى الفضائل والأخلاق الحميدة والقيم الإسلامية السامية وهذا ما يشير إليه قوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . وفى شرف الأمة وقدرها قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ، أفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [الانبياء : ١٠] .

فالله سبحانه وتعالى أرشدنا إلى عز الدنيا وسعادة الدارين وكيفية تحقيق الأمن والهداية فى الدنيا والفوز فى الآخرة برضوان الله ومغفرته ورحمته فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَم يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

أى هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون فى الدنيا ويوم القيامة والمهتدون فى الدنيا والآخرة .

إن الأمة العربية بما يسر الله لها من دين قويم جديرة بأن تكون خير أمة أخرجت للناس وأن تحيا الحياة الكريمة عزيزة الجانب رفيعة المقام مرهوبة من أعدائها رائدة فى دنيا الناس .

ولكن الناظر إلى حال الأمة العربية بالأمس وحالها اليوم يجد اختلافا بيِّنًا لا وجه فيه للمقارنة على الإطلاق فحال الأمة بالأمس يختلف اختلافا كبيرًا وجوهريا ، فبالأمس كانت الأمة بدينها القويم دين الإسلام تهدى البشرية إلى معالم الحق وتبصرها سبيل الخير وترشدها إلى طريق العزة والكرامة فالمسلمون أصحاب عقيدة حقة راسخة تهدى إلى طريق الهدى والرشاد من أجل أن يعيشوا أحرارا أعزة مؤيدين بتوفيق الله ونصره ، لقد سعدت الأمة العربية بتعاليم الإسلام فتمسكت بها وحرصوا عليها أشد من حرصهم على حياتهم ، فامتد نور هذا

الدين من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا عاش العرب أعزة بهذا الدين يتفيئون ظلال حضارته ، ينعمون بها ويفيضونها على غيرهم فالعرب لهم الفضل الأكبر فى تقدم العلوم الطبيعية فى أوربا الحديثة ، هذه الحضارة الشامخة سعد بها المسلمون عبر تاريخهم الطويل ٠

أما اليوم فقد أصبح واضحا جليًّا للعيان أن الأمة العربية وكذلك الأمة الإسلامية أصبحت معرضة للخطر الواسع الزاحف ، وأن الأحداث المتلاحقة والدماء المتدفقة والأشلاء المتناثرة فى كل من بورما والهند وكشمير وأفغانستان والصومال والسودان وفلسطين ، والناظر للظلام الدامس الذى يكاد يلف بالعالم العربى والإسلامى يؤكد هذه الحقيقة الأسيفة المحزنة ٠

إن ما أصاب العرب والمسلمين من فتور فى بعض فترات من تاريخ حياتهم إنما مرجعه لبعدهم عن شريعة الله وتضييعهم لأمره جل وعلا وإلى المحاولات الآثمة لأعداء الله والمسلمين (الاستعمار والصهيونية فى المقام الأول) من غزو عسكرى واقتصادى لبلاد العرب المسلمين والغزو الفكرى لعقول المسلمين فى شتى بقاع الأرض محاولين صرفهم عن جوهر دينهم إلى أعراض دنيوية زائلة ، وإبعادهم عن اللباب إلى القشور ٠

فأعداء الله والإسلام لا يرضون لدعوة الإسلام أن تنتشر ولا يرضون للعرب العزة والكرامة ، ففى الماضى أشعل المستعمرون نيران الحروب الصليبية لإخضاع العرب ومقدساتهم لهم والاستيلاء على ثروات ومقدرات البلاد العربية ولكن العرب بإيمانهم بالله وبنصرته لهم وبقيادة صلاح الدين انتصرت على الاستعمار الصليبى وحررت الأرض العربية ٠

وعاود الاستعمار مرة أخرى إخضاع العرب وذلك بتمزيق وحدتهم واحتلال أرضهم مرة أخرى وغرس كيان صهيونى دخيل يعمل كشوكة فى جانبهم ويفصل الأمة العربية عن بعضها البعض وليس هذا فحسب ولكن توطئة للقضاء على كل ما لهم من حق فى الحياة الكريمة على هذه الأرض وكانت دولة إسرائيل بأهدافها البعيدة من النيل إلى الفرات ، ورأينا دور الدول الاستعمارية فى إنشاء هذا الكيان الدخيل ودوره الحالى فى زيادة قوته وقدرته الاقتصادية

والعسكرية لتفوق جميع الدول العربية مجتمعة كما وكيفا عددا ونوعا ، وسعيه الدؤوب على التمكين له فى الأرض العربية بفرض السلام الهش غير العادل مع العمل على إلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل ، كل ذلك دون النظر إلى حق العرب العادل فى أرضهم وثرواتهم مع فرض سياسة الأمر الواقع وإهمال جميع القرارات التى صدرت من الأمم المتحدة ومجلس الأمن التى تدين إسرائيل وتؤيد الحق العربى بل الوقوف أمام أية دولة أو قرار يدين أعمال إسرائيل العدوانية .

لقد أنشأ الاستعمار نظامًا جديداً أسماه النظام الدولى الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الأول للاستعمار والصهيونية ، نظامًا لا يرعى إلا مصالح الدول الكبرى الغنية لاستغلال الدول الصغيرة النامية والسيطرة عليها ؛ نظامًا ضد الإسلام والمسلمين ، ولعل الأحداث التى حدثت فى جمهورية البوسنة والهرسك حديثا قد هزت المسلمين فى شتى بقاع الأرض وفزعت قلوبهم وجعلتهم يفيقوا إلى هذه الحقيقة المؤلمة .

فعلينا أن نسعى جاهدين على إعادة مجد أمتنا العربية والإسلامية بأن نعمل بكل ما لدينا من قوة للعودة إلى تعاليم ديننا الإسلامى الحنيف وأن نغرس العقيدة الإسلامية الحقة فى نفوسنا ونفوس القوة البشرية العسكرية لأنها إذا أحسن غرسها كانت السبيل للتصدى للعدوان والنصر على الأعداء والذود عن حرمات الأمة والحفاظ على ثرواتها وأراضيها وعزتها وكرامتها ودينها ، وهو أهم ما نحرص عليه نحن المسلمين .

ولقد كان النصر العظيم فى معركة بدر الكبرى فى السابع عشر مس رمضان فى العام الثانى من الهجرة الذى حققه المسلمون على أئمة الكفر والشرك ما هو إلا انتصار لعقيدة الحق على عقيدة الباطل رغما عن قلة عدد المسلمين فى العدد والعدة وهو ما سوف نوضحه فيما بعد تفصيلا وصدق الله العظيم :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
[آل عمران : ١٢٣] .

* * *

المبحث الثانى

جوهر العقيدة العسكرية

يتمثل جوهر العقيدة فى الإيمان الحق الصادق بالله وأن النصر من عنده سبحانه وتعالى ·

أولاً : فالإيمان الحق الصادق :

١ – هو البراءة الكاملة من الشرك كله والولاء المطلق لله سبحانه وتعالى وصدق الله العظيم : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] ·

وآية الصدق فى الإيمان هى فى التسليم بالقرآن والحرص عليه والانصياع لهديه وحب رسول الله ﷺ وتمثل سنته ، والمؤمنون حقا يعرفهم الله فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الانفال : ٢ – ٤] ·

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥]

تتضمن الآية السابقة صفات المؤمنين الصادقين هم الذين صدقوا الله ورسوله فاقروا لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة عن يقين راسخ وإيمان كامل ثم لم يشكوا ويزلزلوا فى إيمانهم بل ثبتوا على التصديق واليقين وبذلوا أموالهم

وأنفسهم فى سبيل الله وابتغاء رضوانه أولئك الذين صدقوا فى ادعاء الإيمان ، وصفات المؤمنين الثلاثة التى وردت فى هذه الآية هى :

(أ) التصديق الجازم بالله ورسوله .

(ب) عدم الشك والارتياب .

(جـ) الجهاد بالمال والنفس .

فمن جمع هذه الصفات الثلاث فهو المؤمن الصادق .

٢ – إنه الإيمان الذى إذا استقر فى القلوب على الصفاء والقوة والوضوح عرفت به التكاليف والمسئوليات فى حدودها العامة إنه الإيمان الذى يؤمن به العبد بربه فيصدق قلبه ويقر لسانه وتعمل جوارحه ، والإيمان على هذا النحو يعنى التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان إنه الإيمان الذى يحقق للمؤمن العزة والكرامة فهو مصدر قوته الذى يحقق له النصر (نصر الله) وصدق الله العظيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] ، ويقول تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ .. ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

كما ذكر رسول الله ﷺ فى حديث عمر المعروف بحديث جبريل أركان الإيمان الستة ، يقول رسول الله ﷺ عن الإيمان :

أن تؤمن بالله (أى الاعتقاد بأن الله خالق ومعبود بحق له أسماء وصفات تليق بجلاله لا يشبه مخلوقاته) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وأن تؤمن بملائكته : (وهى مخلوقات من نور لتنفيذ أوامر الله ولا تراهم) وبكتبه : (التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن ناسخها) .

وبرسله (أولهم : نوح ، وآخرهم : محمد ﷺ) .

وباليوم الآخر (يوم الحساب : لمحاسبة الناس على أعمالهم) .

وأن تؤمن بالقدر خيره وشره : (أى الرضا بما قدره الله مع الأخذ بالأسباب) .

٣ – ومما سبق يتبين بوضوح أن كل ركن من أركان الإيمان الستة المكونة لعقيدة المؤمن يثمر للمؤمن ثمرة خاصة :

فالإيمان بالله تعالى ، يثمر : محبة الله ، وتعظيمه ، وطاعته ، وخشيته .

والإيمان بالملائكة ، يثمر : الاعتبار بطاعتهم لله والاستحياء منهم والاستئناس بهم .

والإيمان بالكتب والرسل ، يثمر : قوة الإيمان بالله تعالى ويثمر معرفة شرائعه وكيفيات أدائها ، والإيمان باليوم الآخر ، يثمر : الرغبة فى فعل الخيرات والنفرة من الشرور والمفاسد والمنكرات والإيمان بالقدر يثمر : سكون النفس ، ورضاها وطمأنينة القلب وهدوئه وهدايته ، وذلك بتخليص النفس من الفرح بالحياة الدنيا والغم على ما فات منها ، ومن الهم على ما قد يفوت المرء منها .

ويقول تعالى : ﴿ لَيْسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ والمَلاَئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

ويقول تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ١٣٦] .

يقول تعالى : ﴿ الَّذينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ [النساء : ٧٦] .

والآية السابقة توضح :

أن المؤمنين يقاتلون لهدف سامٍ وغاية نبيلة وهى نصرة دين الله وإعلاء كلمته ابتغاء مرضاته فهو تعالى وليهم وناصرهم ، أما الكافرون فيقاتلون فى سبيل الشيطان الداعى إلى الكفر والطغيان .

فقاتلوا يا أولياء الله أنصار وأعوان الشيطان فإنكم تضلعونهم ، فشتان بين

من يقاتل لإعلاء كلمة الله وبين من يقاتل فى سبيل الشيطان فمن قاتل فى سبيل الله فهو الذى يغلب لأن الله وليه وناصره ومن قاتل فى سبيل الطاغوت فهو المخذول المغلوب ولهذا قال : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ أى سعى الشيطان فى حد ذاته ضعيف ، فكيف بالقياس إلى قدرة الله ؟! قال الزمخشرى : « كيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيئ وأوهنه » .

روى البخارى رضى الله عنه - بسنده إلى أنس - رضى الله عنه ، قال :

قال النبى ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وعنه أن النبى ﷺ قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » . البخارى - كتاب الإيمان .

٤ - وعلى ذلك نرى الإيمان الحق الصادق براءة كاملة من الشرك وولاء مطلقا لله ، وحبا له سبحانه وتعالى ولرسوله وتسليما للقرآن وتمثلا للسنة وجهادا فى سبيل الله بالمال والنفس إلى تعاهد لبيوت الله وصدق رسول الله ﷺ :

« إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » فإن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ﴾ [التوبة : ١٨] رواه أحمد .

٥ - أمثال من الإيمان الحق الصادق :

(أ) فى غزوة بدر :

١ - صمم المسلمون على قتال قريش وعلى الصمود فى مواجهتهم حتى النهاية رغما عن قلة عددهم مع كثرة عدوهم (عدد قوات قريش ثلاث أمثال عدد المسلمين) ولم يكن لهم مطمع فى مكسب مادى يرجونه ولكن بث الدعوة حتى تكون كلمة الله هى العليا .

التقى فى هذه الغزوة الأبناء بالآباء والأخوة بالإخوة خالفت بينهم العقيدة ، ففصلت بينهم السيوف .

٢ – كان أبو بكر مع المسلمين وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ،وكان عتبه بن ربيعة مع قريش وكان ولده أبو حنيفة مع المسلمين وعندما استشار الرسول ﷺ عمر بن الخطاب فى مصير الأسرى ، قال عمر : « أرى أن تمكننى من فلان – قريب عمر – فأضرب عنقه ، وتمكـن عليا من عقيل بن أبى طالب فيضرب عنقه ، وتمكن حمـزة من فـلان أخيه فيضـرب عنـقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبـنا هـوادة للمـشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم » .

٣ – إنه الإيمان الحق الصادق الذى دفع عمرا لقول مثل هذا القول والذى دعا أبا بكر لأن يقول لابنه بعد ما أسلم والله لو رأيتك يوم بدر لقتلتك ردا على قول ابنه الذى قال لأبيه إننى يا أبتى رأيتك يوم بدر وبعدت عنك .

٤ – إن المعنويات العالية التى كان يتحلى بها المسلمون يوم بدر كانت من نتاج الإيمان الحق الصادق الذى كان أهم أسباب النصـر فى هذه الغزوة ، قال عبد الرحمن بن عوف : « إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما إذا قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه يا عم أرنى أبا جهل ، فقلت يا ابن أخى ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثله ، فأشرت لهما إليه ، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه » وقد استشهد هذان البطلان فى بدر وهما ابنا عفراء عوف بن الحارث الخزرجى الأنصارى ومسعود بن الحارث الخزرجى الأنصارى وليس لروحهما الغالية فى القتال إلا دلالة عن عقيدة راسخة دفعت بهما إلى الاستشهاد فى سبيل الله . وقول المقداد بن عمرو لرسول الله ﷺ يوم بدر :

قال « يا رسول الله امض لما أراده الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون) ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

٥ – قول سعد بن معاذ لرسول الله ﷺ يوم بدر :

قال : « وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله » .

٦ – خرج رسول الله ﷺ إلى الناس يوم بدر يحرضهم على القتال فقال : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » فقال عمير بن الحمام أخو بن سلمه ، وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ (بسكون الخاء أو كسرها) كلمة تقال عند الإعجاب أو الفخر . أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى .

٧ – عن ابن ثابت وقيل أبى سعيد وقيل أبى الوليد سهل بن حنيف وهو بدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » رواه مسلم .

٨ – لقد كانت معركة بدر « صراعا حاسما بين عقيدتين ... فانتصرت العقيدة التى تستحق البقاء على العقيدة التى تستحق الفناء ... » (١) .

(ب) قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ،وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٣–١٧٤] .

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، الطبعة الثالثة ، دار العلم عام ١٩٦٤ ، ص ١٠٩ .

(جـ) عن أبى بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى رضى الله عنه وهو وأبوه وأمه صحابة رضى الله عنهم ، قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ٠٠ متفق عليه ٠

ثانيا – الإيمان بأن النصر من عند الله العزيز الحكيم :

المتابع للتاريخ الإسلامى يجد أن الرسول الكريم ﷺ ما انتصر فى أية غزوة من غزواته بعدد أو بعدة بل كان العدو متفوقا عليه دائما ماديا فى العدد والعدة ولكنه انتصر بالعقيدة الراسخة المؤيدة بنصرة الله عز وجل فقد كان يحارب عربا بعرب ولكنه انتصر هو وأصحابه العرب المسلمون والمتابع لأحداث الفتوحات الإسلامية يجد باستمرار أن العدو متفوق على العرب المسلمين فى العدد والعدة ولكن النصر كان للعرب المسلمين بفضل نصرة الله لهم ٠

ويؤكد الحق تعالى وهو الغالب الذى لا يغلب قراره الحكيم الذى يفعل ما تقتضيه حكمته الباهرة أنه هو الناصر للمؤمنين لا أحد غيره بالرغم من قلة عددهم وعدتهم مع كثرة عدوهم فى العدد والعدة وهذا ما يؤكده القرآن الكريم والسنة المطهرة ٠

يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى ، إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٣ - ١٢٦] ٠ويوم بدر خير دليل على ذلك إذ نصر الله المؤمنين يوم بدر مع ضعفهم وقلة عددهم وعدتهم ٠

وبالمقارنة يتضح مدى ضعف المسلمين فى ذلك الوقت فلقد أمدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين لنصرتهم ، وبإضافة هذه الأعداد كمًّا ونوعًا إلى

قوات المؤمنين فلابد أن يكون النصر فى صالح المقاتلين المؤمنين مما تطلب الشكر على ما منّ الله عليهم من نصر وتشير الآيات أيضا أنه إذا صبر المؤمنون فى المعركة واتقوا الله وأطاعوا أمره فإنه يزدهم الله مددا من الملائكة معلمين على السلاح ومدربين على القتال وما هذا إلا بشارة للمؤمنين ليزدادوا ثباتا ولتسكن قلوبهم فلا يخافوا من كثرة العدد مع قلة عددهم وهذا ما يؤكده قوله تعالى :

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الانفال : ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ ، وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ، وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ، وللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤٠ ، ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١ - ١٧٣] .

مما سبق يتضح أن النصر من عند الله عز وجل ينصر عباده المؤمنين المتقين الذين أطاعوه وانتهوا عما نهى وصبروا وجاهدوا فى سبيله حق الجهاد مهما كان تفوق العدو فى الكم والكيف .

أما إذا ما اغتر المؤمنون بعددهم وعدتهم فى مواقف تفوقهم على العدو ونسوا أن النصر من عند الله لا بكثرة العدد والعدة فتكون الهزيمة من نصيبهم إلا أن يعودوا إلى طاعة ربهم فيعود وينصرهم مرة أخرى وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمات .

يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ، إِذْ

أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥ ، ٢٦] .

توضح الآيات الكريمات السابقة أنه في غزوة حنين لما أعجب المسلمون بكثرتهم وقالوا لن نغلب اليوم عن قلة ونسوا نصر الله لهم قبل ذلك فهزموا ثم نزّل الله عليهم السكينة وأيدهم بجنود من عنده فتراجعوا وصدقوا الحملة على عدوهم واستغاثوا بربهم واستنصروا به فنصرهم وأيدهم وهزم عدوهم .

واذكر بحديث رسول الله ﷺ الذى روته عائشة – رضي الله عنها – تقول :

دخل عليَّ النبى ﷺ فعرفت فى وجهه أن قد حضره شيء فتوضأ وما كلم أحدا فلصقت بالحجرة استمع ما يقول : فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « يا أيها الناس إن الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعونى فلا أجيب لكم وتسألونى فلا أعطيكم وتستغفرونى فلا أغفر لكم ، وتستنصرونى فلا أنصركم فما زاد عليهم حتى نزل » .

(رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه) .

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنهما – :

« أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة وإلا تنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل ، لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا

مفعولا ، اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله ذلك لنا ولكم » .

وفى عصرنا الحديث توجد أدلة كثيرة تدل على أن النصر من عند الله رغما عن قلة العدد والعدة .

فانتصار عدد قليل من المجاهدين الأفغان غير المدربين وذوى تسليح ردىء على جيش دولة كبرى وهى الاتحاد السوفييتى السابق ، لهو دليل على ذلك ، لقد زاد عدد القتلى من الجيش الشيوعى عن سبعين ألفا مما اضطر الرئيس جرباتشوف إلى القول :

« إن دخول روسيا إلى بلاد الأفغان من أكبر الأخطاء » .

أما شباب ثورة الحجارة وثباتهم هذه المدة الطويلة وانتصارهم على الجيش الإسرائيلى وإخفاق هذا الجيش فى وضع حد لها فهو دليل آخر على أن النصر من عند الله .

وإن الانتصار الكبير الذى حققه الجيش المصرى فى معركة العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م باقتحامه قناة السويس وتدميره لأكبر تحصينات شهدها العصر الحديث (خط بارليف) بكلمة : الله أكبر ، فكان حديث العالم أجمع وكان فيه الجندى المصرى المؤمن بربه أكبر مفاجأة فى هذه الحرب .

وصدق الله العظيم : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الانفال:١٧] .

مما سبق يتضح أن النصر من عند الله حكم قاطع فوعد الله محقق كما هو معلوم ومن هنا وقر فى قلب المؤمن إيمان لا يتزعزع بأنه طالما التزم بمنهج الله وأخذ بأسباب رضاه وتوكل عليه حق توكله ضمن معية الله وعونه ومدده ونصره وعندئذ لن تستطيع أية قوة على وجه الأرض أن تهزمه ومن ثم أقبل المؤمنون على القتال فى سبيل الله بقوة ربانية دافعة لا تنفد ، وبدعم إلهى لا يقل ولا ينقص فتضاعفت قوة المؤمنين المعنوية أضعافا مضاعفة واستطاعوا سحق جموع أعدائهم المتفوقة عدديًا وتمكنوا من اقتحام حصون العدو رغم قلة عددهم وضعف عتادهم فى أغلب الأحوال .

* * *

المبحث الثالث

مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية

تنبع العقيدة العسكرية الإسلامية من العقيدة الإسلامية الصحيحة على أساس ثابت قويم هو الإيمان الصحيح ، الإيمان الذى يؤمن به العبد بربه الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولو يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فيصدق قلبه ويقر لسانه وتعمل جوارحه ، والإيمان على هذا النحو يعنى التصديق بالقلب ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره ٠

والادلة اليقينية التى تثبت بها العقيدة الدينية فهى عند أهل السنة والجماعة الآتى [١] :

أولا – القرآن الكريم الذى هو كلام الله حقيقة أنزله على رسوله الأمين محمد بن عبد الله ﷺ وحيًا متعبداً بتلاوته وهو الموجـود الآن بين دفتى المصحف ٠

ثانيا – السنة الشريفة : وهى الوحى المتعبد باتباعه والعمل به ، مما ثبت عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات ٠

ثالثا – الإجماع : وهو اتفاق مجتهدى أمة محمد ﷺ بعد وفاته فى عصر من العصور على أمر من الأمور وله أحكام :

١ – الأول : أن الإجماع حجة شرعية بدلالة الكتاب والسنة والعقول ٠

٢ – الثانى : أن الإجماع يفيد القطع أحيانا فما كان كذلك فيجب القطع بأنه حق وتحرم مخالفته وهو على مراتب عدة ٠

---

(١) د ٠ سعيد بن ناصر الغامدى ، فى العقيدة ، الفاظ العقيدة ومصطلحاتها (٢) ، جريدة المسلمون ، العدد (٤٧٧) ، ٢٥ مارس ١٩٩٤ ٠

وسوف نتناول هذه الأدلة ومصادرها بالشرح على النحو الآتى :

أولا – القرآن الكريم :

١ – هو كلام الله حقيقة الذى أنزله على رسوله وحيًا متعبدًا بتلاوته وهو الموجود الآن بين دفتى المصحف وهو المعجزة الباقية إلى يوم الدين حفظه الله بلا قيد أو شرط فقد مضت القرون المتطاولة التى داول الله أيامها بعين الناس وإذا كل لحظة تقوم شاهدا .

وصدق الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١ ، ٢٢] .

٢ – إنه الذكر المنزل بدقة وإحكام من الله الحكيم الحميد ، وهو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ، تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] ، ويقول تعالى : ﴿ الَر ، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

ويقول تعالى : ﴿ الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لاَ رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١ ، ٢] .

٣ – وهو الضوابط المستقيمة للحكم الرشيد والهداية إلى الطريق المستقيم ، ويقول تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] .

٤ – وهو التام الكامل الشامل ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى

الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ، مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨] ٠

ويقول جل جلاله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ٠

ويقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧ ، ٢٨] ٠

وتفسير ذلك أن الله بيَّن وأوضح للناس فى هذا القرآن من كل الأمثال النافعة والأخبار الواضحة ما يحتاجون إليه لعلهم يتعظون ويعتبرون بتلك الأمثال والزواجر وحال كونه قرآنا عربيا لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه ، ولا تعارض ولا تناقض لكى يتقوا الله ويجتنبوا محارمه ٠

ويقول تعالى ، مبينا الغاية من نزول القرآن الكريم هو العمل والتفكر :

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾

[سورة ص : ٢٩] ٠

أى أن هذا الكتاب الذى أنزلناه عليك يا محمد كتاب عظيم جليل ، كثير الخيرات والمنافع الدينية والدنيوية ليتفكروا ما فيه من الأسرار العجيبة والحكم الجليلة وليتدبروا آياته ٠

٥ - وعن عالمية دعوة القرآن :

يقول تعــالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] ٠

ويقول تعالى : ﴿ إِن هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة ص : ٨٧] ٠

ويقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ٠

ويقول تــعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] ٠

ويقول تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ ، فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ

اللهِ وآيَاته يُؤْمِنُونَ * وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الجاثية : ٦ - ٨] .

٦ - الإعجاز القرآني :

كانت معجزة الرسول الكريم ﷺ هى القرآن الكريم الذى يشاهد بالبصيرة والذى قال تعالى عنه : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وعندما طلب المشركون من الرسول الكريم ﷺ بعض المعجزات مثل التى أتى بها كل من نبى الله موسى وعيسى عليهما السلام (عصا موسى وبقية آياته التسع ، وبالنسبة لعيسى إحياء الموتى بإذن الله) .

قال الله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنَ نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنَ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء : ٥٩] . وهذا تأكيد لمعجزته تبارك وتعالى .

إن الإعجاز اللغوى القرآنى حقيقة لا شك فيها يظهر بها تعالى معجزته الكبرى للقرآن فحيث أن الرسول الكريم ﷺ هو آخر الرسل وأن القرآن هو آخر الشرائع المنزلة ، وحيث إن البشرية لن يستقيم حالها بغير رسل وشرائع تواكب تطورها وأغيارها فكان من حكمة الله ورحمته بخلقه جعل القرآن الكريم مصدرا للتشريع إلى آخر الزمان .

لقد قدر الله سبحانه وتعالى أن يكون القرآن الكريم منهجا للبشرية يختم به كل مناهج البشر السابقة ليكون ملجأ وملاذ كل متطلع إلى الصلاح والفلاح والقوة والعزة فرداً كان أو جماعة .

وبالرغم من أن الشعوب غير المسلمة قد استفادت من هذا المنهج استفادة عظيمة كانت أساس حضارتها ورقيها للعمل بجوهر هذا المنهج إلا أن المسلمين اليوم لم يستفيدوا منه بالقدر الذى قدره الله بل أخذوا من هذا المنهج القشور

والقليل وتركوا العمل به ولم يطبقوا محتواه كما أراد الله فكان التخلف والتبعية والضعف والهوان ٠

إن المنهج القرآنى اكتسب قوة إعجازه من صفة صانعه سبحانه وتعالى الحكيم الحميد الخبير بصفاته وكماله وأسمائه الحسنى ٠

إن القرآن منهج شامل متكامل ينسج عقيدة المسلم وعباداته ومعاملاته فى نسيج متماسك ، والسمة الأساسية فى المنهج القرآنى هى أن كافة التشريعات تنبثق من أصل واحد هو عقيدة التوحيد المطلق لله ٠

وإذا تدبرنا آيات القرآن الكريم نجد انه يزخر بالآيات التى تحدد جوهر ومشتملات العقيدة العسكرية ممثلة فى الآيات التى تذكر الجهاد (القتال) فى سبيل الله وآيات الشورى وكل النواحى التى تغطى حالات الحرب والسلام بل والعلاقات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية أى تغطى كل نواحى الحياة فى الدنيا والآخرة ٠

انفرد المنهج القرآنى بمجموعة متكاملة من الخصائص الممتازة ، والمتميزة التى وضعته فوق مستوى كافة المناهج البشرية المعروفة قديما وحديثا ومازالت أسراره وعجائبه تتكشف مع تطور مستوى المعرفة والإمكانات العقلية والعلمية ٠

٧ - إن القرآن الكريم هو مصدر العقيدة العسكرية وهو مصدر تفوقها على كافة العقائد العسكرية الأخرى التى يضيفها البشر مهما كانت قدرتهم ومنزلتهم ودرجة علمهم لأن القرآن منهج الله ، رسمه الله سبحانه وتعالى للحياة فى الأرض ولا يوجد من هو أعلم من الله وأحكم منه فهو الذى خلق الإنسان وهو الأقدر على وضع المنهج الذى يصونه ويمكنه من تأدية مهمته فى الحياة على أكمل وجه ٠

ثانيا - السنة الشريفة :

١ - وهى الوحى المتعبد باتباعه والعمل به ، مما ثبت عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال أو تقريرات ٠

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩] ، ويقول تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وكما نقل عن القرطبى عن الشيخ عبد القادر الجيلانى قوله : « فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة » ، والسنة : ما سنه رسول الله ﷺ ، والجماعة : ما اتفق عليه صحابة رسول الله ﷺ فى خلافة الأئمة الأربعة .

٢ – سأل الإمام على – رضى الله عنه – رسول الله ﷺ عن سنته – عليه الصلاة والسلام – بقوله : ما سنتك يا رسول الله ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : « المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ،والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى ، وقرة عينى فى الصلاة .

٣ – ولا شك أن ما جاء فى سنة رسول الله ﷺ من نور وهدى ، تقصر عنه الكلمات وإن اتسعت المعانى وتقصر عنه الأيام والليالى وإن طال بالناس الزمن ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فأول ما جاء فى سنته صلوات الله وسلامه عليه « المعرفة رأس مالى » وتلك إشارة إلى بعض معنى الآيات الكريمات التى بدأت بها أنوار رسالته ﷺ حين فوجىء بأمين الوحى جبريل عليه السلام وهو معتكف فى غار حراء بقول ربه الكريم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ – ٥] .

ويحتوى هذا المرجع الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ فى الجهاد وآدابه (أخلاقياته) بما يضع أساسا قويا للعقيدة العسكرية ومرشدا للمقاتلين المؤمنين فى زمن السلم والحرب .

٤ – مكونات السنة :

تتكون السنة مما يلى :

(أ) أقوال الرسول ﷺ : وهى تعرف بالحديث أو الأحاديث النبوية ، وللحديث أهمية كبرى فى فهم معانى القرآن الكريم ،والكشف عن الأحكام المنطوية فى نصوصه العامة وقواعده الكلية والإرشاد إلى الكثير منها ، ولولاه لبقى مجهولا لنا خافيا علينا (١) .

(ب) أفعال الرسول ﷺ : وهى الأفعال التى أتاها الرسول ﷺ بنفسه لتكون هديا ونموذجا يقتدى المسلمون به فى صلاتهم وأداء أركان العبادة التى أداها الرسول ﷺ ، يقول ﷺ « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

(جـ) التقرير :وهو عدم إنكار الرسول ﷺ لأمر رآه أو سمعه أو بلغه عمن يكون منقادا للشرع ، وسكوته ﷺ عن ذلك الأمر يعد موافقة وإقراراً له(٢) .

٥ – مصادر السنة :

نبعت السنة من الوحى ومن اجتهاد الرسول ﷺ ففى بعض الأمور يوحى الله سبحانه وتعالى للرسول بالحكم فيها . وكان الوحى يأتى بالفكرة ويصيغها الرسول ﷺ بكلماته وأحيانا كان يجتهد الرسول ويستشير وينتهى إلى أمر تقريره .

٦ – مراجع السنة :

تتضمن كتب الحديث والسيرة النبوية وفقه السنة الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة وهى ميسرة فى كثير من المكتبات العامة والخاصة وكتب الحديث كثيرة وأصحها لدى جمهور العلماء :

(أ) صحيح البخارى (المتوفى سنة ٢٥٦ هـ) .

(ب) صحيح مسلم (المتوفى سنة ٢٦١ هـ) .

---

(١) عفيفي عبد الفتاح طبارة ، روح الدين الإسلامى ، ص ٤٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٦ .

(جـ) سنن أبى داود (المتوفى سنة ٢٧٥ هـ) .

(د) سنن الترمذى (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ) .

(هـ) سنن ابن ماجه (المتوفى سنة ٢٧٣ هـ) .

(و) سنن النسائى (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ) .

ويحظى صحيحا البخارى ومسلم على وجه الخصوص بتقديم عظيم ويسميان بالصحيحين - وهما لا يشتملان إلا على الأحاديث المتفق على صحتها - أما الكتب الأربعة فتشتمل على الأحاديث الصحيحة وأيضا الأحاديث الحسنة [١] والضعيفة .

٧ - إن السنة جزء لا يتجزأ من المنهج الإسلامى ، وهى مصدر من مصادر العقيدة العسكرية ، ويستحيل الاستغناء عنها فضلا عن أن السنة هى الدليل العلمى على إمكان تطبيق المنهج القرآنى بمعرفة البشر بكافة مستوياتهم ، وهى البرهان على واقعية هذا المنهج وفاعليته وعمق تأثيره فى مختلف مجالات الحياة الإنسانية .

ثالثا : الإجماع :

الإجماع هو المصدر الأساسى الثالث من مصادر التشريع الإسلامى عند جماهير علماء الأمة الإسلامية ، فقد قال بحجية الإجماع فقهاء المذاهب الإسلامية من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية والشيعة الإمامية . لذا فهى مصدر أساسى من مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية .

الإجماع هو : « اتفاق مجتهدى أمة محمد ﷺ بعد وفاته فى عصر من العصور على أمر من الأمور » وله أحكام [٢] :

(١) محمد صلاح الدين كامل ، تحديد وتحديث مبادىء الحرب لدى المدارس العسكرية التقليدية والإسلامية ، وتعيين أنسبها للقوات المسلحة المصرية - دراسة مقارنة ، رسالة مقدمة إلى أكاديمية ناصر العسكرية العليا لنيل درجة الدكتوراه فى فلسفة العلوم العسكرية ، الباب الرابع ، المدرسة العسكرية الإسلامية ، ص ٥٦٣ .

(٢) د . سعيد بن ناصر الغامدى ، فى العقيدة ، ألفاظ العقيدة ومصطلحاتها (٢) جريدة المسلمون ، العدد ٤٧٧ ، ٢٥ مارس ١٩٩٤ .

الأول : إن الإجماع حجة شرعية بدلالة الكتاب والسنة والمعقول ٠

الثانى : إن الإجماع يفيد القطع أحيانا ، فما كان كذلك فيجب القطع بأنه حق وتحرم مخالفته وهو على مراتب أعلاها :

١ - **الحكم المعلوم من الدين بالضرورة** : والذى انعقد عليه إجماع المسلمين عامتهم وخاصتهم فالإنكار لهذا كفر مثل وحدانية الله وربوبيته واستحقاقه لكل أنواع العبادة ونبوءة محمد ﷺ ووجوب اتباعه وكونه خاتم الأنبياء والمرسلين والبعث والحساب والجنة والنار وأصول الشرائع كالصلاة والصيام والزكاة والحج ٠

٢ - **ثم أدنى من ذلك السابق مرتبة** : الحكم الثابت بالإجماع القطعى كتحريم الجمع بين البنت وعمتها والبنت وخالتها فى النكاح وتحريم الكذب على رسول الله ﷺ فالإنكار له كفر لأنه إنكار لحكم شرعى ثابت بالدليل القطعى ٠

٣ - **وأدنى مراتب الإجماع** : هو الإجماع الظنى مثل الحكم الثابت بالإجماع السكوتى أو الحكم الثابت بدليل ندر مخالفة ، فإنكار هذا ليس بكفر وقد يعد فسقا أو بدعة لأنه مخالفة لدليل يجب العمل بمقتضاه وإن كان ظنيا ٠

الثالث : **من أحكام الإجماع** : يشترط فى الإجماع أن يكون مستندا إلى دليل قطعى من كتاب أو سنة متواترة أو ظنى كخبر الواحد أو القياس أو الأمارة إلا فى أبواب العقيدة فإنه لابد أن يكون مستند الإجماع إلى الكتاب والسنة لا القياس ولا الرأى ولا سواهما لأن مسائل العقيدة توقيفية لأنها من الوحى ٠

الرابع : **من أحكام الإجماع** : الإجماع فى العقائد الدينية بناء على الإجماع لا بد له من سند نقلى فى مسائل العقيدة فإن الإجماع يكون حجة فى مسائل الاعتقاد ويكون حينئذ من باب تضافر الأدلة وتعاضدها ، وتأتى فائدته فى تقوية الأدلة الظنية ورفع درجتها إلى منزلة القطعيات فيكون سببا لدفع احتمال الخطأ الذى قد يتطرق للظنيات ومن هذا الباب ما نجده من علماء أهل السنة من حكاية الإجماع على المسألة بدلا من نقل الدليل ٠

الخامس : الإجماع الذى ينضبط : هو ما كان عليه السلف الصالح ، إذ بعدهم كثر الاختلاف ومع ذلك فيبقى حجة فى كل عصر .

معنى إجماع العلماء : (رأى ابن تيمية) :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن معنى إجماع العلماء وهل يسوغ فأجاب :

« الحمد لله ، معنى الإجماع أن يجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام . وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم ، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولكن كثيرا من المسائل يظن بعض الناس فيها إجماعا ولا يكون الأمر كذلك بل يكون القول الآخر أرجح فى الكتاب والسنة وأما أقوال بعض الأئمة كالفقهاء الأربعة وغيرهم فليس حجة لازمة ولا إجماعا باتفاق المسلمين بل قد ثبت عنهم – رضى الله عنهم – أنهم نهوا الناس عن تقليدهم وأمروا إذا رأوا قولا فى الكتاب والسنة أقوى من قولهم أن يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا أقوالهم ، ولهذا كان الأكابر من أتباع الأئمة الأربعة إذا ظهر لهم دلالة الكتاب أو السنة على ما يخالف قول متبوعهم اتبعوا ذلك مثل مسافة القصر فإن تحديدها بثلاثة أيام أو ستة عشر فرسخا لما كان قولا ضعيفا كانت طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم ترى قصر الصلاة فى السفر الذى هو دون ذلك كالسفر من مكة إلى عرفة فإنه قد ثبت أن أهل مكة قصروا مع النبى ﷺ بمنى وعرفة . وكذلك طائفة من أصحاب مالك وأبى حنيفة وأحمد قالوا ، إن جمع الطلقات الثلاث محرم وبدعة ، لأن الكتاب والسنة عندهم إنما يدلان على ذلك وخالفوا أئمتهم وطائفة من أصحاب مالك والشافعى وأبى حنيفة رأوا غسل الدهن النجس وهو خلاف قول الأئمة الأربعة وطائفة من أصحاب أبى حنيفة رأوا تحليف الناس بالطلاق وهو خلاف الأئمة الأربعة ، بل ذكر ابن عبد البر أن الإجماع منعقد على خلافه وطائفة من أصحاب مالك وغيرهم قالوا من حلف بالطلاق فإنه يكفر عن يمينه وكذلك من حلف بالعتاق ، وكذلك قال طائفة من أصحاب أبى حنيفة والشافعى قالوا : إن

من قال الطلاق يلزمنى لا يقع به طلاق ومن حلف بذلك لا يقع به طلاق وهذا منقول عن أبى حنيفة نفسه ٠

وطائفة من العلماء قالوا : إن الحلف بالطلاق لا يقع به طلاق ولا تلزمه كفارة وقد ثبت عن الصحابة وأكابر التابعين فى الحلف بالعتق أنه لا يلزمه بل تجزئه كفارة يمين وأقوال الأئمة الأربعة بخلافه فالحلف بالطلاق بطريق الأولى ولهذا كان من هو من أئمة التابعين يقول : الحلف بالطلاق لا يقع به طلاق ويجعله يمينا فيه كفارة [١] ٠

ملحوظة :

إنه يجرى البحث عن أى حكم فى القرآن ، فإذا لم يوجد الحكم فيه وجب الرجوع إلى السنة ، فإذا لم يوجد فيها الحكم لزم الرجوع إلى إجماع المجتهدين فى أى عصر من العصور ، فإن لم يوجد إجماع على حكم وجب الرجوع إلى القياس وهو مصدر من مصادر التشريع الإسلامى ٠

(الكتاب والسنة أو الوحيان ينظرفيهما معا لأن الكتاب وحده لا يستقل بالتشريع فإن السنة إما مقررة أو مبينة أو زائدة على ما ورد فى الكتاب) ٠

كما توجد أدلة أخرى محل اختلاف بين العلماء تبلغ خمسة وأربعين دليلا من أشهرها سبعة أدلة هى :

الاستحسان ، والمصلحة المرسلة ، وسد الذرائع ، والاستصحاب والعرف ومذهب الصحابى ، وشرع من قبلنا [٢] ٠

* * *

---

(١) من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جريدة المسلمون ، العدد ٤٩٢ ، الجمعة ٢٩ المحرم ١٤١٥ هـ ، ٨ يوليو ١٩٩٤ م ٠

(٢) أحمد حسن الباقورى ، معالم الشرعة ، ص ٤٢ ٠

الفصل الثانى

الجهاد فى سبيل الله

- تمهيد .
- المبحث الأول : الغاية من القتال وأهدافه وأحكامه .
- المبحث الثانى : أطوار الجهاد فى الإسلام .
- المبحث الثالث : فضل الجهاد والمجاهدين وعاقبة ترك الجهاد .



الفصل الثانى

الجهاد فى سبيل الله

● **تمهيد** :

الجهاد فى سبيل الله من أعظم الطاعات ومن أفضل ما يتقرب به المتقربون بعد الفرائض ، والجهاد لا ينتهى لأنه ماض إلى يوم القيامة ، وقد فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة .

« والجهاد كلمة جامعة شاملة يدخل فيها جميع أنواع السعى وبذل الجهد واستخدام شتى الوسائل والقوى المشروعة لإحداث التغيير الذى ينبغى إحداثه للدعوة إلى الله المنزلة إلى بنى البشر » (١) .

والجهاد أصله لغة : المشقة ، وهو مشتق من الجهد : وهو التعب والمشقة ، ومن الجُهد : وهو الطاقة (٢) .

كما أن الجهاد وهو بذل الوسع وغاية الجهد لنيل أكبر مطلوب له أنواع وأشكال عديدة والقتال أحد أنواع وأشكال الجهاد ، وكل نوع من أنواع الجهاد له قيمته ومنزلته وهى كلها متعلقة على إحراز النصر فى المعركة .

والجهاد بمعناه العام والشامل ماض إلى يوم القيامة فى ميادينه الواسعة وبأساليبه المتعددة ، لقوله ﷺ :

« الجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل » . (رواه أبو داوود) .

---

(١) أبو الأعلى المودودى ، الجهاد فى سبيل الله ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

(٢) عطية عبد الرحمن عظيم ، عدة المجاهدين فى الكتاب والسنة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

ونظرا لأهمية القتال فى سبيل الله (الجهاد فى سبيل الله) سوف نركز عليه فى دراستنا هذه وسوف نتناوله بالتفصيل فى ثلاثة مباحث كالآتى :

١ – المبحث الأول : ويتناول الغاية من القتال وأهدافه وأحكامه ٠

٢ – المبحث الثانى : يبحث فى أطوار الجهاد فى الإسلام ٠

٣ – المبحث الثالث : ويتناول فضل الجهاد والمجاهدين وعاقبة ترك الجهاد ٠

* * *

المبحث الأول

الغاية من القتال وأهدافه وأحكامه

أولا - الغاية من القتال وأهدافه :

١ - القتال فى الإسلام هو قتال فى سبيل الله ويعبر عنه بالجهاد فى سبيل الله والغاية منه : هى جعل كلمة الله هى العليا .

والقتال فى سبيل الله لنصرة الحق وإعزازه وخذلان الباطل ودفع كيده وجعل كلمة الله هى العليا لا طلبا لمغنم أو بغرض توسع لتمكين جاه أو سلطان فهو جهاد فى سبيل الله خالص لوجهه وهو ما يوضح فلسفة استخدام القوة فى الإسلام .. وعن أبى موسى الأشعرى قال : « قال رسول الله ﷺ : (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) .. متفق عليه .

وسبيل الله حسب القرآن والسنة يتبلور فى الآتى [١] :

(أ) التوحيد فى مجال العقيدة : وهو ما يشير إليه عز وجل بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الانبياء : ٢٥] .

(ب) الرحمة فى المجال الأخلاقى ، وهو ما يشير إليه عز وجل بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الانبياء : ١٠٧] .

(جـ) العدل فى مجال التشريع ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

---

(١) عبد الحليم محمود ، إرادة القتال والجهاد فى سبيل الله ، كتاب الجمهورية الدينى ، ص ٢٤ - ٢٥ .

ويجمل رسول الله ﷺ رسالته فى قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وهذا ما يوضحه سبحانه وتعالى موضحا سبيله أمرا ونهيا .

٢ - والجهاد فى سبيل الله هو الخير والعدل والحق وجعل لأن يكون الدين كله لله وأن لا تكون فتنة ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة الذين ينالون من عنف الطغاة وبغيهم الشر الكثير فيتضرعون إلى الله سبحانه وتعالى أن ينقذهم من الظلم ، ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمات ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٥ - ٧٦] .

ويقول تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٤] .

إذن فالجهاد فى سبيل الله رسالة كلفت الأمة الإسلامية بالإيمان بها والقيام عليها والتبشير بها وتدعيمها فى الأنفس [١] .

ولو فتحت الأقطار أبوابها للدعوة والتبشير بمبادئها وهى توحيد وعدل ورحمة ولو آمنت بها الجماعات والشعوب وهى حق وخير ولو اعتنقها الأفراد والأمم وفيها خيرهم وسعادتهم لما احتاجت الأمة الإسلامية إلى الجهاد بالسيف ولما كان قتال فى سبيل الدعوة ، ولكن المشركين لم يستجيبوا إلى التوحيد والعدل ولم يستجيبوا إلى الفضيلة وإلى مكارم الأخلاق ولم يأخذوا الموقف

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تعريف الجهاد فى سبيل الله ، انظر السيد سابق ، فقه السنة ، الجزء الثالث .

السلبى من الدعوة فحسب ، بل استمروا فى ظلمهم وطغيانهم وجبروتهم فعذبوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم فنزلت الآية الكريمة :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج : ٣٩ ، ٤٠] .

لقد بغى المشركون وأخرجوا النبى ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة .

٣ – أسباب الإذن بالقتال أسباب عامة نعبر عنها بأسباب الجهاد الإسلامى فى سبيل الله فى كل زمان وفى كل بيئة وهى :

(أ) منع الظلم على وجه العموم (الظلم فى صوره البشعة المتعددة) منها إخراج الأبرياء والآمنين من ديارهم ومن أموالهم أو إبقائهم فى حالة من الذل ومن الاستعباد لا ترضى إنسانية ولا خلقا كريما ، وهى أيضا الانحراف عن الحق والخير وعن التوحيد والعدل .

(ب) الدفاع عن حقوق الإنسان وحريته وإقامة العدل من أجل تحقيق رسالة الإنسان فى الأرض ليبنى ويعمر لا ليهدم ويخرب فالإسلام ينشد السلام وينبذ الحرب ويكرهها .

فالحرب إذن كره للمسلمين ولكنها مفروضة عليهم من قبل أعدائهم وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ، يقول تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

(جـ) الدفاع عن الدين وفى سبيل الله تحقق السلام وهو خير للبشرية جمعاء وليس للمسلمين وحدهم ، فهى مدافعة للشر واستجلاب للخير وما أمر الله فى كتابه العزيز من إعداد القوة إلا لإرهاب العدو لمنعه من التفكير فى القتال أو الشروع فيه وليس حرصا على القتال فى حد ذاته ولكن للحيلولة دون وقوعه وهو ما يعبر عنه حديثا بالردع . ويقول تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

٤ - إن مجمل غاية القتال وأهدافه فى الإسلام نلخصها بإيجاز شديد فى الآتى :

(أ) نشر الدين الإسلامى ٠

(ب) رد الاعتداء عن المسلمين وعودتهم إلى ديارهم التى أخرجوا منها ٠

(جـ) صد الفتنة (الشرك) ويجب على المسلمين صد الشرك ومحاربته لأنه (أشد من القتل) ٠

ثانيا - حكم الجهاد فى الإسلام :

الجهاد فى سبيل الله من أعظم الطاعات ومن أفضل ما تقرب به المتقربون بعد الفرائض وأحكامه كالآتى :

١ - الجهاد فرض كفاية : وليس فرضا على كل فرد من المسلمين وإنما هو فرض على الكفاية إذا قام به البعض واندفع به العدو وحصل به الغناء سقط عن الباقين ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] ٠

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [النساء : ٧١] [1] ٠

ويقول تعالى : ﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥] ٠

ولأن الجهاد لو وجب على الكل لفسدت مصالح الناس الدنيوية ، فوجب أن لا يقوم به إلا البعض وأن ما ينطبق على الأفراد ينطبق على الدول الإسلامية

---

(١) النفير : هو الخروج لقتال الكفار ٠

فإذا كانت الدولة المعتدى عليها قادرة على الدفاع وقتال العدو دون حاجة فبقية الدول الإسلامية يكون عليها الجهاد فرض كفاية .

وقد أوجب الإسلام أن يؤدى كل مسلم واجبه بالقدر الذى يستطيعه ، ففى الحديث الشريف : « من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » . (رواه مسلم) .

وفيه : « من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » . (رواه البخارى ومسلم) .

وفيه : « أن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر فى الجنة ، صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومُندّله » (رواه ابو داوود) (١) .

٢ - الجهاد فرض عين فى الحالات الآتية (٢) :

(أ) أن يحضر المكلف صف القتال ، فإن الجهاد يتعين فى هذه الحال يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ [الانفال : ٤٥] .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُم الأَدْبَارَ ﴾ [الانفال : ١٥] .

(ب) إذا حضر العدو المكان أو البلد الذى يقيم به المسلمون ، فإنه يجب على أهل البلد جميعا أن يخرجوا لقتاله ، ولا يحل لأحد أن يتخلى عن القيام بواجبه نحو مقاتلته إذا كان لا يمكن دفعه إلا بتكتلهم عامة ، ومناجزتهم إياه ... يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الكُفَّارِ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

(جـ) إذا استنفر الحاكم أحدا من المكلفين ، فإنه لا يسعه أن يتخلى عن الاستجابة إليه لما رواه ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » (رواه البخارى) .

أى إذا طلب منكم الخروج إلى الحرب فاخرجوا .

---

(١) مُندّلة : أى الذى يناوله الرامى أو يجهزه ليقوى على القتال .

(٢) السيد سابق ، فقه السنة ، الجزء الثالث ، مكتبة المسلم ، ص ٣١ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ، أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [التوبة : ٣٨] ٠

٣ – الواجب على المسلمين حكومات وشعوبا أن يكونوا على استعداد دائم لرد العدوان عليهم والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ، اللهُ يَعْلَمُهُمْ ٠٠٠٠ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ٠

فهو استعداد يجعل للدولة الإسلامية هيبة بجيشها القوى الذى يرهبه العدو ولا يفكر فى العدوان على الوطن ، وليس معنى الإرهاب هنا العدوان ولكن بمعنى الردع ، لأن السلام هو الأصل فى دعوة الإسلام ٠

إن ما ينطبق على الأفراد فى الجهاد ينطبق على الدول الإسلامية أيضا أى إذا لم يتمكن الجيش والشعب للدولة المعتدى عليها رد العدوان وجب الجهاد على من يليهم من الدول الإسلامية فجميعها مكلفة بمساعدة الدولة وكذلك يجب على المسلمين جميعا إذا ما وصل العدو ديارهم حتى تسترد الأرض وتصان الحرمات والمقدسات ٠

ملحوظة :

ليس يخفى أن الأوضاع الحالية لما يسمى بالدول الإسلامية إنما هى أوضاع فرضها الاستعمار لتمزيق شمل الدولة الإسلامية الكبرى ، ففكرة التفريق مرفوضة إسلاميا ، إنما فرضها المستعمر ليسهل عليه السيطرة على مقدرات الدولة الإسلامية ٠

ولقد ربط الله سبحانه وتعالى الإيمان بالجهاد فى صورة متماسكة لا انقسام لها بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه ٠

إن عقد الإيمان الذى بين المؤمنين وبين الله جل شأنه من أهم شروطه أن يبيع المؤمنون بمقتضى العقد أنفسهم وأموالهم مجاهدين بذلك فى سبيل الله وثمن ذلك إنما هو الجنة ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم

بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

ثالثا – تحديد العدائيات والتهديدات :

١ – لقد حدد الله عز وجل أعداء الإسلام والمسلمين الذين يجب قتالهم من الإنس والجن فى الآتى :

(أ) الذين يقاتلون المسلمون ويعتدون عليهم :

يقول تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

(ب) الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم :

يقول تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ، وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ ، وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُم فِيهِ ، فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩١ ، ١٩٢] .

(جـ) المفتنون : أى المشركون الذين لا يؤمنون بما أنزل الله على رسوله ﷺ والذين يفتنون المسلمين عن دينهم حتى يقتلوا أو يؤمنوا .

يقول تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ ، فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

ويقول تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ ، فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

(د) المشركون كافة حتى يقتلوا أو يؤمنوا :

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ، فَلاَ تَظْلِمُوا

فيهِنَّ انفُسَكُمْ ، وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

ويقول تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥] .

(هـ) أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق حتى يدفعوا الجزية :

ويقول تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

ويقول تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة : ٨٢] .

وهذا ما يوضحه الله سبحانه وتعالى ، أن اليهود مثل الذين أشركوا أشد الناس عداوة للمؤمنين .

وهذا توضيح من الله سبحانه وتعالى أن اليهود مثل المشركين يكرهوننا ويعادوننا وصدق الله العظيم : ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ المُشْرِكِينَ أن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٠٥] .

ويقول تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

ويقول تعالى : ﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٦٢] .

ويقول تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ويقول تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤] .

ويقول تعالى : ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٩] .

مما سبق يتضح أن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين ومن صفاتهم الحقد والبغضاء وقسوة القلب وموت الضمير والفساد ونقض العهود ، يقول تعالى : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٠] .

ويقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴾ [الانفال : ٥٦] .

ويقول تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣] .

٢ – خصص الله وحده عداوة الشيطان للإنسان فى القرآن الكريم كالآتى :

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] [١] .

ويقول تعالى : ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الاعراف : ٢٢] .

ويقول تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا

---

(١) الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً . . . ﴾ اى فى شرائع الإسلام كلها فالسِّلم هنا بمعنى الإسلام والكلمة تدل أيضا على السلم مقابل الحرب (﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾) ولكن كلمة (السلم) فى آية البقرة مقصود بها الإسلام اى طلب تطبيق شرائعه كلها .

وَلاَ تَقْرَبَا هَذِه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِه الشَّجَرَةِ إِلاَّ أن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [الاعراف : ١٩ – ٢٤] ٠

يقول تعالى : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُص رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف : ٥] ٠

ويقول تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣] ٠

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] ٠

ويقول تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٠] ٠

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦١] ٠

يقول تعالى : ﴿ وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف : ٦٢] ٠

لقد نشأت عداوة إبليس لبني آدم من قديم الزمن حين وسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في الذلة والمخالفة لأمر الله ، وهذا يشير إليه قول الله تعالى : ﴿ يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الاعراف : ٢٧] ٠

ولقد ذكر الله قصة آدم مع إبليس وخروجه من الجنة وهبوطه إلى الأرض فى سورة الأعراف كنموذج للصراع بين الخير والشر والحق والباطل وبيان لكيد إبليس لآدم وذريته وإنه لهم العدو المبين ، وهذا ما يشير إليه قول الله عز وجل : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذه الشَّجَرَةِ إِلاَّ أن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ، فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ، وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٩ – ٢٤] .

ويبين الله لعباده المؤمنين أن الشيطان يفسد من الناس بالشر ويشعل نار الفتنة بالكلمة الخبيثة يفلت بها اللسان فعليهم فى محاوراتهم أن يقولوا الكلمة الطيبة ويختاروا من الكلام الطفه وأحسنه وينطقوا دائما بالحسنة لأن الشيطان يتلمس للإنسان سقطات لسانه ليحدث العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه . . وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمات من سورة الإسراء : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

ومما سبق يتضح أن الشيطان هو العدو المبين للإنسان هو وأولياؤه ، فعلى المؤمنين أن يقاتلوا أولياء الشيطان وهو ما تشير الآية الكريمة من سورة النساء : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[النساء : ٧٦] .

وجهاد الشيطان يكون بدفع ما يأتى به من الشبهات وترك ما يرينه من

الشهوات يقول تعالى : ﴿ وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] ٠

رابعا – انتهاء الحرب :

لا ينتهى الجهاد لانه ماض إلى يوم القيامة ، ولكن تنتهى الحرب بالنسبة لجماعة من الجماعات وذلك بانتهاء الغرض منها (استنفاد غرض الحرب) وتحقيق الهدف المقصود ، أو بصلح دائم أو التمكين أو الموادعة ، أما بالنسبة لاهل الكتاب والنصارى واليهود فبدخولهم فى الإسلام ٠٠ وسنوضح ذلك تفصيلا فيما يلى :

١ – استنفاد غرض الحرب :

ينتهى المسلمون من الحرب بأن يسلم الذين أرسلت الجيوش لقتالهم ، أو يعقدوا عقد ذمة أو يستسلموا ويطلبون الأمان فرادى أو جماعات أما إذا كانت الهزيمة للمسلمين ، فلا يجوز لهم الاستسلام والخضوع وإن كان يجوز لهم الموادعة المؤقتة ٠ وينبغى عليهم المبادرة إلى إزالة آثار الهزيمة واستعادة القوة والمباداة ومواصلة تحقيق غرض الحرب كما فعل الرسول ﷺ مثلا ، بعد هزيمة المسلمين أول الأمر فى أحد ، ثم منَّ الله عليهم بالنصر فى النهاية ٠

٢ – الصلح الدائم :

الصلح الدائم يكون بالنص على الدوام أو بعدم توقيته بمدة معينة والصلح الدائم جائز فى رأى جمهور العلماء ولم يجىء فى نصوص القرآن ما يمنعه ودوامه يعد من موجبات الوفاء بالعهد ولا يصح نقضه وإلا كان غدرا ، فإن تبين المسلمون أن الأعداء المتصالحين يستعدون فعلا للانقضاض على المسلمين ، يطرح لهم عهدهم ، مع بيان الأسباب المبررة ، ليكونوا على علم وليستطيعوا الرد إذا لم تكن الأسباب صحيحة (١) .

---

(١) محمد أبو زهرة ، العلاقات الدولية فى الإسلام ، ص ١٠٩ – ١١١ ٠

٣ - التحكيم :

يجوز إنهاء الحرب بالتحكيم سواء أكانت الحرب بين المسلمين بعضهم البعض أو بينهم وبين غير المسلمين وطالما نزل العدو على ما يقضى به التحكيم فإن الحرب تنتهى معه ، وقد انتهت الحرب فى العهد النبوى بين المسلمين وبنى قريظة بالتحكيم .

٤ - الموادعة :

إن الموادعة هدنة مؤقتة فى فترة القتال ، وقد تنتهى إلى صلح دائم أو يستأنف القتال بعدها والموادعة واجبة على المسلمين فى حالتين :

الحالة الأولى :

وهى حلول الأشهر الحرم (ذو القعدة - ذو الحجة - المحرم - رجب) وفيها لا يحل للمسلمين أن يبدءوا القتال إلا إذا كان دفعا لاعتداء داهم لا يمكن السكوت عليه وكذلك إذا كانت الحرب قائمة فى هذه الأشهر ، ولا يستجيب العدو للموادعة فيها وأنه لا يؤمن بخرقها أصلا كما كان الحال فى قتال الفرس والروم .

الحالة الثانية :

إذا طلب العدو عقد موادعة فمن واجب المسلمين إجابته إلى طلبه ولو كان المسلمون يعلمون أن العدو إنما يتخذ من المهادنة سبيلا للاستعداد ولكن يجب مع ذلك الحذر فى هذه الحال [١] .

٥ - بالنسبة لأهل الكتاب :

بالنسبة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فلا ينتهى القتال معهم إلا بدخولهم الإسلام [٢] ، أو إعطاؤهم الجزية للمسلمين .

وذلك عملا بقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

---

(١) محمد أبو زهرة : مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٩ - ١١٨ .

(٢) د . ياسين سويد ، الفن العسكرى الإسلامى ، أصوله ومصادره ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] ٠

وقال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ٠

وقوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » ٠

وقد اختلف الفقهاء فى أمر الجزية ، فقال الشافعى إنها لا تؤخذ من المشركين لقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ولم يقل « حتى يعطوا الجزية » ٠

كما قال فى أصل الكتاب وقال آخرون (مثل أبى ثور وأبى حنيفة وأصحابه) إنها لا تؤخذ من المجوس عملا بقول الرسول ﷺ « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » ٠

ويرى الأوزاعى ومالك أنها تؤخذ « من كل عابد وثن أو نار أو جاحد أو مكذب » و « من جميع أجناس الشرك والجحد » ٠(القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن جـ ٨ : ١١٠) ٠

إن الإسلام إذا انتصرت جيوشه لا يقول (ويل للمغلوب) لأنه لا يحارب لعصبية ولا لنزعة عنصرية أو لانحياز إقليمى أو لغلب اقتصادى ولكنه يحارب لمعنى إنسانى عال ، وهو فتح الأبواب للحرية الدينية وللمبادئ العالية ليسير فى طريق الدعوة ٠

فالإسلام لا يقول (ويل للمغلوب) ولكن يقول (رحمة بالمغلوب) وهو ما فعله رسول الله ﷺ بقريش بعد فتح مكة ، فقد قال لأهل مكة بعد أن انتصر عليهم وهزمهم :

« ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : أقول لكم ما قال أخى يوسف عليه السلام لإخوته : ﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[يوسف:٩٢] اذهبوا فأنتم الطلقاء » [١] ٠

* * *

(١) محمد أبو زهرة ، الجهاد الإسلامى ، جهاد من أجل المبادئ ، إرادة القتال والجهاد فى سبيل الله ، ص ٨٨ – ٨٩ ٠

المبحث الثانى

أطوار الجهاد فى الإسلام

مر الجهاد فى الإسلام بأطوار ثلاثة كالآتى [1] :

١ - **الطور الأول** : الإذن للمسلمين في الجهاد من غير إلزام لهم به كما فى قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] .

٢ - **الطور الثانى** : الأمر بقتال من قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم وفى هذا النوع نزل قوله تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ، قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ، فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ، وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ، فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٨٩ ، ٩٠] .

مما سبق يتضح أن الحرب فى الإسلام استثناء وأن السلام هو القاعدة التى عمق الإسلام جذورها فى نفوس المسلمين فأصبحت جزءا من كيانهم ، فالسلام اسم من أسماء الله الحسنى سبحانه وتعالى لأنه يؤمن الناس ويطمئنهم وينزل

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، فضل الجهاد والمجاهدين وموقف اليهود من الإسلام ، المملكة العربية السعودية ، وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة ، إدارة الشئون الدينية من النوعية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، عام ١٣٩٤ هـ ، ص ٤٠ - ٤٣ .

عليهم السكينة بما شرع لهم من مبادئ ويمارس من خطط ومناهج . ولقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان وهم أهل السلم ومحبو السلام وفى الحديث أن رسول الله ﷺ يقول : « إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا » .

وتحية الله للمؤمنين تحية سلام : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » .

وتحية الملائكة للبشر فى الآخرة سلام : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم » ومستقر الصالحين دار السلام « والله يدعو إلى دار السلام » .

ويقول تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِم ﴾ .

والحرب فى الإسلام هى الاستثناء فلا مسوغ لهذه الحرب مهما كانت الظروف إلا فى إحدى حالتين [1] :

(أ) حالة الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن عند الاعتداء فقد أمر الله بقتال الذين يبدؤون بالعدوان ومقاتلة المعتدين لكف عدوانهم والمقاتلة دفاعا عن النفس أمر مشروع فى كل الشرائع وفى جميع المذاهب ومن يقتل فى حالة الدفاع فهو شهيد ، عن سعد بن يزيد أن النبى ﷺ قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » (رواه أبو داود والترمذى والنسائى) .

(ب) حالة الدفاع عن الدعوة إلى الله إذا وقف أحد فى سبيلها بتعذيب من آمن بها أو بصد من أراد الدخول فيها أو يمنع الداعى من تبليغها وهو ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ، وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ، فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ

---

(١) السيد سابق ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .

رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠ – ١٩٣] .

إن للحرب المشروعة فى الإسلام غاية تنتهى إليها ، وهى منع فتنة المؤمنين والمؤمنات بترك إيذائهم وترك حرياتهم ليمارسوا عبادة الله ويقيموا دينه وهم آمنـون على أنفسـهم من كل عـدوان ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٧٥] .

وقد بينت هذه الآية سببين من أسباب القتال [١] :

أولهما : القتال فى سبيل الله وهو الغاية التى يسعى إليها الدين ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

وثانيهما : القتال فى سبيل المستضعفين ، الذين أسلموا بمكة ، ولم يستطيعوا الهجرة فعذبتهم قريش وفتنتهم حتى طلبوا من الله الخلاص فهؤلاء لا غنى لهم عن الحماية التى تدفع عنهم أذى الظالمين وتمكنهم من الحرية فيما يدينون ويعتقدون .

ويقول تعالى : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٩٠] .

فهؤلاء القوم الذين لم يقاتلوا قومهم ، ولم يقاتلوا المسلمين واعتزلوا محاربة الفريقين وكان اعتزالهم هذا اعتزالا حقيقيا يريدون به السلام ، فهؤلاء لا سبيل للمؤمنين عليهم .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * وَإِن يُرِيدُوا أن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ ، هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦١ ، ٦٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

وهذا يوضح الأمر بالجنوح إلى السلم إذا جنح العدو إليه ، حتى ولو كان جنوحه خداعا ومكراً .

٣ - **الطور الثالث** : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم فى بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير أهل الأرض وتتسع رقعة الإسلام ويزول عن طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد وينعم العباد بحكم الشريعة العادل وتعاليمها السمحة وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام وعبادة الخالق سبحانه وتعالى ، ومن ظلم الجبابرة إلى عدول الشريعة وأحكامها الرشيدة . وهذا هو الذى استقر عليه أمر الإسلام وتوفى عليه نبينا محمد ﷺ وأنزل الله فيه قوله عز وجل فى سورة براءة (التوبة) وهى من آخر مانزل :

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥] .

وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل » (متفق على صحته من حديث ابن عمر رضى الله عنهما) .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به » .

وقد ذهب البعض من أهل العلم إلى أن الطور الثانى وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قد نسخ لأنه كان فى حالة ضعف المسلمين فلما قوَّاهم الله وكثر عددهم وعدتهم أمرهم بقتال من قاتلهم ومن لم يقاتلهم حتى يكون الدين لله وحده أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها .

وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الطور الثانى لم ينسخ بل هو باق يعمل به عند الحاجة إليه ، فإذا قوى المسلمون واستطاعوا بدء عدوهم بالقتال

وجهاده فى سبيل الله فعلوا ذلك عملا بآية التوبة وما جاء فى معناها أما إذا لم يستطيعوا ذلك فإنهم يقاتلون من قاتلهم واعتدى عليهم ويكفون عمن كف عنهم عملا بآية النساء وما ورد فى معناها . وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله (١) .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز :

« وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتّاب وغيرهم أن الجهاد شرع للدفاع فقط قول غير صحيح والأدلة التى ذكرنا وغيرها تخالفه ، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من سيرة النبى ﷺ وسيرة أصحابه – رضى الله عنهم – فى جهاد المشركين اتضح لهم ما ذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما أسلفنا من الآيات والأحاديث والله ولى التوفيق » (٢) .

ويرى الشيخ السيد سابق :

« إن المقاتلة دفاعا عن النفس أمر مشروع فى كل الشرائع وفى جميع المذاهب وهذا واضح من قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم ﴾ أما الذين لا يبدؤون بعدوان فإنه لا يجوز قتالهم ابتداء ، لأن الله نهى عن الاعتداء وحرم البغى والظلم فيقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْتَدُوا، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ ﴾ وتعليل النهى عن العدوان بأن الله لا يحب المعتدين دليل على أن هذا النهى حكم غير قابل للنسخ لأن هذا إخبار بعدم محبة الله للاعتداء والإخبار لا يدخله النسخ لأن الاعتداء هو الظلم ، والله لا يحب الظلم أبدا »(٣) .

* * *

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، مرجع سبق ذكره .

(٢) المرجع السابق .

(٣) السيد سابق ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .

المبحث الثالث

فضل الجهاد والمجاهدين وعاقبة ترك الجهاد

أولا – فضل الجهاد والمجاهدين :

ذخر القرآن الكريم بالكثير من الآيات التى تبين فضل الجهاد والمجاهدين كما تضمنتها السنة النبوية بالكثير من الأحاديث ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ، إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ، فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا ، نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٠ – ١٣] ٠

وفى حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة – رضى الله عنهم – أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالى سورة الصف ومن جملتها هذه الآيات ٠

وذكر المبشرون أن التجارة التى وردت فى الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هى تجارة عظيمة لن تبور وتخلصهم وتنقذهم من عذاب شديد مؤلم ثم وضح عنده التجارة بقوله تعالى :

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى تؤمنون إيمانا صادقا لا يشوبه شك ولا نفاق وتجاهدون أعداء الدين بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله ٠

كما قال المفسرون : جعل الإيمان والجهاد فى سبيله (تجارة) تشبيها لهما

بالتجارة فإنها عبارة عن مبادلة شئ بشئ طمعا فى الربح ومن آمن وجاهد بماله ونفسه فقد بذل ما عنده وما فى وسعه لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه والنجاة من أليم عقابه فشبه هذا الثواب والنجاة من العذاب بالتجارة لقوله تعالى فى سورة التوبة :﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ .

إن الإيمان والجهاد فى سبيل الله خير لكم من كل شىء فى هذه الحياة إن كان عندكم فهم وعلم وإن فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم : أى يسترها عليكم ويمحوها بفضله عليكم ويدخلكم حدائق وبساتين تجرى من تحت قصورها أنهار الجنة ، « ومساكن طيبة فى جنات عدن » أى ويسكنكم فى قصور رفيعة فى جنات الإقامة .

والخلاصة : يقول رب العزة : إنه إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبة والدرجات العالية « ذلك الفوز العظيم » أى ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه والسعادة الدائمة الكبيرة التى لا سعادة بعدها .. « وأخرى تحبونها » أى وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى : ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ أى إذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم ويقول الله تعالى :﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ . ويقول تعالى : ﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ أى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصولة بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ ﴾ أى وبشر يا محمد المؤمنين بهذا الفضل المبين ، قال فى البحر (تفسير البحر الوسيط) : « لما ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب فى الآخرة ، ذكر لهم ما يسرهم فى العاجلة ، وهى ما يفتح الله عليهم من البلاد فهذه خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة » .

وفيها يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

والمعنى (أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) بأن يبذلوها فى طاعته كالجهاد (بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) جملة استئناف بيان للشراء وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول أى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى (وعدا عليه حقًّا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى منه (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة (ببيعكم الذى بايعتم به وذلك) البيع (هو الفوز العظيم) لنيل غاية المطلوب (١) .

ويقول تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَأَنفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥] .

وهناك الكثير من الآيات التى تناولت الجهاد وفضل المجاهدين فلفظ الجهاد بمشتقاته تكرر أكثر من ٣٥ مرة ، فى ٣٢ آية منها ٩ آيات مؤكد نزولها فى العهد المكى ، ٢٣ آية نزلت فى العهد المدنى وقد ورد لفظ الجهاد فى صيغة المفرد ٩ مرات وفى صيغة الجمع ٢٦ مرة (٢) .

أما الأحاديث التى وردت فى فضل الجهاد والمجاهدين فهى كثير أيضا ومنها :

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : « قال رسول الله ﷺ : مثل المجاهد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله – كمثل الصائم القائم وكفل الله للمجاهد فى سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر وغنيمة » (أخرجه مسلم فى صحيحه) وفى لفظ له : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق رسلى فهو على ضامن

---

(١) تفسير الجلالين ، مكتبة المثنى بيروت ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ص ٢٦٨ .

(٢) انظر : محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

أن أدخله الجـــنة أو أرجعـــه إلى مســـكنه الذى خـــرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » .

وفى الصحيحين عن سهل بن سعد – رضى الله عنه – قال : « قال رسول الله ﷺ : (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

وعن أبى عيسى بن جبر الأنصارى – رضى الله عنه – قال : « قال رسول الله ﷺ « ما أغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار » (رواه البخارى فى صحيحه) وفيه أيضا عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : « قال رسول الله ﷺ : (إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : « قال رسول الله ﷺ : « من مات ولم يغزو لهم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق » (١) .

ثانيا – عاقبة ترك الجهاد :

إن القعود عن نصرة الحق المهيض لا يؤخر أجلا مقضيًا ولا يمنع وعدا مأتيا والمرء قد يفر ظنا منه أن فى الفرار نجاته فيكون فيه هلاكه ، وما قيمة الحياة مع الذلة ، وقعود المسلمين عن نصرة إخوانهم هنا وهناك يخرجهم من مغفرة الله ورحمته وقد وعد بها المجاهدين ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥ ، ٩٦] .

وإذا تعين الجهاد لاقتطاع جزء من أرض الإسلام فقد وجب الزحف ، ومن فرَّ فقد أتى كبيرة من أكبر الكبائر ، وقد رهب الرسول الكريم من الفرار من الزحف ، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « اجتنبوا السبع

---

(١) لمزيد من التفاصيل فى فضل الجهاد والمجاهدين ، انظر : فقه السنة للشيخ السيد سابق الجزء الثانى ، فضل الجهاد ، ص ٣٥ – ٤٠ .

الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الإشراك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (متفق عليه) .

وقد شدد الرسول ﷺ النكير على من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو ، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » رواه مسلم وأبو داود والنسائى وذلك لأنه لم يثق بوعد الله ويوقن بأن نفسا لن تؤخر إذا جاء أجلها ولن تستقدم إذا لم يحن موتها .

وعن أبى بكر – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب » رواه الطبرانى بسند حسن .

وترك الجهاد إهلاك من الناس لأنفسهم لأن أعداءهم إذا تجرأوا عليهم استباحوا منهم كل غال ، واستعبدوهم ولم يرهبوهم ، ورخصت بلادهم وأعراضهم .

وفى بيان مضار القعود عن الجهاد يرد قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ، أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٨ ، ٣٩] .

ذكر القرآن الكريم طوائف قعدت عن الجهاد منها :

١ – الراضون بالحياة الدنيا المطمئنون لها الغافلون عن آيات الله فى خلقه وهؤلاء ساء مصيرهم وخاب سعيهم ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ٧ ، ٨] .

٢ – والراضون بأن يكونوا مع الخوالف لا ينشطون لجهاد ولا يحمون لدين

ولا يغيثون وطنا ، وهؤلاء يقول عنهم رب العزة : ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨٧] .

٣ – والمشغولون بأموالهم وأهليـهم القائلون كما حـكى القرآن الكريم : ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ [الفتح : ١١] .

٤ – والذين تقع قلوبهم تحت أقدامهم من الخوف حين يدعون إلى قتال قوم أولى بأس شديد ، لأنه يحـتاج إلى عزائم شداد ، وأنى للمرعوب بالعزم الشديد ؟ .

ويقول الدكتور محمد محمود متولى :

« إن الراضين بالحياة الدنيا المطمئنين لها والراضين بأن يكونوا مع الخوالف والمشغولين بأموالهم وأهليهم والذين تقع قلوبهم تحت أقدامهم من الخوف كل أولئك أدوا إلى ما تراه من ضعف الأمة واستكانتها » (١) .

قد نهى الإسلام عن الوهن ، والدعوة إلى السلم ، طالما لم تصل الأمة إلى غايتها ولم تحقق هدفها ، اعتبر السلم فى هذه الحالة لا معنى له إلا الجبن ، والرضا بالدون من العيش وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٥] .

أى الأعلون : عقيدة ، وعبادة ، وخلقا وأدبا وعلما وعملا . إن السلم فى الإسلام لا يكون إلا عن قوة واقتدار . ولذلك لم يجعله الله مطلقا بل قيده بشرط أن يكف العدو عن العدوان وبشرط ألا يبقى ظلم فى الأرض ، وألا يفتن أحد فى دينه . فإذا وجد أحد هذه الأسباب ، فقد أذن الله بالقتال فالله سبحانه ينتدب هذه الأمة إلى بذل أقصى ما فى وسـعها فيقول : ﴿ وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج : ٧٨] ويوضح أن هذه سنن الله مع المؤمنين ، وأنه ليس للنصر ولا للجنة سبيل غيره ، فيقول :

(١) دكتور محمد محمود متـولى ، الجهاد وكرامة الأمة الإسلامية ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٣٢٦ – شوال ١٤١٣ هـ الموافق إبريل (نيسان) ١٩٩٣ م .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ، مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ، أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

ويذكر المؤمنين بأنهم إن كانوا يألمون فإن عدوهم يألم كذلك مع الاختلاف الواضح بين هدف كل منهم ، ويقول الله تعالى فى هذا :

﴿ وَلاَ تَهِنُوا فِى ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ، إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَالاَ يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

استثناء من التعبئة العامة :

١ - طلبة العلم المستمرون فى دراستهم :

يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

٢ - المرضى وأصحاب العاهات (الأعمى والأعرج والمريض) :

﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٧] .

٣ - العجزة والمسنون والفقراء والمحتاجون :

يقول تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩١] .

﴿ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] .

* * *

الفصل الثالث

توجيهات القتال فى الإسلام

- تمهيد .
- المبحث الأول : توجيهات أساسية للقتال .
- المبحث الثانى : توجيهات إدارة القتال .
- المبحث الثالث : اقتتال المؤمنين وحكم الله فى البغاة .



توجيهات الإسلام فى القتال

● **تمهيد** :

القتال فى الإسلام هو قتال فى سبيل الله غايته جعل كلمة الله هى العليا ولا مفر للمقاتل المؤمن (المجاهد) من إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة وهى تمثل شعار المقاتل المؤمن .

ولقد حرم الإسلام الغدر والخيانة ومن ثم أوجبت الشريعة الإسلامية إنذار العدو وإعلامه بنية الحرب بعد أن تكون دعوة الإسلام قد بلغته وإلى الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية فإذا كانت هناك معاهدة سابقة بين المسلمين وعدوهم وأوجبت الضرورة قتاله فلا يبدأ القتال إلا بعد نبذ هذا العهد علانية وإعلام العدو بنية القتال . أما إذا نقض العدو العهد من جانبه أو كانت حالة الحرب قائمة بين المسلمين وغيرهم فيحق للمسلمين بدء القتال بدون إنذار مسبق وهو ما يمثل بداية الحرب (إعلان الحرب) .

وحتى يمكن للجهاد تحقيق غايته من القتال وأهدافه المشروعة على أكمل وجه وبأقل خسائر ممكنة والنصر بإذن الله على الأعداء فإن التشريع الإسلامى قد وضع توجيهات للقتال تتضمن قيما سامية تعد أحكاما ملزمة لخوض المعركة وإدارة القتال :

وسوف نتناول هذا الفصل (توجيهات القتال فى الإسلام) فى ثلاثة مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول : توجيهات أساسية للقتال .

المبحث الثانى : توجيهات إدارة القتال .

المبحث الثالث : اقتتال المؤمنين وحكم الله فى البغاة .

* * *

المبحث الأول

توجيهات أساسية للقتال

أولا – الطاعة والولاء الإسلامى :

١ – الطاعة : (طاعة الله وطاعة الرسول وأولى الأمر) :

إن الطاعة أولى دعائم النظام العسكرى والطاعة التى تحددها العقيدة العسكرية الإسلامية هى الطاعة الواعية البصيرة وليست الطاعة العمياء وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة من سورة النساء :

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩] .

وطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ تتحقق بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وطاعة أولى الأمر وهم الذين ائتمنهم الله على من هم فى رعايتهم ممن هم دونهم فى الرتبة إذا كانوا متمسكين بشرع الله إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وفى قوله « منكم » دليل أن أولى الأمر الذين يجب طاعتهم يجب أن يكونوا مسلمين حسًّا ومعنى لحما ودما لا أن يكونوا مسلمين صورة وشكلا .

وإن اختلفتم فى أمر من الأمور فاحتكموا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إن كنتم مؤمنين حقا وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق أى فردوه إلى الله والرسول والغرض منه الحث على التمسك بالكتاب والسنة ، يقول تعالى :
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

ويقول تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وطاعة المرؤوسين لقادتهم واجبة فى غير معصية فقد روى البخارى عن

أبى هـــريرة أن النبـــى ﷺ قال : « من أطاعـــنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعصى الأمير فقد عصانى » (رواه البخارى) .

ويقول الرســـول ﷺ : « الســـمع والطاعة على المرء المســـلم فيما أحب أو كره مالم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » [١] .

ويقول ﷺ : « لا طاعة فى معصية إنما الطاعة فى المعروف » [٢] .

وقد روى عن النبى ﷺ تأكيد هذا المضمون بطرق مختلفة ، ففى رواية قال : « لا طاعة لمن عصى الله » وفى حديث آخر : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » كما قال : « لا طاعة لمن لم يطع الله » .

وقال : « من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه » .

وقال أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – فى خطبة له : « من ولى من أمر أمة محمد ﷺ شيئًا فلم يقم فيهـــم كتاب الله فعـــليه بهلة الله » (أى لعنته) (كنز العمال) .

وعلى هذا الأساس أعلن فى أول خطبة له بعد توليه الخلافة : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » ، وفى رواية أخرى : « فإن عصيت الله ورسوله فاعصونى » (كنز العمال) .

ويقول سيدنا على رضى الله عنه : « حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدى الأمانة فإن فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعـــوا » . وفى زمان خـــلافته رضـــى الله عنه قال فى خطـــبة له : « ما أمرتكم به من طاعة فحق عليكم طاعتى فيما أحببتم وكرهتم وما أمرتكم به من معصية الله فلا طاعة لأحد فى المعصية الطاعة فى المعروف » . (كنز العمال) .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الأحكام ، صحيح مسلم : كتاب الإمارة .
(٢) النسائى : كتاب البيعة ، ابن ماجه : كتاب الجهاد .

ويقول ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن ولّى عليكم عبد حبشى وكأن رأسه زبيبه » ٠

وقد حرص الإسلام على تحقيق جانبى الطاعة فى شخصية المسلم فكلما دعا إلى الطاعة الواعية التى يستخدم فيها الإنسان عقله وتفكيره فقد دعم ذلك عمليا فى العبادات فالصلاة مثلا تجسيد حى للطاعة والنظام فى أجلى صورهما فالإمام وراءه صفوف متراصة يتحركون بتعاليمه ولا يستطيع واحد منهم التصرف من تلقاء نفسه وإلا بطلت صلاته والحج عمليا طاعة ونظام دقيق لأداء المناسك فى وقت ومكان محددين ، وعلى نهج ما رسم ﷺ ففى الصلاة (صلوا كما رأيتمونى أصلى) وفى الحج (خذوا عنى مناسككم) ٠

واحذر أيها المؤمن أن تطيع إنسانا كائنا من كان وضعه أو موقعه إذا أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله ، لا تطعه ولا تخشاه فالله مانعك منه ولن يصل إليك منه إلا ما جرى به القلم فى الأزل ٠

أما ما أحل الله وما حرمه فهو واضح بالكتاب والسنة يقول تعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، أَلاَّ تُشْرِكُوا به شَيْئًا ، وَبالْوَالدَيْن إحْسَانًا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَق ، نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإيَّاهُمْ ، وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحشَ مَا ظَهَرَ منْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالْحَقّ ، ذَالكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تَعْقلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتيم إلاَّ بالَّتى هىَ أحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالميزَانَ بالْقسْط ، لا نُكَلّفُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا ، وَإذَا قُلْتُمْ فَاعْدلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَبعَهْد الله أَوْفُوا ، ذَالكُمْ وَصَّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صرَاطى مُسْتَقيمًا فَاتَّبعُوهُ ، وَلاَ تَتَّبعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكُمْ عَن سَبيله ، ذَالكُمْ وَصَّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الانعام:١٥١ -١٥٣] [١] ٠

٢ - الولاء الإسلامى :

الولاء الإسلامى مبدأ ثابت مؤكد فى القرآن الكريم وهو يقضى أن يكون

(١) انظر : سورة الإسراء (الآيات من ٢٢ - ٣٩) ، والآيات كثيرة بهذا الصدد ٠

ولاء المسلمين للمسلمين ، قبل أن يكون لغيرهم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] .

ولا يعنى ذلك أبدا وقوف المسلمين موقف العداء من غير المسلمين بل يعنى أن يكون تبادل المنافع والمصالح محصورا أولا فى دائرة المسلمين . حتى لا يذهب النفع والخير إلى غيرهم . وكان من نتائج تطبيق هذا المبدأ أن توفرت للمسلمين كفاية ذاتية قادرة على تحقيق حرية إرادتهم واستقلال قرارهم عن أية ضغوط خارجية .

٣ - **الموالاة المنهى عنها فى الإسلام** : تتحدد بقوله تعالى : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

لقد تضمنت الآية السابقة التحذير من الموالاة والمناصرة للأعداء لما فيها من التعرض للخطر وإن من يفعل ذلك فهو مقطوع عن الله لا يربطه به رابط إلا أنه من حالة الضعف والخوف من أذاهم ، يجوز الموالاة ظاهرا ريثما يعدون أنفسهم لمواجهة الذى يتهددهم .

ويقول تعالى فى سورة النساء :

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ، وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٣٩ - ١٤١] .

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُمْ

مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ، أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لاَّ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة ١٤ – ٢٢] .

هذه الآيات الكريمات من سورة المجادلة وهى مدنية آياتها اثنتان وعشرون تناولت هذه الآيات الحديث عن المنافقين بشىء من الإسهاب فقد اتخذوا اليهود . . . أصدقاء يحبونهم ويوالونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين فكشفت الستار عن هؤلاء المذبذبين . . . ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم . . . ﴾ الآيات .

وختمت السورة الكريمة ببيان حقيقة الحب فى الله والبغض فى الله الذى هو أصل الإيمان وأوثق عرى الدين ولابد فى اكتمال الإيمان من معاداة أعداء الله ﴿ لاَّ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ . . . ﴾ إلى آخر السورة الكريمة .

إن حكم الله كما ورد فى القرآن الكريم فى هؤلاء الذين يتعاونون مع أعداء الله وأعداء المسلمين وكل من والاهم من مستعمر أو محتل حكم واضح بيِّن وهو خيانة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فهم لم يراعوا حق الإسلام عليهم ولا

حق أخوة الإيمان ولا حق الجوار وهؤلاء الخونة بتصرفهم هذا قد باعوا أنفسهم للشيطان واتبعوا سبيله وكتبوا على أنفسهم الخزى والعار فى الدنيا والعذاب والمهانة فى الآخرة .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لرجل تبعه فى يوم بدر « ارجع فلن أستعين بمشرك » (رواه مسلم) .

وقال مالك وأحمد « لا يجوز أن يستعان بالكفار ، ولا أن يعاونوا على الإطلاق » وقال مالك : « إلا أن يكونوا خداما للمسلمين فيجوز » .

وقال الشافعى : « يجوز قتال الكفرة مع المسلمين بشرطين :

أحدهما : أن يكون بالمسلمين قلة ويكون بالمشركين كثرة .

والثانى : أن يعلم من المشركين حسن رأى فى الإسلام وميل إليه ، ومتى استعان بهم ختم لهم ولم يسهم ، أى أعطاهم مكافاة ولم يشركهم فى سهام المسلمين من الغنيمة »[1] .

ثانيا - وحدة الصف والهدف والتعاون :

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ .

أخبر الله تعالى بفضيلة الجهاد فى سبيل الله فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ أى يحب المجاهدين الذين يصفون أنفسهم عند القتال صفا ، ويثبتون فى أماكنهم عند لقاء العدو (كأنهم بنيان مرصوص) أى : أنهم فى تراصهم وثبوتهم فى المعركة ، بناء قد رص بعضه ببعض والصق وأحكم حتى صار شيئا واحداً قال القرطبى فى تفسيره :

« ومعنى الآية أنه تعالى يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء ، وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند

---

(١) السيد سابق ، فقه السنة ، الجزء الثالث ، ص ٣٤ .

قتال عدوهم أن يقاتلوا بشجاعة المؤمن وبسالته لأنه يقاتل من أجل غرض نبيل ، وهو رفع منار الحق ، وإعلاء كلمة الله » .

قال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون لم نعلم أحب الأعمال إلى الله لعلمنا به فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبى ﷺ مدبرين ، فأنزلَ الله فى ذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ ﴾ . أحبكم إلىَّ من قاتل فى سبيلى .

كما أن التعاون أساس العمل المتكامل وعلى قدر تعاون الأفراد والجماعات يكون رقى الأمم ونهضتها وتكون أيضا قوتها وقوة جيشها وقد حثت العقيدة على التعاون . يقول تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

والتفسير لهذه الآيات يوضح :

أن فعل الخير وعمل الصالح ليس محصورا فى أن يتوجه الإنسان فى صلاته جهة المشرق أو المغرب ولكن بطاعة الله وامتثال أوامره وبالإيمان الصادق الراسخ بالله وباليوم الآخر « والملائكة والكتاب والنبيين » وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله « والكتاب » هم اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة فى الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين . وقوله : ﴿ وآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ أى أخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير

وغيرهما من السلف والخلف كما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة مرفوعا : « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » . وقال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ﴾[الإنسان : ٧ ، ٨] ، وقال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[آل عمران : ٩٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر : ٩] .

ونمط آخر أرفع من هذا وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبون له . وقوله « ذوى القربى » وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة كما ثبت فى الحديث « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة رحم فهم أولى الناس بك وبرك وعطائك » « واليتامى والمساكين وابن السبيل » أى وأعطى المال أيضا لليتامى الذين فقدوا آباءهم وهم ضعفاء وصغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وعن ابن سيرين مرسلا عن رسول الله ﷺ قال : « لا يتم بعد حلم » .

« والمساكين » وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم ومسكنهم « وابن السبيل » وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده وكذا الذى يريد سفرا فى طاعة فيعطى ما يكفيه فى ذهابه وإيابه ويدخل فى ذلك الضيف كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أنه قال :

ابن السبيل هو الضيف الذى ينزل بالمسلمين .

« والسائلين » وهم الذين يسألون المعونة بدافع الحاجة فيعطون من الزكوات والصدقات « وفى الرقاب » وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه فى كتابتهم وتخليص الأسرى والأرقاء بالفداء .

« وأقام الصلاة » أى أتم أفعال الصلاة فى أوقاتها ركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى ، وقوله « وآتى الزكاة » والمراد

بها زكاة المال كما قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان . وقوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » كقوله : « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » وعكس هذه الصفة النفاق كما صح فى الحديث : « وآية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » وفى الحديث الآخر : « وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » . وقوله « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » أو فى حالة الفقر وهو البأس وفى حالة المرض والأسقام وهو الضراء « وحين البأس » أى فى حال القتال والتقاء الأعداء ، قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهم وإنما نصب « الصابرين » على المدح والحث على الصبر فى هذه الأحوال لشدته وصعوبته .. والله أعلم .

وإتمام شرح وتفسير البر كما ورد فى الآيات السابقة يكون معنى التعاون وضح معنى والهدف منه وكما أمر الله بالتعاون على البر والتقوى حذر من التنازع لأنه يبعد ما بين النفوس ويضعف القوة ويذهب بروح التناصر فيكون أبعد أثرا وأشد تنكيلا بالأمة وبالجيش مما يفعله العدو .

وإذا أمعنا النظر فيما يقوم به الاستعمار فى التفريق بين الشعوب حتى يسيطر عليها (مبدأ فرق تسد) وما تقوم به الصهيونية العالمية من تفتيت القوى العربية وتمزيق وحدة الأمة العربية ببث الفرقة بين دولها وخلق النزاعات وتزكية نار الحروب فيما بينها يتضح الهدف الواضح للعدو من خلق هذا التنازع .

ويوضح عز وجل خطورة التنازع على الأمة الإسلامية بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] ، (تذهب ريحكم : أى تذهب قوتكم) .

« قرأت مذكرات (بن جوريون) وجاء فى مقدمتها (أن صحفيا فرنسيا سأله هل يستطيع العرب التغلب على إسرائيل واستعادة الأراضى المحتلة ؟ . فقال له بن جوريون ، نعم يستطيعون ، فسأله الصحفى فلماذا لا يستعيدونها إذن

منكم ؟ فقال له بن جوريون : لأن كل دولة عربية تعادى الدول العربية أكثر مما تعادى إسرائيل »[1] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

ويقول الرسول ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

ولتصوير تكتل الأمة الإسلامية المؤمنة ضد أعدائها ووجوب تجميعها لصيانة مقدساتها وحرماتها وحماية ديارها ، فيجب ان تأتلف بكل وحداتها وطاقاتها لدرء أى خطر يهددها أو يهدد جانبا منها لأنها فى وحدتها كالبنيان الواحد إذا أصيب منه ركن اختلت بقية الأركان ومن هنا قال الرسول الكريم ﷺ يصور الأمة فى تضامنها وتعاونها بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

ثالثا – الشورى أساس اتخاذ القرار :

الإنسان بشر يخطئ ويصيب ، إذن فالاختلاف والتعدد طبيعة من طبائع البشر وأصبح واقعا ملموسا فى الحياة لا يمكن إنكاره والدليل على ذلك ان الاختلاف فى الرأى حدث فى حضرة رسول الله ﷺ فى العديد من الأمور فلم ينكره ﷺ إنما المنهى عنه هو التنازع الذى يؤدى إلى الضعف والوهن والفشل .

وللشورى فى الإسلام مكانة كبيرة لما لها من أثر عظيم جليل فى حياة الفرد والمجتمع .

١ – فالشورى تعنى : « النظر فى الأمور من أرباب الاختصاص والتخصص لاستجلاء المصلحة المقصودة شرعا وإقرارها »[2] .

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب ، عقيدتنا العسكرية الإسلامية غائبة فى حروبنا ، مجلة الحرس الوطنى ، شوال ١٤١٠هـ – مايو ١٩٩٠ م .

(٢) زكريا محمد الخطيب ، نظام الشورى فى الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة ، مجلة الأزهر ، عرض وتقديم أحمد محمد الخواص ، شوال ١٤٠٧ هـ – يونيو ١٩٨٧ م .

وهى نظام من نظم الحكم فى الإسلام ومبدأ من المبادئ الدستورية العامة التى عرفتها الشريعة الإسلامية وأخذت بها واعتبرتها دعامة أساسية من دعامات الحكم . إذ يقول الرسول ﷺ : « أشيروا على أيها الناس » وقول عمر بن الخطاب لأحد ولاته وهو أبو موسى الأشعرى : « يا أبا موسى إنما أنت واحد من الناس غير أن الله جعلك أثقلهم حملا » ويقول « والله ما أنا بملك فاستعبدكم بملك أو جبرية وما أنا إلا كأحدكم ومنزلتى منكم كمنزلة والى اليتيم منه ومن ماله » .

٢ – والشورى صفة من صفات المؤمنين فقد جاء فى القران الكريم فى سورة الشورى فى أوصاف المؤمنين قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

وفى سورة آل عمران : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

فوجد سورة فى القرآن تسمى باسم هذا المبدأ (الشورى) وجعل الشورى من صفات المؤمنين ثم الأمر بها صراحة فى سورة أخرى يبين لنا مدى اهتمام الإسلام بالشورى وجعلها من الأسس التى يقوم عليها الحكم وتدبير شئون الأمة كما روى عن رسول الله ﷺ « لا ندم من استشار ولا خاب من استخار » وروى عن أبى هريرة أنه قال : « لم يكن أحدكم أكثر مشورة لأصحابة من رسول الله ﷺ » .

فكان الرسول الكريم رغم كمال عقله ورجاحة رأيه وتأييده من الله سبحانه وتعالى ونزول الوحى ، يستشير أصحابه بل وقد عمل برأيهم فى كثير من المسائل التى كان له فيها رأى آخر مما يدل على أن الشورى أساس ودعامة من دعامات اتخاذ القرار فى الإسلام ، وقال الحسن : « ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم » وكان – عليه الصلاة والسلام – كثير المشاورات لأصحابه فى الأمور العسكرية وغير العسكرية لكى يعلمنا أن الشورى قيمة إسلامية يجب العمل بها عند اتخاذ القرار وأن على القادة على كافة المستويات العمل بالشورى وعدم الاستبداد بالرأى دون مرؤوسيهم .

٣ – وقال على – رضى الله عنه – « سألت يوما رسول الله ﷺ لو وقع لنا بعدك ما لم نجد له حكما فى القرآن أو نسمع منك فيه شيئًا فماذا نفعل ؟ فقال – ﷺ – اجمعوا العابدين من أمتى واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا برأى واحد » . (تفسير روح المعانى) .

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه (الترمذى) :

« إذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها .. وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

٤ – ومصادر الشورى هى :

القرآن الكــريم والسنة المطهرة وإجماع الفقهاء واتفاق أهل النظر فى المصالح .

٥ – وصفات أهل الشورى كما ذكر الماوردى هى على سبيل المثال :

« العدالة والعلم والرأى والحكمة » والعدالة والعلم بمتطلبات المهمة المنوطة بالفرد والرأى المفضى إلى القرار ولولاة الأمر أن يفضلوا هذه الشروط وأن يزيدوا عليها . هذا من حيث الكيف أما من حيث الكم فذلك متروك للظروف ويتوقف على توافر الكفايات وبطبيعة الحال فإن عناصر المشورة تكبر أو تصغر حسب حجم التنظــيم ، ويقول تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وهــم الذيــن قال الله فيهــم ﴿ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

٦ – مما سبق يتضح تقدير الإسلام للشورى وجعلها فرضا واجبا ونظاما أساسيًا ودعامة كبرى من دعائم القيادة واتخاذ القرار ولا يجوز لقائد ان يتوخاه أو يطرحها جانبا أو يستبد برأيه حسبما شاء ولكن عليه ان يأخذ بمشورة أهل الشورى وهم الذين تتوفر فيهم الصفات السابق ذكرها .

٧ - **أمثال من الشورى :**

(أ) من غزوة بدر :

- بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش ليمنعوا غيرهم فاستشار أصحابه كما يقول ابن هشام فقام أبو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقـداد بن عمرو فقال يا رسـول الله امضى لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ، ولكن « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ، فقال رسول الله ﷺ خيرا ودعا له به ثم قال رسـول الله ﷺ : « أشيروا على أيها الناس » . وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد من الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : « يا رسول الله ، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف الا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال : « أجل » قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال : « سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم » [١] . وإن كان المثل

---

(١) سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

السابق يدل على تطبيق الشورى فإنه يدل أيضا على الإيمان اليقينى لدى كثير من المؤمنين مثل أبو بكر وعمر والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : « ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل وبطن الوادى ، وهو يليل ، بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذى خلفه قريش ، والقلب (جمع قليب وهو البئر) يبدو فى العدوة الدنيا من بطن يليل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادى دهسا فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم عن المسير ، وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به » .

قال ابن إسحاق : « فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال : « يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : (بل هو الرأى والحرب والمكيدة) قال : « يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتنزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ (لقد أشرت بالرأى) فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية » [١] .

وإن دل هذا المثل إنما يدل على أن رسول الله ﷺ الرسول القائد نزل على رأى الصحابى الجليل عندما رأى صواب رأيه ولم يتمسك بقراره الذى اتخذه من قبل وإن دل ذلك إنما يدل على أخذ الرسول الكريم بمبدأ الشورى واحترامه للخبرة والرأى الراجح والأخذ به .

---

(١) سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(ب) غزوة أحد :

لقد شاور الرسول ﷺ الصحابة أيضا يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة فأبى ذلك عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك لهم .

(جـ) يوم الحديبية :

ولقد شاور الرسول الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – الصحابة يوم الحديبية فى أن يميل على ذرارى المشركين فقال له الصديق : « إنّا لم نجىء لقتال وإنما جئنا معتمرين » فأجابه إلى ما قال .

* * *

المبحث الثانى

توجيهات إدارة القتال

١ - الحذر ودرجة الاستعداد العالية :

عنى الإسلام عناية فائقة باتخاذ الحيطة والحذر (ما نسميه باللغة العسكرية ، درجة الاستعداد العالية) لحرمان العدو من تحقيق المفاجأة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] .

ولعل أبلغ ما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا من وَرَائِكُمْ ، وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء : ١٠٢] .

فبينما أمر الله تعالى بأداء الصلاة فى وقتها ، أمر أن تكون معهم أسلحتهم ، وأمر أن تصلى طائفة مع الرسول بينما الطائفة الأخرى تقوم بالحراسة حتى إذا انتهت الطائفة الأولى من الصلاة اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، وقد رخص الله للمسلمين فى هذه الحالة تقصير الصلاة طبقا لما علمنا رسول الله ﷺ بأن تكون ركعتين بدلا من أربع ، أما الثلاثية فتظل كما هى ثلاث ركعات (صلاة المغرب) .

ويقرر الرسول الكريم ﷺ المعيار الصحيح لدرجة الاستعداد لدى المجاهدين فى أنها القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف الطارئة المفاجئة ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

(خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع صيحة « تعنى صيحة خطر » طار إليها) .

وإذا تدبرنا الحديث الشريف نلاحظ أن كلمة (ممسك) فى عبارة رجل

ممسك بعنان فرسه يعنـــى درجة أعلى فى الاســـتعداد من مجـــرد ركوب الفرس وتنطوى على معنى الاستعداد الكامل للانطلاق بمجرد الإشارة وأن كلمة (طار) فى عبارة كلما سمع صيحة طار إليها ذات مدلول يختلف كثيرا عن كلمة اندفع أو اتجه أو تقدم أو أسرع وتعبر عن أسرع بشكل من أشكال التحرك على الإطلاق وتعتبر أكثر الفاظ المعركة دلالة على السرعة ، ثم كلمة (خير الناس) التى تنطوى على تكريم المجاهد الذى يقف فى أعلى درجات اليقظة والاستعداد ، ومنشأ التكريم هنا هو مقدار العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يتعرض له المقاتل فى فترة استعداده القصوى ، الأمر الذى يستحق معه التكريم وتلك هى عدالة الإسلام .

وتنطوى تلك الكلمة أيضًا على تحريض المجاهدين جميعا على أن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للقتال الفورى حتى لا يؤخذوا على غرة فيقع الضرر للمجاهدين ثم ليكونوا خير الناس .

ويبين الرسول الكريم ﷺ فضل القائم بالحراسة فيقول : « عينان لا تمسهما النار يوم القيامة ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » .

٢ - الثبات عند اللقاء :

تؤكد العقيدة العسكرية الإسلامية على وجوب الثبات عند لقاء العدو وحرمت الفرار من العدو وأعدته من الكبائر التى لا جزاء لها إلا جهنم وبئس المصير وهو ما تشير إليه الآيات الكريمة ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال : ١٥ ، ١٦) .

وقد جعل الله الفرار من العدو وتوليته الأدبار من أكبر الكبائر ولم يبح ذلك إلا إذا كان متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة أى عـــند إجـــراء المنـــاورة فى القتال أو عند التحرك لدعم وحـدات أخرى ومســاعدتها ، ويقول : رسـول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ،

والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (رواه البخارى ومسلم) .

أما التحركات التى تتم أثناء القتال بغرض إجراء المناورة للتحول إلى مكان آخر أفضل وأنسب لقتال العدو سواء بإجراء الالتفاف أو التطويق أو بقصد حشد القوات وإعادة التجميع فإنه لا يعد تراجعا ولا من قبيل تولية الأدبار ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ﴾ ومتحرفا تعنى منحرفا أو متجها وهو ما يعبر عنه فى المعركة الحديثة من إجراء المناورة سواء بالالتفاف أو التطويق وكذلك ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾ وتعنى كلمة متحيزاً منحازا أو منضما أى ما يتم فى المعركة من حشد وإعادة تجميع والتعاون مع القوات الصديقة لدعمها وفى غير هاتين الحالتين يكون الفرار كبيرة من الكبائر وموبقة تجلى غضب الله وتستوجب العذاب الأليم . كما ذكر فى الحديث السابق الذى رواه البخارى ومسلم .

وقد أوضح الله لعبادة المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة فى مواجهة الأعداء فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

ويقول الرسول الكريم ﷺ : « يا أَيُّهَا النَّاسَ لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .
ويؤكد سبحانه وتعالى على الثبات أثناء القتال ، فيقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

٣ - ذكر الله عند لقاء العدو والدعاء عند القتال :

وحيث إن الله تعالى أمر بالثبات عند لقاء العدو أمر أيضًا بذكر الله كثيرا وأن يلتجىء الناس إلى ربهم وألا ينسوه بل عليهم أن يتوكلوا عليه ويسألوه النصر وذكر الله بالقلب واللسان استمدادا للقوة من الله تعالى بذكر وعده ووعيده وولايته ونصريته لأوليائه فيثبت بذلك القلب ويربط الجاش ومن

توجيهات القتال أن يستغيث المجاهدون بالرب سبحانه وتعالى ويستنصروه فإن النصر بيد الله ، يقول تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٩] .

وقد كان هذا هدى رسول الله ﷺ وهدى أصحابه من بعده . فعن أبى داوود أن النبى ﷺ قال : « اثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس ، حين يلتحم بعضهم بعضاً » .

وكان من دعائه ﷺ إذا غزا : « الله أنت عضدى ونصيرى ، بك أجول وبك أصول وبك أقاتل » . (رواه أصحاب السنن) .

وروى البخارى ومسلم : أنه ﷺ دعا يوم الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

٤ - النصر أو الشهادة :

وهو شعار المقاتل المؤمن عند القتال فى سبيل الله (الجهاد فى سبيل الله) فعليه الصبر والمصابرة وإخلاص العمل لله سبحانه وتعالى حتى يفوز بإحدى الحسنيين :

إما النصر : وهى الغنيمة والعافية الحميدة فى الدنيا والآخرة .

وإما الشهادة : وهى النعيم المقيم والقصور العالية والأنهار الجارية والحور الحسان فى دار الكرامة ، وصدق الله العظيم :

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة : ٥٢] .

أيها المجاهد إنك تقاتل فى معركة عظيمة مع عدو لدود عظيم الحقد على الإسلام وأهله فوطد نفسك على الجهاد فى سبيل الله والصبر والمصابرة وأخلص عملك لله واستعن به وحده وأبشر إذا صدقت فى ذلك بإحدى الحسنيين ، إما النصر وإما الشهادة .

أيها العربى لا تظن أن النصر على عدوك معلق بعروبتك وإنما ذلك بإيمانك بالله وثباتك عند اللقاء وذكرك الكثير لله فى مواطن اللقاء واستقامتك على الحق

وتوبتك من سالف ذنوبك وإخلاصك لله فى كل أعمالك فاستقم فى ذلك وتمسك بالإسلام الصحيح الذى حقيقته الإخلاص لله والاستقامة على شرعه والسير على هدى رسوله ونبيه محمد ﷺ فى الحرب والسلم ، وفى جميع الأحوال أيها المسلم أيها المجاهد فى سبيل الله وتذكره منزلة الشهيد فى الإسلام .

٥ - الشهيد ومنزلته فى الإسلام :

الشهيد فى الإسلام هو الذى ضحى بنفسه من أجل إعلاء كلمة الله ومن أجل خدمة دينه ووطنه ومجتمعه ولـقد ورد فى كتاب الله وفى سـنة نبيه ﷺ ما يدل على أن الشهيد له أجره العظيم عند الله عز وجل ويكفى الشهيد فخرا بأن هذا الاسم من أسماء الله تعالى ، وأن الله قد منحه المغفرة لما اقترفه من آثام وذلك فضلا منه سبحانه وتعالى ورحمة وهو ما تشير إليه الآيات الكريمة من سورة آل عمران ، يقول تعالى : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[آل عمران : ١٥٧ ، ١٥٨] .

أى إذا استشهدتم فى الحرب والجهاد أو جاءكم الموت وأنتم قاصدون قتال أعداء الله فهو خير من البقاء فى الدنيا وجمع حطامها الفانى فسواء إن متم على فراشكم أو قتلتم فى ساحة القتال فإن مرجعكم إلى الله فيجازيكم بأعمالكم فآثروا ما يبقى ويقربكم إلى الله ويوجب لكم رضاه من الجهاد فى سبيل الله والعمل بطاعته ولله در القائل حيث يقول :

« فإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف فى الله أفضل »

إن الله ينعم على الشهداء فى الآخرة ويسكنهم دار الخلد مع المقربين أصحاب المنازل العالية وهم الأنبياء الأطهار والصديقون الأبرار وهم أفاضل أصحاب الأنبياء والشهداء الأخيار وهم الذين استشهدوا فى سبيل الله ثم مع بقية عباد الله الصالحين ، يقول تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وللشهيد أجر عظيم ورزق حسن ، والآيات التى وردت فى هذا المعنى كثيرة ، يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ، وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحديد : ١٩] .

ويقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد : ٤ - ٦] .

أى الذين استشهدوا فى سبيل الله فلن يبطل الله عملهم بل يكثره ويضاعفه وينميه وسيهديهم إلى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة بتوفيقهم إلى العمل الصالح وإرشادهم إلى الجنة دار الأبرار ويصلح حالهم وشانهم ويدخلهم دار النعيم .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ، بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٤ ، ١٥٥] .

أى لا تقولوا للشهداء أنهم أموات بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ولكن لا تشعرون بذلك لأنهم فى حياة برزخية أسمى من هذه الحياة ولا تظنن الذين استشهدوا فى سبيل الله لإعلاء دينه أمواتا لا يحسون ولا يتنعمون بل هم أحياء متنعمون فى جنان الخلد يرزقون من نعيمها غدوًا وعشيًا منعمون فى الجنة فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يموتوا فى الجهاد بما سيكونون عليه بعد الموت إن استشهدوا فهم لذلك فى صون مستبشرون لا خوف عليهم فى الآخرة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا لأنهم فى جنات النعيم وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٩ - ١٧٢] .

والآيات السابقة تشهد بوضوح أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وعلينا أن نؤمن بذلك إيمانا راسخا وأن نكل كيفية هذه الحياة إلى الله عز وجل . وهناك أحاديث عن النبى ﷺ تدل على أن الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الحياة فيقتل مرة أخرى ، ومن الأحاديث ما أخرجه الإمام البخارى عن أنس – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة (ومن فضل الشهادة) » .

وما رواه البخارى أيضا فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل » .

وهناك أحاديث متعددة تدل على أن الشهيد يعافى من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر ويشفع لغيره ، ومن الأحاديث ما رواه الإمام الترمذى عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ قال :

« للشهيد عند الله ست خصال وذكر منها : يجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر » ، وفى حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال :

« يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » .

ومما سبق يتضح أن منزلة الشهداء عند الله تعالى فى أعلى المنازل وأكرمها وأشرفها .

٦ – الإخلاص وإنكار الذات :

إن جوهر العقيدة العسكرية هو الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه فهى لم تبدأ من فراغ وإنما نشأت من أصل ثابت يتمثل فى العقيدة الإسلامية (الأم) ثم تأخذ العقيدة العسكرية الإسلامية فى تكوين أسس قوة محكمة .

أولها : أن صاحب هذه العقيدة مخلص لها ، منكر لذاته ، يعمل كجندى

مجهول لا يحرص على الظهور ولا يذكر مكانه بين الناس ولا يجاهد من أجل مغنم من مغانم الحياة الزائلة ۰ وعن أبى موسى – رضى الله عنه – أن أعرابيا أتى إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله : « الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه » ۰ وفى رواية : « يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية » ۰ وفى رواية : « ويقاتل غضبا ، فمن فى سبيل الله ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » (رواه البخارى ومسلم) ۰ والاخلاص وإنكار الذات كقيمة من قيم العقيدة العسكرية الإسلامية يجعل العمل العسكرى فى سبيل الله لا لمغنم أو سمعة أو عصبية ۰

والصادقون فى إيمانهم وفى عقيدتهم العسكرية الإسلامية المخلصون لها هم الذين يصدقون فى إعطاء الدليل والبرهان على إخلاصهم وصدق عقيدتهم ببذل النفس والمال وعدم الارتياب ، فلا يشكون فى دينهم وإيمانهم وبذلهم ، هؤلاء هم الصادقون حقا والمؤمنون حقا ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] ۰

٧ – مقاومة الحرب النفسية :

إن العقيدة الراسخة القائمة على الإيمان بالله ، الإيمان الحق الصادق هى الركيزة الأساسية لتحصين المقاتل ضد الحرب النفسية ۰

فالعدو يهدف من وراء الحرب النفسية إلى تدمير الروح المعنوية للمقاتلين وإضعاف مقاومتهم وإصرارهم على القتال ۰

ومن أمثال مقاومة الحرب النفسية :

قول خالد بن الوليد ، قائد جيش المسلمين لقائد جيش الفرس :

« لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » وكان ذلك ردًّا على رسالة قائد جيش الفرس التى أرسلها إلى خالد بن الوليد كمحاولة لبث الرعب فى نفوس المسلمين وإفقادهم الأمل فى النصر ببث اليأس فى نفوسهم ملوحًا بسلاح التفوق العددى للفرس إذ كانوا ستة أضعاف المسلمين ۰

وبالإيمان الحق الصادق ومقاومة الحرب النفسية ، انتصر المسلمون ، فالمؤمن من لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية إلا إيمانا وثباتا .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

[آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] .

٨ - ضوابط الحرب النفسية (فى الإسلام) :

الحرب النفسية هى : الخوف من الموت ، والخوف من العدو ، والخوف من قطع الأرزاق ، والخوف من المستقبل وهذه كلها عالجها القرآن الكريم . . فلا يموت إنسان إلا بأجله والأرزاق يقدرها الله والخوف من العدو إنما هو إحدى الحسنيين إما الشهادة أو النصر والمستقبل أمره بيد الله ، وعلينا أن نفعل ما نستطيع ثم نكل الأمر إلى الله ، والله لن يتخلى عنا : « ولينصرن الله من ينصره » .

فلو عدنا إلى عقيدتنا ما أثرت علينا الحرب النفسية فى أى مجال [1] .

إذن المؤمن حقا لا يصدق الإشاعات ولا يبثها بل يقضى عليها فى مهدها وينبذ مروجيها ولا يسكت عليهم ، والمؤمن حقا يقاوم الاستعمار الفكرى وينبذ الغزو الحضارى الذى لا طائل من ورائه لأن له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المبادىء الوافدة التى تناقض ذلك .

٩ - التحرر من مخافة الموت أو الخوف على الرزق :

تقرر العقيدة العسكرية أيضا التحرر من أسباب الخوف فالذين اتصلوا بربهم وراقبوه وأخلصوا له العبادة والطاعة لا ينالهم همّ ولا حزن ويقول تعالى :

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب ، عقيدتنا العسكرية الإسلامية غائبة فى حروبنا ، ولابد أن نستفيد من الجهاد الأفغانى ، حوار عبد العزيز آل داوود ، مجلة الحرس الوطنى ، شوال ١٤٠٠ هـ - مايو ١٩٩٠ م .

﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ، لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٤] .

فلا مخافة من الموت لاعتقاد الإنسان المؤمن وثقته بأن الموت والحياة بيد الله سبحانه وتعالى ، فلا الشجاعة تقصر العمر ولا الجبن يطيله فلكل نفس ميقات وأجل لا تستأخر عنه ساعة ولا تستقدم عنه أخرى .

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ، وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ رد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله ﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

وقد يكون مبعث الخوف هو الحرص على الحياة أو قلقا على طلب الرزق ولهذا نجد الإسلام يحمل على هذه الأسباب ويأتى عليها من القواعد موضحا أن طلب الحياة أو الرزق أو المنصب لا يكون من مخلوق وإنما يكون من الخالق الذى بيده ملكوت كل شىء وهو على كل شىء قدير .

فأما بالنسبة للحياة : فقد قال تعالى فى شأنها : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، كِتَابًا مُؤَجَّلاً ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

فإذا جاء ميعاد هذا الأجل فلا يدفعه حرص ولا يغنى حذر يقول تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] .

وأما بالنسبة للرزق : فقد تكفل الله به وهو الرازق ذو القوة المتين ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ، كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦] ، بل إن الرزق مقدور ومحدد وقد أقسم الله تعالى على أنه حق واقع ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِى السَّمَاءِ

رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ [الذاريات ٢٢ ، ٢٣] .

هذا وإن حب الدنيا والتعلق بأذيالها ، والخوف على الحياة أو الرزق ، هذه الأمور ، تؤدى بالإنسان إلى الضعف وضياع الشخصية وقد نبه رسول الله ﷺ على ذلك بقوله : « توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت » (رواه أحمد وأبو داوود) .

والإنسان المؤمن الصادق فى عقيدته يكون معتمداً على ربه فلا يخاف من مخلوق وإنما يخاف من ربه وحده الذى بيده مقاليد السموات والأرض وهو على كل شىء قدير وما كتبه الله تعالى هو الذى يصيب العبد وما لم يكتبه الله لا يصبه ، كما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلاَنَا ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] .

وفى الحديث : « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد قدره الله عليك » .

ثم يقول : « واعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك » .

١٠ - الكذب والخداع عند الحرب :

يجوز فى الحرب الخداع والكذب لتضليل العدو ما دام ذلك لم يشتمل على نقض عهد أو إخلال بأمان .

ومن الخداع أن يخادع القائد الأعداء بأن يوهمهم بأن عدد جنوده كثرة كاثرة وعتاده قوة لا تقهر .

وفى الحديث الذى رواه البخارى عن جابر أن النبى ﷺ قال : « الحرب خدعة » [1] .

واخرج مسلم من حديث أم كلثوم بنت عقبة – رضى الله عنها – قالت : « لم أسمع النبى ﷺ يرخص فى شىء من الكذب مما يقول الناس إلا فى الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل إمرأته ، وحديث المرأة زوجها » .

حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : سمى النبى ﷺ الحرب خدعة [2] .

١١ – نماذج من كلمات أصحاب رسول الله ﷺ (يوم اليرموك حين مقابلتهم لجيش الروم) :

(أ) كلام خالد بن الوليد : (خطابه فى جنود جيش المسلمين) :

« أن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى اخلصوا جهادكم واريدوا الله بعملكم وإن هذا يوم له ما بعده » .

(ب) كلام أبو عبيدة بن الجراح :

« عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ولا تبرحوا مصافكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت إلا من ذكر الله فى أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى » .

(جـ) كلام معاذ بن جبل :

« يا أهل القرآن وحافظى الكتاب وأنصار الهدى والحق إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأمانى ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا بقول الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

---

(١) أخرجه البخارى فى : ٥٦ كتاب الجهاد : ١٥٧ ، باب الحرب خدعة .

(٢) المرجع السابق .

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] .

فاستحوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فرارا من عدوكم وأنتم فى قبضته وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره » .

(د) كلام أبو سفيان بن حرب :

« والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا تبلغن رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء والصبر فى المواطن المكروهة » .

* * *

المبحث الثالث

اقتتال المؤمنين وحكم الله فى البغاة

جاء الإسلام ليوحد الصفوف لإقامة كيان موحد متقيًا عوامل الفرقة والضعف وأسباب الفشل والهزيمة ليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية والمقاصد النبيلة التى جاءت بها رسالته العظمى من عبادة الله وإعلاء كلمته وإقامة الحق . لذا فقد أمرنا الله بالبعد عن الاختلاف والتفرقة فى الدين .

يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

[الأنفال : ٤٦] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

فالعلاقة التى تربط المسلمين مع بعضهم البعض علاقة أخوة وهذه الأخوة فى الإيمان التى قال الله عنها : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

ويشدد الإسلام على حرمة الدماء والأموال ومنع قتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق .

إن رسول الله ﷺ نهى فى خطبته فى حجة الوداع عن قتل المسلم حين قال : « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت » .

كما بين رسول الله ﷺ أن حرمة الكعبة أهون عند الله من قتل مسلم بغير حق ، فقال فيما رواه عبد الله بن عمر ، قال : « رأيت رسول الله ﷺ - يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبك وما أطيب ريحك وما أعظمك وما أعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك، ماله ودمه » . (رواه ابن ماجه) .

ويقول تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلاَّ خَطَأً ﴾[النساء:٩٢] .

ويقول تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .

ولقد بيَّن لنا الله عز وجل ما يجب على المسلمين عمله عند التنازع ووقوع الخلاف ، فيقول تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

أى أن ترد المسائل المتنازع عليها إلى كتاب الله (القرآن الكريم) وسنة نبيه ﷺ ، ويقول تعالى :﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[الشورى : ١٠] .

ويقول تعالى :﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل : ٨٩] .

إذن فإن الأصل الذى يرجع إليه عند التحاكم معلوم وواضح فلا معنى لاختلاف المسلمين ولا مجال له لما لذلك من عواقب وخيمة على الأمة الإسلامية .

فيقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

ويقول تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥] .

وعلى ضوء هذه القواعد ، سار الصحابة ومن بعدهم سائر المؤمنين وما كان الخلاف إلا فى مسائل كان مرجعه التفاوت فى فهم النصوص ، وحتى إذا وقعت الخلافات فإن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يضعان الموازين العادلة لإنهاء هذه الخلافات أيا كان أسبابها ودوافعها مع التشديد على حرمة الدماء والأموال ومنع قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق .

وحتى إذا انفصلت عرى الإخاء وبغى بعضهم على بعض ولجأ كل منهم إلى القوة وتحكيم السلاح فإن الله عز وجل يرشدنا فى كتابه العزيز إلى ما يجب علينا عمله نحو كل فئة من الفئات التى تقاتلت ، يقول تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

فالآية تقرر أن المؤمنين إذا تقاتلوا وجب على جماعة من ذوى الرأى أن تتدخل فورا وتصلح بين المتقاتلين ، فإن بغت طائفة على الأخرى ولم ترضخ للصلح ولم تستجب له وجب على المسلمين جميعا أن يتجمعوا لقتال هذه الطائفة الباغية .

وقد قاتل الإمام على الفئة الباغية ، كما قاتل أبو بكر الصديق مانعى الزكاة ، وقد اتفق الفقهاء على أن هذه الفئة الباغية لا تخرج عن الإسلام ببغيها ، لأن القرآن وصفها بالإيمان ، مع مقاتلها ، فقال :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ ولهذا فإن مدبرهم لا يقتل وكذلك جريحهم ، وإن أموالهم لا تغنم وإن نسائهم وذراريهم لا تسبى ولا يضمنون ما أتلفوا حال الحرب ، من نفس ومن مال وإن من قتل منهم غسل وكفن وصلى عليه .

أما من قتل من الطائفة العادلة فإنه يكون شهيدا ، فلا يغسل ولا يصلى عليه لأنه قتل فى قتال أمر الله به فهو مثل الشهيد فى معركة الكفار .

وبالرجوع إلى تفسير القرآن الكريم للقرطبى وهو أحد العلماء البارزين فى التفسير نجد أنه يقول عن قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ .

« إن الطائفة تتناول الرجل الواحد والجمع والاثنين فهو مما حمل علي المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس وفى قراءة عبد الله « حتى يفيئوا إلى أمر الله فإن فاؤوا فخذوا بينهم بالقسط » وقرأ ابن أبى عيله « اقتتلتا » على لفظ الطائفتين وقد مضى فى آخر التوبة القول فيه وقال ابن عباس فى قوله عز وجل : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] .

قال : الواحد فما فوقه والطـــائفة من الشىء القطعة منه « فأصلحوا بينهما » بالدعـاء إلى كتاب الله لهما أو عليهما « فإن بغت إحداهما على الأخرى » تعدت ولم تجب إلى حكم الله وكتابه . والبغى : التطاول والفساد .

﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾ أى ترجـع إلى كتـــابه . « فإن فاءت » رجعت ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾ أى احملوهما على الإنصاف « وأقسطوا أيها الناس فلا تقتتلوا . وقيل : أقسطوا أى اعدلوا ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ أى العادلين المحقين .

وقال العلماء : لا تخلوا الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما أما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا أولا . فإن كان الأول فالواجب فى ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافأة والموادعة فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغى صير إلى مقاتلتهما . وأما إن كان الثانى وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغى إلى أن تكف وتتوب ، فإن فعلت أصلح بينهما وبين المبغى عليها بالقسط والعدل فإن التحم القتال بينهما وخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة ، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين القاطعة على مراشد الحق . فإن ركبتا متن اللجاج ولم

تعملا على شاكلة ما هدينا إليه ونصحنا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين . . والله أعلم .

وفى الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين . وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين ، وأصبح بقوله عليه السلام : « قتال المؤمن كفر » ولو كان قتال المؤمن الباغى كفرا لكان الله تعالى قد أمر بالكفر ، تعالى الله عن ذلك ! وقد قاتل الصديق رضى الله عنه : من تمسك بالإسلام وامتنع من الزكاة وأمر الا يتبع مول ،ولا يجهز على جريح ، ولم تحل أموالهم بخلاف الواجب فى الكفار ، وقال الطبرى : لو كان الواجب فى كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل لما اقيم حق ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾ أمر بالقتال وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ،ولذلك تخلف قوم من الصحابة – رضى الله عنهم – عن هذه المقامات ، كسعد بن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم عند الاختلاف التى وقع فى عهد على – رضى الله عنه – وصوب ذلك على بن أبى طالب لهم واعتذر إليه كل واحد فيهم بعذر قبله منه ويروى أن معاوية – رضى الله عنه – لما أفضى إليه الأمر ، عاتب سعداً على ما فعل ، وقال له : « لم تكن ممن أصلح بين الفئتين حين اقتتلا ، ولا ممن قاتل الفئة الباغية ، فقال له سعد : « ندمت على تركى قتال الفئة الباغية فتبين أنه ليس على الكل درك فيما فعل ، وإنما كان تصرفا بحكم الاجتهاد وإعمالا بمقتضى الشرع ، والله أعلم .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾ من العدل الا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال ، فإنه تلف على تأويل وفى طلبهم تنفير لهم عن الصلح واستشراء فى البغى . وهذا أميل فى المصلحة وقد قال لسان الأمة : إن حكمة الله تعالى فى حرب الصحابة التعريف منهم لأحكام ، قتال أهل التأويل إذا كان أحكام قتال أهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول ﷺ وفعله .

« وإذا كان القتال صادراً من الطائفتين لعصبة ، وطلب رئاسة ، كان كل من الطائفتين باغيا ، ويأخذ حكم الباغى » (١) .

هذا هو شأن البغاة وحكم الله فيهم ، أما إذا كان القتال لأجل الدنيا وللحصول على الرئاسة ومنازعة أولى الأمر فهذا الخروج يعتبر محاربة ويكون للمحاربين حكم آخر يخالف حكم الباغين ، وهذا الحكم هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة : ٣٣ ، ٣٤]

فهؤلاء المحاربون جزاؤهم القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف أو الحبس والنفى من الأرض ، فحسب رأى الحاكم فيهم ، وجرائمهم التى ارتكبوها ومن قتل منهم فهو فى النار ، ومن قتل من مقاتليهم ، فهو شهيد .

وصف البغاة :

إنه لابد من صفات خاصة يتميز بها الخارجون حتى ينطبق عليهم وصف (البغاة) وجملة هذه الصفات هى (٢) :

١ - الخروج عن طاعة الحاكم العادل التى أوجبها الله على المسلمين لأولياء أمورهم .

٢ - أن يكون الخروج من جماعة قوية ، لها شوكة وقوة ، بحيث يحتاج الحاكم فى ردهم إلى الطاعة إلى إعداد للرجال ومال وقتال فإن لم تكن لهم قوة فإن كانوا أفرادا ولم يكن لهم من العتاد ما يدفعون به عن أنفسهم ، فليسوا ببغاة لأنه يسهل ضبطهم وإعادتهم إلى الطاعة .

---

(١) السيد سابق ، فقه السنة ، الجزء الثالث ، السلم والحرب - المعاملات - مكتبة المسلم ، ص ١٢ .

(٢) السيد سابق ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢ .

٣ – أن يكون لهم تأويل سائغ يدعوهم إلى الخروج على حكم الإمام فإن لم يكن لهم تأويل سائغ كانوا محاربين ، لا بغاة .

٤ – أن يكون لهم رئيس قطاع يكون مصدرا لقوتهم ، لأنه لا قوة لجماعة لا قيادة لها .

وإذا رجعنا للوضع المتردى للأمة العربية والإسلامية الذى أدى إلى درجة الاقتتال بين الدول العربية والدول الإسلامية مع بعضها البعض وما آلت إليه حالة الحكومات من فرقة وتمزق نصل إلى مدى التدهور التى وصلت إليه هذه الأمة ولقد حدث ما لم يكن يحدث لو أن هذه الأمة ودولها نفذت ما أمر به الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز وما أشارت إليه السنة الشريفة والسابق الإشارة إليها من قبل .

إن ما حدث بين إيران والعراق وما بين العراق والكويت أو فى أفغانستان والصومال والجزائر أو ما وقع فى اليمن الأمر الذى أدى إلى سفك الدماء وحصد الأرواح وسلب الأموال وهتك الأعراض واستباحة الحرمات لدليل على أن الأمة العربية والإسلامية فرطت فى دينها وخالفت شرع ربها فوصلت إلى ما وصلت إليه .

وأمام هذا الوضع المتردى وجب تعاون كل أبناء هذه الأمة الإسلامية لنبذ الفرقة وتجاوز الخلاف والعمل على الإصلاح تبعا لشرع الله كتابا وسنة .. إنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فهل يعتقد دعاة التشرذم فى هذه الدول أن الظرف ملائم لمثل هذا التمزق وهذه الصراعات فى عصر أصبحت الاتحادات الاقتصادية والسياسية والعسكرية أساس قوة الدول وضمان هيبتها .

* * *

الفصل الرابع

آداب الحرب فى الإسلام

- تمهيد .
- المبحث الأول : وصايا رسول الله (ﷺ) والصحابة الكرام .
- المبحث الثانى : الأعمال المنهى عنها .
- المبحث الثالث : معاملة أسرى الحرب فى الإسلام .



الفصل الرابع

آداب الحرب فى الإسلام

● **تمهيد** :

انطلاقا من طبيعة الإسلام وأهـــدافه فقد ألزمت الشريعة الإسلامية المجاهدين إلزاما صارما باتباع آداب للقتال فى الحـــرب وأحاطت الشريعة تلك الآداب (الأخلاقيات) بضوابط وضمانات لم تتحقق قوتها ولا مفعولها للقانون الدولى المعاصر وهذا ما تضمنه كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وهو ما امتازت به الشريعة الإسلامية عن باقى الشرائع الأخرى وهو ما يميز العقيدة العسكرية الإسلامية .

لقد منعت العقيدة العسكرية الإسلامية جميع الأساليب الحربية الوحشية التى راجت فى العالم ووضعت قوانين متحضرة للحرب وبكل ما يتعلق بها متمشيا مع التطور والرقى الزمنى وطبقا للتغير فى الظروف وتطور الأفكار الإنسانية ذاتها ووضعت أصولا جديدة تتميز بقدرتها على التطور بحيث يمكن استخراج أحكام فرعية وجزئية منها طبقا لمستلزمات كل زمان وكل عصر بالإضافة إلى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – وصحابته تركوا ميراثا عمليا يوضح تماما روح الشريعة الإسلامية السمحاء .

وحين نستعرض هذا الميراث نتعرف على الأسلوب الذى اتبعه الإسلام فى كل موقف وفى كل ظرف من الظروف .

وسوف نتناول هذا الفصل (آداب الحرب فى الإســلام) فى ثلاثة مـباحث كالآتى :

المبحث الأول : ويتناول وصايا الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة الكرام .

المبحث الثانى : ويتناول الأعمال المنهى عنها .

المبحث الثالث : ويتناول معاملة الأسرى فى الإسلام .

المبحث الأول

وصايا الرسول (ﷺ) والصحابة الكرام

أولا – وصايا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى قواده :

عن أنس – رضى الله عنه – أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال :

« انطلقوا باسم الله ، وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا (إلا إذا كان مقاتلا أو ذا رأى فقد أمر – صلى الله عليه وسلم – بقتل زيد بن الصحة الذى كان فى جيش هوازن للرأى فقط وعمره يربو على مائة وعشرين سنة) ولا طفلا صغيرا ولا امرأة (إلا إذا كانت مقاتلة أو والية عليهم أو لها رأى فيهم) ولا تغلوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » (رواه أبو داوود) .

وعن أبى موسى – رضى الله عنه – قال : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا بعث أحدا من أصحابه فى بعض أمره (أى فى أمر من أعمال الولاية والإدارة) قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » .

والمعنى : أى بشروا من قرب إسلامه ومن تاب من العصاة بسعة رحمة الله وعظم ثوابه لمن آمن وعمل صالحا ، ولا تنفروا بذكر أنواع التخويف والوعيد .

وعنه قال : بعثنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعاذا إلى اليمن فقال : « يسروا ولا تعسروا ، بشروا ولا تنفروا » وتطاوعا ولا تختلفا (أى ارتكاب الخلاف واعملا على الوفاق فهذا أدعى للنصر والنجاح ، وصدر الحديث موجه باعتبار الجماعة ، وعَجُزُه باعتبار المثنى) (رواهما الشيخان) .

أخرج مسلم عن بريدة – رضى الله عنه – قال : كان النبى – صلى الله

عليه وسلم - إذا أقر أميرا على جيش أو سرية (قطعة من الجيش) أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا (أى أوصاه بتقوى الله وأوصاه بالمسلمين خيرا) ثم قال :

« اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تخونوا فى الغنيمة ، ولا تغدروا (لا تنقضوا عهدا) ولا تمثلوا (أى لا تشوهوا القتلى بقطع الأنوف والآذان ونحوها) ولا تقتلوا وليدا أى صبيا وكذا الشيخ الكبير والمرأة لأنهم لا يقاتلون وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (وهى الإسلام والهجرة وإلا فالجزية أو الحرب) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا (أى عن ديارهم ويجاهدوا) ، فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين (أى من الأعراب أهل البادية ، وحكم الله فيهم أنه ليس لهم فى الغنيمة والفيء شئ إلا إذا جاهدوا) .

ولا يكون لهم فى الغنـــيمة والفيء شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فسلهم الجزية (أى عن الإسلام فسلهم الجزية لعل هذا قبل تخصيصها بأهل الكتاب الوارد فى سورة التوبة) .

فإن هم أجابوك فاقبل وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذلك (فأرادوك : أى طلبـوا منك) ولكن اجعـــل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفوا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله (والذمة : هى العهد ، والإخفار : نقض العهد) ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تقبل منهم ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا (والمراد : التحـــرر من عهد الله وحكمه احتراما لهما) .(رواه الخمسة إلا البخارى) .

حدث نافع عن عبد الله بن عمر أن امرأة وجدت فى بعض مغازى الرسول ﷺ مقتولة ، فأنكر ذلك ، ونهى عن قتل النساء والصبيان . (رواه مسلم) .

وروى رباح بن ربيع : أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مر على امرأة مقتولة فى بعض الغزوات ولعلها هى المرأة فى الحديث المذكور قبل ذلك ، فوقف عليها ، ثم قال : « ما كانت هذه لتقاتلَ » ، ثم نفر فى وجوه أصحابه وقال لأحدهم : « الحق خالد بن الوليد ، فلا يقتلن ذرية ، ولا عسيفا (أى أجيراً) ، ولا امرأة » .

ومن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم :

من خطبته صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع :

« أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لإمرىء مال أخيه إلا عن طيب نفسه ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهدُ ، فلا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله . الاهل بلغت ؟ اللهم اشْهد ، أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى ، الاهل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب »

ثانيا – وصايا أبى بكر – رضى الله عنه [1] :

١ – حين أرسل أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – جيوشه إلى الشام ، قدم لهم عشر نصائح :

(أ) لا تقتلوا امرأة ولا طفلا ولا شيخا .

(ب) لا تمثلوا .

(ج) لا تؤذوا راهبا أو عابدا ولا تهدموا معبداً أو صومعة .

---

(١) أبوالأعلى المودودى ، شريعة الإسلام فى الجهاد والعلاقات الدولية ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(د) لا تخربوا عامرة .

(هـ) لا تقطعوا شجرًا أو تقلعوا شجرًا أو تحرقوا زرعاً .

(و) لا تقتلوا دابة.

(ز) ابتعدوا عن نقض العهود ولا تنقضوا عهداً .

(ح) لا تخونوا فى أمور الغنيمة .

(ط) احترموا أرواح من يطيعونكم وأموالهم احترامكم لأرواح المسلمين وأموالهم .

(ى) لا تولو ا الأدبار فى الحرب .

ثالثا - وصية عمر - رضى الله عنه - إلى سعد بن أبى وقاص :

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص ومن معه من الأجناد : « أما بعد [1] : فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم فضل علينا فى القوة ، وإلا تنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا ، اسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم . اسأل الله ذلك لنا ولكم .

وترفق بالمسلمين فى سيرهم ، ولا تجشمهم سيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم

---

(١) السيد سابق ، فقه السنة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

عند منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكراع ، واقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، متى تكون لهم راحة يحيون فيها انفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحدا من أهلها شيئا ، فإن لهم حرمة وذمة ، ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فنولوهم خيرا ، ولا تستنصرعلى أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وطئت أرض العدو ، فإذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخفى عليك أمرهم وليكن عندك من العرب ، أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عيناً لك . وليكن منك عند دنوّك من أرض العدو ان تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم . وانتق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدواً كان أول من تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ، ولا تخص بها أحدا يهوى ، فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه عليه أو صنيعه ونكاية .

فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك ، وطلائعك ، وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناخرة ، مالم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك .

ثم أذك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهدك ولا تمر بأسير له عقد إلا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك . والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر بكم على عدوكم ، والله المستعان » .

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – ما جاء فى كتاب له : « لا تغلوا ولا تضرروا ، ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله فى الفلاحين » .

وكان من وصاياه لأمراء الجند :

« ولا تقتلوا هرماً ، ولا امرأة ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات » .

رابعا - وصية سيدنا على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - لجنوده :

كانت وصية سيدنا على - كرم الله - وجهه لجنوده نقلا عن كتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبى حديد .. إذ يقول - رضى الله عنه وأرضاه - :

« إذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتل ولا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تعذبوا النساء بأذى وإن شتمنكم وشتمن أمراءكم واذكروا الله لعلكم ترحمون ».

خامسا - وبعد استعراض وصايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يتعلق بآداب الحرب وكذلك وصايا الصحابة الكرام نجد مدى التزام الشريعة الإسلامية وكذلك الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - والصحابة الكرام بهذه الآداب التزاما تاما بل إن بداية القتال لا تبدأ إلا بعد إنذار الخصم ودعوته إلى السلم قبل القتال وكذلك احترام الحياد والتواصى بالتراحم فى القتال بل إن الإسلام نهى عن الأعمال الوحشية وأمر بمعاملة الأسرى معاملة حسنة (أما عن الأعمال التى نهى الإسلام عنها فسوف نفرد لها مبحثا كاملا وهو المبحث الثانى من هذا الفصل وأما عن معاملة الأسرى فسوف نفرد له المبحث الثالث تفصيلا) أما عن بدء القتال واحترام الحياد والتوصية بالتراحم فنوجزها فى الآتى :

١ - إنذار الخصم ودعوته إلى السلم قبل القتال :

إذا رفض العدو السلم ورفض الانصياع لصوت الحق والعدل تكون الحرب أمرًا لا مفر منه ، يقول تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ، وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِينُ كُلُّهُ لله ، فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الانفال ٣٨ ، ٣٩]

وكانت حكاية سمرقند مثلاً حياً فى التاريخ وموقفا عمليا تطبيقيا لهذه الأخلاقية لم يشهد التاريخ الإنسانى مثله حتى الآن .

٢ – احترام الحياد :

ألزمت الشريعة الإسلامية المسلمين باحترام حقوق المحايدين وعدم انتهاكها وعدم قتالهم أو مسهم بسوء ، سواء أكانوا أفرادا أو جماعات وفوق ذلك فإن الشريعة الإسلامية أوجبت على المسلمين حماية المحايدين من عدوان أعدائهم بسبب موقفهم المحايد ، وحرمت عليهم دخول حدود الأمة المحايدة ولو هرب العدو إلى داخل هذه الحدود .

٣ – التراحم :

رغم أن الإسلام أوجب الشدة والغلظة فى قتال الأعداء فإنه حض المسلمين على بذل الرحمة فى موضعها ومن ذلك على سبيل المثال الرفق بالجرحى فإن قعدت قوة الجريح عن القدرة على المقاومة لا يسوغ قتله بل يبقى عليه ويداوى حتى يؤسر أو يفدى أو يمن عليه ، ولا يجوز قتل الأسير ولا التفريق فى الأسرى بين الأم وطفلها الصغير ، ويوجب الإسلام ضرورة دفن قتلى الأعداء بعد انتهاء القتال .

ومن التراحم امتناع الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى غزواته عن مطاردة أفراد العدو المنهزم حقنا لدمائهم وأملا فى إسلامهم وما أمر به – صلى الله عليه وسلم – من مواصلته إمداد قريش بالطعام بعدما أدى امتناعه عن إمدادهم إلى مجاعة كادت أن تهلكهم .

٤ – الوفاء بالعهد واحترام المواثيق والالتزام بها :

يأمرنا الله عز وجل بالوفاء بالعَهْد ، ويؤكد الأمر به ويعظم شانه ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ أَوفُواْ بالْعُقُود ﴾ [المائدة : ١]

ويقول تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتيمِ إلاَّ بالَّتي هيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُواْ بالْعَهْد إنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

ويقول تعالى :﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً ، فَلاَ تَتَّخذُواْ منْهُمْ أَوْليَاءَ حَتَّى يُهَاجرُواْ في سَبيل الله ، فَإن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ، وَلاَ تَتَّخذُواْ منْهُمْ وَليّاً وَلاَ نصيرًا * إلاَّ الَّذينَ يَصلُونَ إلَى قَوْمٍ بينَكُمْ

وبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ، فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيهِمْ سَبِيلاً ﴾ [النساء:٨٩ ، ٩٠] .

وينهى سبحانه وتعالى عن الغدْر ، ويشتد فى النهى عنه ، ويلعن الغادرين ، والعهد أداء الواجب الذى يقتضيه عمل الإنسان فمن تولى عملا فقد عاهد أن يفى به على الوجه الأكمل ، فإن لم يفعل فقد خالف العهد ، ومن آمن بالدين فقد عاهد أن يأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه ، فإن لم يفعل فقد نقض العهد ، ومن أولى علما أو عرف حقًّا ، فكأنه عاهد أن يبينه للناس ليهتدوا به فإن كتمه فقد غدر .

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

ويقول تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ، قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

فهذه مواثيق عامة تضمنتها رسالة الأنبياء ، وقد أمر الله بالوفاء بالعهد وسماه عهد الله (١) .

* * *

---

(١) الدكتور عبد الوهاب عزام – بتصرف .

المبحث الثانى

الأعمال المنهى عنها

تتضمن الأعمال المنهى عنها فى الإسلام الآتى بعد :

١ - النهى عن التعرض للمدنيين وقتل المستضعفين :

نهى الإسلام عن التعرض للمدنيين وقتل المستضعفين من النساء والولدان والشيوخ الطاعنين فى السن والعبّاد فى الصوامع والبيع والصلوات بل أكثر من ذلك يقوم المقاتلون المسلمون بحماية المدنيين ومعاملتهم معاملة إنسانية ويكتفى بقتال المقاتلين ومصادر القوة العسكرية للعدو .

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا بعث سرية قال :

« انطلقوا باسم الله ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلاً صغيرًا ولا امرأة ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » (أخرجه أبو داوود) . وعن ابن عمر أن النبى - صلى الله عليه وسلم - رأى امرأة مقتولة فى بعض مغازيه ، فأنكر قتل النساء والصبيان (متفق عليه) .

٢ - النهى عن استعمال النار :

بمعنى تحريم الإحراق بالنار فلئن كان بعض العرب قديما كانوا يستعملون النار لإحراق أعدائهم فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينهى عن ذلك بقوله :

« لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار » (رواه أبو داود والدّارمى) .

ويقول أبو هريرة - رضى الله عنه - : أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالخروج للجهاد وأمرنا إذا ما قابلنا فلاناً وفلاناً أن نحرقهم ، ولكن حين

بدأنا السير نادى وقال : « إنى أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وإن النار لا يعذب فيها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما » .

٣ – النهى عن قتل السفراء أو التعرض لهم بسوء .

٤ – النهى عن العدوان .

من يتأمل الأهداف المشروعة للقتال فى الإسلام يرى بوضوح أن بواعث القتال كلها فى إطارها دفاعية لا عدوانية وهى لدفع الظلم ودفع الباطل وإحقاق الحق وتحقيق العدل ودفاعا عن العقيدة وينص الله تعالى فى كتابه العزيز صراحة على النهى عن العدوان ، يقول تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعتَدُوا ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، أى قاتلوا لإعلاء دين الله من قاتلكم من الكفار ولا تبدءوا بقتالهم فإنه تعالى لا يحب من ظلم أو اعتدى . ويقول الحسن البصرى فى قوله تعالى :﴿ وَلاَ تَعْتَدُوا إِن الله لاَ يُحِبُّ المعْتَدِينَ ﴾ أى قاتلوا فى سبيل الله ولا تعتدوا فى ذلك يدخل ارتكاب المناهى من مثله وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأى لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار والفلول وقتل الحيوان لغير مصلحة . ولنا فى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسوة حسنة ، وقد ظل فى مكة ثلاثة عشر عاما صابراً على أذى المشركين هو والمسلمون لا يعتدون ولا يقابلون حرب المشركين لهم بحرب بل كانوا يستجيبون لأمر الله تعالى ولرسوله – عليه الصلاة والسلام – ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ . [النحل : ١٢٧] .

ولطالما شكا المسلمون للرسول – صلى الله عليه وسلم – ما يلاقونه من أعدائهم فيجيبهم قائلا : « اصبروا فإنى لم أوح بقتال » ، وظل الحال على ذلك حتى تمت الهجرة من مكة إلى المدينة وأصبح المسلمون فى منعة وقوة ، فأذن الله تعالى لهم بالجهاد فى أوائل السنة الثانية للهجرة ، قال تعالى :

﴿ إنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ، إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُم ظُلِمُوا ، وإنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حقٍّ إلاَّ أنَ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ، وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ ، إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إن مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ وأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، ولِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[الحج : ٣٨ - ٤١] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾[المائدة : ٢].

٥ - النهى عن قتل النساء والولدان فى الغزو :

- عن مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول ﷺ رأى فى بعض مغازيه امرأة مقتولة ، فأنكر ذلك ، ونهى عن قتل النساء والصبيان . (أخرجه البخارى فى : ٥٦ - كتاب الجهاد والسير ، ١٤٨ - باب قتل النساء فى الحرب ومسلم فى : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ، ٨ - باب تحريم قتل النساء والصبيان فى الحرب ، حديث ٢٤ ، ٢٥) [١] .

- عن مالك ، أنه بلغه أن عُمر بن عبد العزيز كتب إلى عامل من عماله : أنه بلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية يقول لهم : « اغزوا باسم الله . فى سبيل الله . تقاتلون من كفر بالله لا تقلوا ولا تعذروا . ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا » . وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله والسلام عليك .

« وأخرجه مسلم موصولا فى : ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ، ٢- باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ، حديث ٢) [٢] .

---

(١) الموطأ ، المجلدالثانى ، ٢١ - كتاب الجهاد ص ٤٤٧ .

(٢) الموطأ ، المجلد الثانى ، ٢١ - كتاب الجهاد ص ٤٤٨ .

٦ - تحريم السلب والنهب والمثلة :

إن العقيدة العسكرية الإسلامية تنأى بأصحابها ، أن يمدوا أيديهم إلى أموال غيرهم أو أن يسلبوا أو ينهبوا شيئاً .

عن عاصم بن كليب - رحمه الله - عن أبيه عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى سفر فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد فأصابوا غنما فانتهبوها ، فإن قدورنا لتغلى إذ جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشى على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه ، ثم جعل يُرمل اللحم بالتراب ، ثم قال : « إن النهبة ليست بأحل من الميتة أو إن الميتة ليست بأحل من النهبة - الشك من صناو وهو ابن السرى » . (أخرجه أبو داود برقم ٢٧٠٥) .

وقد حدث بعد عقد الصلح فى غزوة خيبر أن خرجت بعض عناصر من جنود المسلمين وبدأت فى السلب ، فحضر زعيم اليهود وقال للنبى - صلى الله عليه وسلم - يا محمد ألكم أن تذبحوا حرمنا وتأكلوا ثمرنا وتعذبوا نساءنا ؟ فأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ابن عوف - رضى الله عنه - قائلا :

« اجتمعوا للصلاة » وعندما اجتمعوا قال لهم - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أيجلس أحدكم متكئاً على أريكته وهو يظن أن الله لم يحرم شيئا إلا ما فى القرآن ألا وإنى والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء أنها لمثل القرآن وأكثر وأن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذى عليهم » .

كما تنهى العقيدة عن المثلة ، عن عبد الله بن يزيد الأنصارى - رضى الله عنه - قال :« نهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عن النهب والمثلة : وكان من نصائحه - صلى الله عليه وسلم - للجنود عند الجهاد - ألا يغدروا ولا يغلوا ولا يمثلوا » .

٧ - النهى عن التخريب والتدمير :

إن العقيدة العسكرية الإسلامية عقيدة جهاد ودفاع ، عقيدة عمل وإصلاح

وليست عقيدة تدمير وتخريب ، وقد نهى الإسلام عن الفساد فى الأرض وعن التدمير والتخريب ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] ٠

« عن يحيى بن سعيد – رحمه الله – أن أبا بكر – رضى الله عنه – بعث جيوشاً إلى الشام فخرج يشيعهم : فمشى مع يزيد بن أبى سفيان وكان أمير ربع من تلك الأرباع فقال لأبى بكر إما أن تركب وإما أن أنزل ، فقال له ما أنت بنازل ولا أنا براكب ، وانى أحتسب خطاى فى سبيل الله ، ثم قال :

إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعهم وما زعموا إنهم حبسوا أنفسهم له وستجد قوماً فحصوا عن أوساط رؤوسهم الشعر فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف وإنى موصيك بعشر :

لا تقتلن امرأة ولا صبيًا ولا كبيرًا هرمًا ، ولا تقطع شجرًا مثمرًا ، ولا تخربن عامرًا ولا تعقرن شاةً ولا بعيرًا إلا لمأكله ولا تفرقن نخلاً ولا تحرقنه ولا تغلوا ، ولا تجبنوا » ٠

والخلاصة :

أن الإسلام قد نهى عن قتل غير المقاتلين كرجال الدين والنساء والشيوخ والأطفال والعمال وغيرهم من المدنيين إلا إذا اشتركوا فى القتال برأيهم أو بمالهم أو أنفسهم ٠

٨ – عدم نقض العهود :

يجوز عقد معاهدة عدم اعتداء وحسن جوار بين المسلمين وأعدائهم إذا كان محققا لمصلحة راجحة للمسلمين فقد عقد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المعاهدات وكان يقول :

« نفى لهم بعهدهم ، ونستعين بالله عليهم » ٠ (مسلم) ٠

وقال تعالى :

﴿ إِلاَّ الذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ ، فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٧] ٠

وحرم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قتل المعاهد ، فقال :

« من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة » (البخارى) .

وقال – صلى الله عليه وسلم – :

« إنى لا أحنث بالعهد ولا أحبس البرد » ومعنى ذلك أنه – صلى الله عليه وسلم – لا ينقض العهد ولا يحبس الرسل .

وعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أنه قال :« قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره الا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عاق » . (رواه أحمد ومسلم) .

وقد أكد الإسلام على الوفاء بالعهود فى الحرب وفى السلم ، واعتبر نقض العهد أمراً غير مشروع .

قال الله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاتنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * ولاَ تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾[النحل : ٩١ ، ٩٢] .

ويقول تعالى :﴿ وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ ، إِنَّ العَهْدَ كان مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء :٣٤] .

ومع كل ما سبق فإن الله تعالى ينبه المسلمين إلى وجوب أن يكونوا حذرين فلا تأخذهم الغفلة اعتمادا على معاهدة ولا سيما إذا كانت مع قوم لا يحفظون العهد ، كما وصف الله تعالى بنى إسرائيل :

﴿ الذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَيَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال : ٥٦] .

وقد أوجب الله على الأمة الإسلامية وجيشها الحذر فيقول تعالى :

﴿ وخذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[النساء : ١٠٢] .

وخصوصا فى المرحلة التى تسبق الحرب أو القتال وهى مرحلة الخوف من

الخيانة فينبغى ألا تخلد الأمة الإسلامية إلى الأمن وترك الاستعداد والتدريب اعتماداً على معاهدة ، بل يجب عليها أن تأخذ حذرها وكانت سنة النبي ﷺ أن يحفظ العهد ويلتزم الحذر مع حفظ العهد ولذلك نجد أن رسول الله ﷺ عاهد اليهود فى المدينة على العيش جنبا إلى جنب مع المسلمين مع اشتراكهم فى الدفاع عنها ، ولكنه – صلى الله عليه وسلم – تبين له أن اليهود من بنى قريظة نكثوا العهد ولم يخف ذلك عليه لشدة حرصه وحذره – صلى الله عليه وسلم – وأرسل إليهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يذكرهم بالعهد فانكروه صراحة . ولذلك فإنه بعد أن انصرف الأحزاب عن المدينة بما فيهم بعد أن انكشف نقضهم للعهد تحقيقا لقوله تعالى :

﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة : ١٢] وحين تظهر علامات الغدر فإن المسلمين يكونون فى حل من إعلان الحرب على أعدائهم .

وعن أبى رافع قال : قال النبى – صلى الله عليه وسلم – :

« إنى لا أحنث بالعهد ولا أحبس الرسل» : (رواه أبو داود والنسائى وصححه ابن حبان) .

عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها لتوجد على مسيرة أربعين عاما » .

٩ – تحريم القتال فى الأشهر الحرم :

وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمات ، يقول تعالى :

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ، فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ، واتَّقُوا اللَّهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ

أنفُسَكُمْ ، وقَاتِلُوا المشْــــرِكِينَ كَافةً كَما يُقَــاتِلُونَكُمْ كَافةً ، واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

١٠ - تحريم القتال عند المسجد الحرام :

وهذا تحريم قطعى بنص الآيات ، يقول تعالى :

﴿ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الحرَامِ حَتى يُقَاتِلُوكُمْ ﴾[البقرة : ١٩١] .

ويقول تعالى :

﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاس لَلَّذى ببَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى للعَالمينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران : ٩٦] .

* * *

المبحث الثالث

معاملة أسرى الحرب فى الإسلام

عامل الإسلام الأسرى بالحسنى وقد راعى آدميتهم وعاملهم معاملة إنسانية رحيمة ورفق بهم فهو يدعو إلى إكرامهم والإحسان إليهم ابتغاء وجه الله ومرضاته ، ولقد امتدح القرآن الكريم إطعام الأسير واعتبره من الأعمال الصالحة وهو ما يشير إليه قوله تعالى :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٨ ، ٩] .

وحين دخل النبى - صلى الله عليه وسلم - مكة بعد فتحها أعلن فى جند المسلمين : « لا تجهزن على جريح ولا يتبعن مدبر ولا يقتل أسير ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وبعد أن مكنه الله من أهل مكة بعد فتحها ، قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، ويروى أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - عن رسول - صلى الله عليه وسلم - « فكوا العانى : أى فكوا الأسير ، وأجيبوا الداعى ، وأطعموا الجائع ، وعودوا المريض » .

ويقول تعالى :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ،حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ ، فإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذَلِكَ ، وَلَو يَشَاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَا بَعضَكُم بِبَعْضٍ ، والَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٤] .

ويتناول الإمام القرطبى هذه الآية بالشرح والتفسير فى أربع مسائل نوضحها فيما يلى [١] :

---

(١) تفسير القرطبى .

١ - **المسألة الأولى** : قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ :

لما ميز بين الفريقين أمر بجهاد الكفار ، قال ابن عباس :« الكفار المشركون عبدة الأوثان وقيل كل من خالف دين الإسلام من مشرك أوكتابى إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة ، ذكره الماوردى واختاره ابن العربى ، وقال : وهو صحيح لعموم الآية فيه ، فضرب الرقاب ، مصدر ، قال الزجاج : أى ما ضربوا الرقاب ضربا ، وخص الرقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها . وقيل : نصب على الإغراء ، وقال أبو عبيدة هو كقولك يانفس صبرا وقيل : التقدير اقصدوا ضرب الرقاب . وقال (فضرب الرقاب) ولم يقل فاقتلوهم ، لأن فى العبارة بضرب من الغلطة والشدة ما ليس فى لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة ، وهو حز العنق وإطارة العضو الذى هو رأس البدن وأوجه أعضائه .

٢ - **المسألة الثانية** : قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ ﴾ أى أكثرتم القتل ، وقد مضى فى (الأنفال) عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ [الانفال : ٦٧] « فشدوا الوثاق » أى إذا أسرتموهم . والوثاق اسم من الإيثاق وقد يكون مصدرا ، يقال : أوثقته إيثاقا وأما الوثاق (بالكسر) فهو اسم الشئ الذى يوثق به كالربط قاله القشيرى .

وقال الجوهرى : وأوثقه فى الوثاق أى شده ، وقال تعالى :

﴿ فَشُدُّوا الوَثَاقَ ﴾ والوثاق (بكسر الواو) لغة فيه . وإنما أمر بشد الوثائق لئلا يفلتوا .

« فَإِمَّا مَنًّا » عليهم بالإطلاق من غير فدية « وإما فداء » .. ولم يذكر القتل هاهنا اكتفاء بما تقدم من القتل فى صدر الكلام « منا » و« فداء » نصب باضمار فعل وقرىء « فدى » بالقصر مع فتح الفاء أى فإما أن تمنوا عليهم منا وإما أن تفادوهم فداء . روى عن بعضهم أنه قال : كنت واقفا على رأس الحجاج حين أتى بالأسرى من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث وهم أربعة آلاف وثمانمائة فقتل منهم نحو من ثلاثة آلاف حتى قدم إليه رجل من كندة فقال : يا حجاج ،

لا جازاك الله عن السند والكرم خيراً ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لأن الله تعالى قال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُم الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ ، فَإِما مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِدَاءً ﴾ فى حق الذين كفروا ٠ فو الله ما مننت ولا فديت ؟ وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق :

لا نقتل الأسرى ولكن نفكهم   إذا افعل الأعتَاق حمل المغْارم

فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ! أما كان فيهم من يحس مثل هذا الكلام خلوا من بقى فخلى يومئـذ عن بقية الأسرى ، وهم زهاء ألفين ، بقول ذلك الرجل ٠

٣ – المسألة الثالثة :

اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية على خمسة أقوال :

الأول – أنها منسوخة ، وهى فى أهل الأوثان ، ولا يجوز أن يفادوا ولا يمن عليهم والناسخ لها عندهم قوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] ، وقوله : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال : ٥٧] ٠ ﴿ وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [التوبة : ٣٦] ٠

قال قتادة والضحاك والسدى وابن جريج والعوفى عن ابن عباس ، وقاله كثير من الكوفيين ، وقال عبد الكريم الجوزى : كتب إلى بكر فى أسير أسر ، فذكروا أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا فقال اقتلوه ، لقتل رجل من المشركين احب إلى من كذا وكذا ٠

والثانى – إنها فى الكفار جميعا ، وهى منسوخة على قول جماعة من العلماء وأهل النظر منهم قتادة ومجاهد ، قالوا : إذا أسر المشرك لم يجز أن يمن عليه ، ولا أن يفادى به فيرد إلى المشركين ولا يجوز أن يفادى عندهم إلا بالمرأة ، لأنها لا تقتل والناسخ لها ﴿ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[التوبة:٥] ٠ وإذا كانت براءة آخر ما نزلت بالتوقيف ، فوجب أن يقتل كل مشرك إلا من قامت الدلالة على تركه من النساء والصبيان ومن يؤخذ منه الجزية وهو المشهور من مذهب أبى حنيفة ، خيفة أن يعودوا حرباً للمسلمين ٠

ذكر عبد الرازق أخبرنا معمر عن قتادة : « فإما منا بعد وإما فداء » قال : نسخها « فشرد بهم من خلفهم » وقال مجاهد : نسخها ﴿ فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] وهو قول الحكم .

الثالث : إنها ناسخة ، قال الضحاك وغيره : روى الثورى عن جوبير عن الضحاك : ﴿ فَاقْتُلُوا المشرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] قال : فإما منا بعد وإما فداء ، وقال ابن المبارك عن ابن جريح عن عطاء « فإما منا بعد وإما فداء فلا يقتل المشرك ولكن يمن عليه ويفادى ، كما قال الله عز وجل . وقال أشعث : كان الحسن يكره أن يقتل الأسير ، ويتلوا « فإما منا بعد وإما فداء » وقال الحسن أيضا فى الآية تقديم وتأخير فكأنه قال : فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها ، ثم قال « حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » وزعم أنه ليس للإمام إذا حصل الأسير فى يديه أن يقتله لكنه بالخيار فى ثلاثة منازل : إما أن يمن ، أو يفادى ، أو يسترق .

الرابع : قول سعيد بن جبير : لا يكون فداء ولا أسر إلا بعد الإثخان والقتل بالسيف لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ [الأنفال : ٦٧] إذا أسر بعد ذلك فللإمام أن يحكم بما رآه من قتل أو غيره .

الخامس : إن الآية محكمة : والإمام مخير فى كل حال ، رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، وقال كثير من العلماء منهم ابن عمر والحسن وعطاء ، وهو مذهبى مالك والشافعى والثورى والأوزاعى ، وأبى عبيد وغيرهم . وهو الاختيار لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين فعلوا كل ذلك .

فتل النبى عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وفادى سائر أسارى بدر ، ومن على ثمامه بن أثال الحنفى وهو أسير فى يده وأخذ من سلمةَ بن الأكوع جارية ففدى بها أناسا من المسلمين ، وهبط عليه السلام على قوم من أهل مكة فأخذهم النبى - صلى الله عليه وسلم - ومنّ عليهم ، وقد منَّ على سبى هوازن ، وهذا كله ثابت فى الصحيح وقد مضى جميعه فى (الأنفال) وغيرها .

قال النحاس : وهذا على ان الآيتين محكمتان معمول بهما وهو قول حسن لأن النسخ إنما يكون لشئ قاطع ، فإذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ ، إذا كان يجوز أن يقع التعبد إذا لقينا الذين كفروا قتلناهم ، فإذا كان الأسر جاز القتل والاسترقاق والمفاداة والمن على ما فيه الصلاح للمسلمين ٠ وهذا القول يروى عن أهل المدينة والشافعي وأبى عبيد ، وحكاه الطحاوى مذهبا عن أبى حنيفة والمشهورعنه ما قدمناه وبالله عز وجل التوفيق ٠

٤ - **المسألة الرابعة**: قوله تعالى : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال مجاهد وابن جبير : هو خروج عيسى عليه السلام ، وعن مجاهد أيضا : أن المعنى حتى لا يكون دين إلا دين الاسلام ، فيسلم كل يهودى ونصرانى وصاحب ملة وتأمن الشاة من الذئبة ٠ ونحوه عن الحسن والكلبى والفراء والكسائى ٠ قال الكسائى : حتى يسلم الخلق ٠ وقال الفراء : حتى يؤمنوا ويذهب الكفر ، فقال الكلبى : حتى يظهر الإسلام على الدين كله ٠ وقال الحسن : حتى لا يعبدوا إلا الله ٠

وقيل معنى الأوزار : السلاح ، فالمعنى شدوا الوثاق حتى تأمنوا وتضعوا السلاح ، وقيل : معناه حتى تضع الحرب ، أى الأعداء والمحاربون أوزارهم وهو سلاحهم بالهزيمة والموادعة وقيل ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ أى أثقالها ٠ والوزر والثقل وفيه وزير الملك لأنه يتحمل عنه الأثقال ٠ وأثقالها السلاح لثقل حملها ٠ قال ابن العربى : قال الحسن وعطاء : فى الآية تقديم وتأخير ، المعنى فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها فإذا أثخنتموهم فشدوا الوثائق وليس للإمام أن يقتل الأسير ٠ وقد روى عن الحجاج أنه دفع أسيراً إلى عبد الله بن عمر ليقتله فأبى وقال : ليس بهــذا أمرنا الله وقرأ ﴿ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ ﴾ قلنا : قد قاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفعله ، وليس فى تفسير الله للمن والفداء منع من غيره ، فقد بين الله فى الزنى حكم الجلد وبين النبى – ﷺ – حكم الرجم ، ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج فاعتذر بما قال وربك أعلم ٠

ومما سبق يتضح أن الإسلام قد جعل الحق للحاكم فى أن يفعل بالرجال

المقاتلين إذا أظفر بهـم ووقعوا أسرى ، ما هو الأنفع والأصلح من المن أو الفداء أو القتل أو الاسترقاق . والمن هو إطـلاق سراحهم مجانا ، والفداء قد يكون بالمال ، وقد يكون بأسرى المسلمين ، ويجوز للإمام أن يقتل الأسير إذا كانت المصلحة تقتضى قتله أو إذا كان مجرم حرب ، وقد ثبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قتل النضر بن الحارث وعقبة بن معيط يوم بدر وقتل أبا عزه الجمحى يوم أحد وفى هذا يقول الله عز وجل سبحانه :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾[الأنفال: ٦٧] .

أما عن الاسترقاق فإن القرآن لم يرد فيه نص يبيح الرق وإنما جاء فيه الدعوة إلى العتق . ولم يثبت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ضرب الرق على أسير من الأسارى بل أطلق أرقاء مكة ، وأرقاء بنى المصطلق ، وأرقاء حنين .

وثبت عنه أنه – صلى الله عليه وسلم – أعتق ما كان عنده من رقيق فى الجاهلية وأعتق كذلك ما أهدى إليه منهم . على أن الخلفاء الراشدين – رضى الله عنهم – ثبت عنـهـم أنهم استرقوا بعض الأسـرى عـلى قاعـدة المعامـلة بالمثل (١) .

فهم لم يبيحوا الرق فى كل صورة من صوره ، كما كان عليه العمل فى الشرائع الإلهية والوضعية فإنما حصروه فى الحرب المشروعة المعلنة من المسلمين ضد عدوهم وهو الكافر وألغوا كل الصور الأخرى ، واعتبروها محرمة شرعاً لا تحل بحال .

ومن الأمثال العملية لمعاملة الأسرى فى الإسلام الآتى بعد :

١ – وقع ثمامة بن آثال أسيرا فى أيدى المسلمين ، فجاؤوا به إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : « أحسنوا إسارة » وقال : « اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا بها إليه » فكانوا يقدمون إليه لبن لقحة الرسول – صلى الله عليه وسلم – (اللقحة : الناقة الحلوب) غدوًا ورواحًا .

ودعاه النبى – ﷺ – إلى الإسلام فابى ، وقال له : إن أردت الفداء فاسأل

(١) السيد سابق ، فقه السنة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٨ .

ما شئت من المال ، فمن عليه الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأطلق سراحه بدون فداء فكان ذلك من أسباب دخوله فى الإسلام (١) .

٢ - حدث أن هجم ثمان رجل من مكة على جيش المسلمين فى جبال تنعيم وأسروا جميعا ، وقدموا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأطلق سراحهم دون فدية كما ترك ستة آلاف أسير من هوازن فى حرب حنين إحسانا دون فدية أيضا ولكن الفدية كانت تطلب أحيانا فى أوقات الشدة والضيق الاقتصادى .

٣ - وقد جاء فى الصحاح فى شأن أسرى غزوة بنى المصطلق ، وكان من بينهم جويرية بنت الحارث ، أن أباها الحارث بن أبى ضرار ، حضر إلى المدينة ومعه كثير من الإبل ليفتدى بها ابنته ، وفى وادى العقيق قبل المدينة بأميال أخفى اثنين من الجمال أعجباه فى شعب بالجبل ، فلما دخل على النبى - صلى الله عليه وسلم - قال له : يا محمد أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها فقال - عليه الصلاة والسلام - فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، والله ما أطلعك على هذا إلا الله ، وأسلم مع الحارث ابنان له ، وأسلمت ابنته أيضا فخطبها رسول الله إلى أبيها وتزوجها ، فقال الناس : لقد أصبح هؤلاء الأسرى الذين بأيدينا أصهار رسول الله فمنوا عليهم بغير فداء .

وتقول عائشة - رضى الله عنها - « فما أعلم أن امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ، إذ بتزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - إياها أعتق مائة من أهل بيت بنى المصطلق « ولمثل هذا تزوج النبى من جويرية ، لا لشهوة يقضيها ، بل لمصلحة شرعية يبتغيها ولو كان يبغى الشهوة لأخذها أسيرة حرب بملك اليمين (٢) .

٤ - عندما فتح عمر بن الخطاب القدس أعطى أهلها الأمان ونهى المسلمين

---

(١) السيد سابق ، فقه السنة ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) المرجع السابق .

عن إلحاق أى أذى بالمسيحيين وغيرهم من غير المسلمين سواء فى أنفسهم أو عقائدهم أو أموالهم بينما عندما فتح الصليبيون القدس خاضوا فى دماء المسلمين وبين جماجمهم حتى الركب ، وكذلك نابليون بونابرت قام بإبادة أسرى المسلمين فى موقعة عكا إبادة تامة .

٥ - أمر الحجاج بن يوسف ذات مرة عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - بأن يقتل أسيراً فقال له :« إن الله لم يسمح لنا بذلك ، لقد أمرنا أن نسلك سلوكا حسنا مع من يقع فى أسرنا أو نطلق سراحهم وننال الفدية ، فقال : ما أمرنا بهذا ، يقول الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُم فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مناً بَعْد وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد : ٤] (١) .

٦ - وجد صلاح الدين الأيوبى أن لديه من الأسرى مالا يستطيع إطعامهم فأطلق سراحهم ومع ذلك عاودوا القتال ، فقال معلقا على ذلك (٢) :« خير لنا أن نقتلهم فى المعركة من أن نقتلهم جوعا أو نذبحهم وهم لا حول لهم ولا قوة فى أيدينا أسرى عاجزين » وعلى الجانب الآخر نرى ريكاردوس قائد جيش الصليبيين فقد أعطى عهدا لثلاثة آلاف مسلم ألا يقتلهم إن هم استسلموا ولكنه قتلهم جميعا عندما استجابوا لعهده .

مما سبق يتضح شرع الله من كتاب وسنة فى معاملة الأسرى بالحسنى وعدم قتلهم إلا إذا كانوا (مجرمى حرب) هذا وبعد أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان يستقر القانون الدولى الحالى بصورة تتفق مع أحكام الإسلام ، فقال إن هذا القانون يوفر الحماية ويكفلها ويسعى لضمانها لبعض الطوائف والأشخاص وهم : الجرحى والمرضى والغرقى وأسرى الحرب والمدنيين وضحايا المنازعات المسلحة الداخلية وأفراد الخدمات الطبية والمساعدات الإنسانية ورجال الدين وأفراد الجمعيات التطوعية .

* * *

---

(١) كتاب الخراج ، ص ١٢٦ .

(٢) إبراهيم يحيى الشهابى ، مفهوم الحرب فى الإسلام (صراعات وحروب أم تفاعل وسلام ؟) منشورات كل الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية الليبية ، طرابلس ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

الفصل الخامس

إعداد قوة الدولة للجهاد

- تمهيد .
- المبحث الأول : جوهر إعداد قوة الدولة للجهاد .
- المبحث الثانى : إعداد القوة البشرية العسكرية .
- المبحث الثالث : إعداد المقاتل .



الفصل الخامس

إعداد قوة الدولة للجهاد

● **تمهيد :**

إن مفهوم إعداد قوة الدولة للجهاد فى زماننا المعاصر يعنى :

« تطوير واستخدام قدرتها الاقتصادية والبشرية والمعنوية والسياسية والدبلوماسية ، علاوة على تنمية قدراتها العسكرية لتحقيق النصر فى أسرع وقت وبأقل خسائر والوصول إلى الغاية من الجهاد وتحقيق أهدافه » .

ويشتمل إعداد قوة الدولة للجهاد على الاتجاهات العامة الآتية :

(١) إعداد القوات المسلحة .

(٢) إعداد الاقتصاد الوطنى .

(٣) إعداد القوة البشرية .

(٤) إعداد أراضى الدولة لمسرح العمليات .

(٥) إدارة السياسة الخارجية بما يتلاءم وأهداف الدولة القومية والعسكرية .

ويجب أن يحقق إعداد قوة الدولة للجهاد الآتى :

١ – ردع العدو من القيام بأى أعمال عدوانية ضد الدولة .

٢ – القدرة على صد العدوان المفاجىء للعدو وتدميره مع توجيه ضربة انتقامية تهدف أساسا إلى انتزاع المبادأة الاستراتيجية منه والمحافظة عليها .

٣ – تحقيق النصر فى أقل وقت ممكن وبأقل خسائر ممكنة .

٤ – القدرة على إدارة حرب طويلة (إذا لزم الأمر) .

٥ – القدرة على تحمل الضربات المركزة والتعرض لأقل خسائر ممكنة .

٦ - المحافظة على مستوى مرتفع للروح المعنوية للشعب (الثبات المعنوى) ٠

وسوف نتناول هذا الفصل فى ثلاثة مباحث كالآتى :

المبحث الأول - جوهر إعداد قوة الدولة للجهاد ٠

المبحث الثانى - إعداد القوة البشرية العسكرية ٠

المبحث الثالث - إعداد المقاتل ٠

* * *

المبحث الأول

جوهر إعداد قوة الدولة للجهاد

إن جوهر إعداد الدولة للجهاد يكمن فى قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وإذا تأملنا التكليف القرآنى بإعداد القوة فى الآية الكريمة السابقة لوجدنا أنه تكليف قائم وباق إلى يوم الدين (أى حتى تقوم الساعة) فالقرآن معجزة قائمة إلى يوم الدين وأن ورود لفظ (القوة) مطلقا دون تقييده بشكل معين يقتضى منطقيا أن تتطور القوة فى شكلها ونوعها وتركيبها وأساليب استخدامها لتناسب روح العصر الذى يحتويها .

أولا - مفهوم القوة :

وحتى يمكن التعرف على جوهر إعداد الدولة للجهاد لابد من التعرف على مفهوم القوة طبقا لورودها فى المعاجم العربية وطبقا لأحاديث السلف الصالح وكذلك تعريف القوة بمفهومها العصرى .

القوة بمفهومها اللغوى طبقا لورودها فى المعاجم العربية تعنى :

« قدرة مادية أو معنوية »(١) ومفهومها أيضاً ضد الضعف (٢) .

أما مفهومها بالنسبة للسلف الصالح فهى تعنى الرمى .

---

(١) مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، طبعة منقحة ، الجزء الثانى ، ص ٩٤٠ .

(٢) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ، دار الحديث ، ص ٥٥٨ .

قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى على ثمامة بن شفى أخى عقبة بن عامر أنه سمع عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول وهو على المنبر « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى » (رواه مسلم عن هارون بن معروف وأبو داود عن سعيد بن منصور وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب به) [1] ٠

وإذا انظرنا إلى الرمى بمفهومه العصرى واستخدامه فى الحرب الحديثة نجد أنه يتمثل فى القذف الجوى والقصف الصاروخى والمدفعى بكل وسائل الدمار المعروفة من ذخائر تقليدية وقنابل نووية وباقى أسلحة التدمير الشامل ٠

أى أن الرمى فى عصرنا الحالى يتمثل فى كل هذه الأنواع من الذخائر التقليدية وغير التقليدية (من أسلحة فوق التقليدية وأسلحة التدمير الشامل) كما يتمثل فى كل وسائل الإطلاق لهذه الذخائر من صواريخ وطائرات ومدفعية بأنواعها وأعيرتها المختلفة أى وسائل الرمى الحديثة كل هذه الأنواع تحتاج فى عصرنا الحالى لقوى اقتصادية وتكنولوجية وبشرية لتصنيعها كما تحتاج إلى قوى سياسية ودبلوماسية وعسكرية وبشرية لاستخدامها وكل هذه القوى مجتمعة يعبر عنها بقوة الدولة الشاملة (القوة القومية) ٠

مما سبق نستدل على أن القوة بمفهومها العصرى هى القوة الشاملة للدولة إذ عندما نتحدث عن إعداد القوة للجهاد فإننا نتحدث عن إعداد القوة الشاملة للدولة للجهاد ٠

وإذا نظرنا إلى تعريف القوة الشاملة للدول من المنظور الحديث نجد أن بعض المحللين الاستراتيجيين ونقصد هنا المحلل الأمريكى Ray Cline يعرفها بأنها :

« مزيج من نواحى القوة والضعف لكل من الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية والسياسية وتحدد جزئيا بحجم القوات المسلحة والبناء العسكرى

---

(١) إسماعيل بن الخطيب أبى حفص عمر بن كثير ، تفسير ابن كثير ، الجزء الثالث ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابى وشركاه ، القاهرة ، ص ٣١٢ ٠

للدولة وعلى نحو أشمل بحجم وموقع الإقليم وطبيعة الحدود والسكان (الكتلة الحيوية) وموارد المواد الخام والبنية الاقتصادية والتقدم التكنولوجى والقوة الحالية والمزيج العرفى والتماسك الاجتماعى واستمرار عملية اتخاذ القرار السياسى وأخيرا القوى المعنوية [1] .

وسوف نتناول ذلك تفصيلا لتوضيح هذا التعريف :

١ - الكتلة الحيوية :

ما هى إلا إجمالى القوة المستمدة من العوامل الطبيعية للدولة والتى تتمثل فى الأرض (المساحة والموقع والشكل – التضاريس – المناخ ... إلخ) والقوة المستمدة من العوامل البشرية التى تتمثل فى السكان (الحجم – التركيب السكانى – حركة السكان – معدلات النمو ... إلخ) ومن وجهة النظر الدولية فإنها تعطى التحديد الكمى الأولى للأهمية الدولية للدول الرئيسية فى كل منطقة استراتيجية فى العالم . فتتمثل الكتلة الحيوية فى مقدار الأرض وتحت سيطرة دولة ما وعدد السكان الذين تعولهم اقتصاديا [2] .

٢ - السكان :

هو العامل الذى ينظر إليه فى تقدير أهمية الدول ، أن روح وكفاءة هؤلاء البشر فى مجتمع ما على المدى الطويل يمكن أن يؤثر بقدر أكبر على الموارد الملموسة والمادية التى تمتلكها دولة ما . إن حجم السكان يعد عنصرا هاما فى المفاهيم الدولية مع مراعاة أنه أثناء تقييم العامل السكانى فإن مستوى دخل الفرد ودرجة الغنى أو الفقر ستؤثر على حساب هذا العامل فبدلا من أن يكون الحجم ميزة قد يصبح عائقا ، هذا بالإضافة إلى دراسة تركيب وحركة السكان ومعدلات النمو .

---

(1) Rays Cline , World Power Trends and U . S . Foreign Policy for - 1980 s , West View Press 1980. P. 16 .

(2) Ibid., p . 35

٣ - مساحة وطبيعة الأرض :

مساحة وطبيعة الأرض التى تشغلها الدولة وتقع تحت سيطرتها تعتبر أيضا من أهم العوامل الأساسية فى قياس قوة الدولة نظرا لأنها تؤثر بقوة على التكوين النفسى لسكانها كما تؤثر بقوة أيضا على طريق التفكير للدول المجاورة والمجتمع الدولى تجاهها ومن حيث كبر هذه المساحة فإنه يعطى مدلول إمكانية توفر موارد أكثر وفرة يمكن للسكان استغلالها اقتصاديا كما أنها من وجهة النظر العسكرية توفر تجمعا استراتيجيا هاما ومن حيث طبيعة الأرض فإذا توفرت إمكانية الزراعة والرعى وتوفر المواد الخام فإنها ترفع من تقدير الدولة أما إذا كانت طبيعة جرداء لا يتوفر بها موارد فإنها قد تخفض من هذا التقدير أما من حيث الموقع فإن المواقع ذات الأهمية والقيمة الاستراتيجية (الممرات الاستراتيجية) كقناة السويس مضايق البسفور ٠٠٠ الخ) فإنها تزيد فى مقدار القوة الملموسة مع اشتراط أن يتوفر لهذه الدولة القوة اللازمة لممارسة السيطرة على هذا الموقع الاستراتيجى ٠

ثانيا - مكونات القوة الشاملة للدولة وأهمية القوة البشرية :

إن استخدام كلمة قوة وليست قوى لأن الحديث عن القوة الشاملة للدولة بمكوناتها (القوة الاقتصادية - القوة العسكرية - القوة السياسية - القوة الدبلوماسية - القوة المعنوية) ٠

وكلها تندرج تحت لفظ شمولى هو القوة وهى محصلة هذه القوى وهو ما يتفق مع ما ورد فى الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ٠٠٠٠ ﴾ وليست قوى وأن هذا التصنيف للقوة إنما يهدف إلى إجراء الدراسات النظرية التى يلائمها من هذا التصنيف أو التقسيم ولكنها جميعا تعنى القوة الشاملة للدولة كمحصلة لجميع هذه القوى ٠

ونرى أن هناك قوة مؤثرة هى (القوة البشرية) يمكن أن تستقل بكيانها ولو أنها أساس جميع القوى السابقة ويدلل على ذلك بأن الإنسان هو متخذ القرار وهو القائم بتشغيل المعدات ومصانع التكنولوجيا ومستخدمها وهو رأس المال البشرى وهم أهم عناصر الإنتاج ، وفوق كل ذلك فهو الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ليضطلع بمسئولية عمارة الأرض وفضله على كثير ممن خلق ٠

وللوصول إلى جوهر إعداد الدولة للجهاد لابد أن يتم استكمال شرح الآية الكريمة فإن لفظ « ما استطعتم من قوة » يشير إلى أن الإعداد يتم بأقصى ما تستطيع الدولة من قدرات بشرية ومادية والمحافظة عليها ثم يأتى عون الله بقدر ذلك لعبادة المؤمنين حيث قدرة الله عز وجل التى تفوق كل القدرات ، لقول الله تعالى :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُم إِنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ من الملائِكَةِ مُردِفِينَ ﴾ .

ويقول تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ به قُلُوبُكُم ، وَمَا النَّصرُ إِلاَّ مِن عِندِ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الانفال ٩ ، ١٠]

ويقول تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فى مَوَاطِن كَثيرَة ، وَيَوْمَ حُنَيْن ، إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ ثُمَّ وَليتُم مُّدْبرينَ * ثُمَّ أَنزلَ اللَّهُ سَكِينتَهُ على رَسُوله وَعَلَى المُؤْمنينَ وأَنزلَ جُنُوداً لَم تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذينَ كَفَرُوا ، وَذَلكَ جَزَاءُ الكَافرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ من بَعْد ذَلكَ عَلى مَن يَشَاءُ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة ٢٥ – ٢٧] .

وتظهر هذه الآيات أن النصر من عند الله ، وأنه قادر على إمداد المؤمنين بمدد من عنده ليس للعدو قبل به ، وعلينا أن نأخذ بالأسباب ونعد ما نستطيع من أقصى قوة لدينا ثم نستعين بالله ونتوكل عليه .

ومن قوله ﴿ وَمِن رِّبَاط الخَيْلِ تُرْهِبُونَ به عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وآخَرِينَ من دُونِهِم لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعلَمُهُمْ ﴾ يرى الباحث أن الله حث على إعداد الدولة للصراع المسلح قبل حدوثه (إعدادا ماديا ومعنويا) بقصد إرهاب الأعداء وتخويفهم من مغبة العدوان عليها وبذلك يتحقق هدف الإسلام وهو تحقيق السلام والحفاظ على الأمة الإسلامية دون سفك الدماء أو الحرب أو هدر

للإمكانات المادية بل يتم استغلال الموارد الاقتصادية لرفاهية الإنسان وتقدمه وسعادته ٠

كما أن الحديث الشريف « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » (١)

ونصر الله نبيه بالرعب مسيرة شهر يتفق فى معناه مع الآيات الكريمة السابقة وهى أن الدولة متى كانت قوية مهابة الجانب يرهبها الأعداء ويتم تحقيق الهدف الذى تصبو إليه بأقل خسائر ويوفر ذلك عليها الشيء الكثير ٠

ومن تحليل الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ ﴾ والحديث الشريف « نصرت بالرعب مسيرة شهر ٠٠٠ » يتضح أن جوهر إعداد قوة الدولة يعنى « قدرة الدولة الشاملة بقوتها المتاحة (سياسة – دبلوماسية – اقتصادية – عسكرية – بشرية واجتماعية) ؛ على تأمين كيانها ومصالحها القومية وردع العدو من المساس بهذا الكيان وهذه المصالح القومية ومن أجل ذلك تعمل الدولة على تطوير قوتها الشاملة وبما فيها تنمية قدراتها الدفاعية ببناء قواتها المسلحة مع قدرتها على سرعة تعبئة مواردها وإمكاناتها الشاملة للدفاع عن سيادتها ومواجهة قوى العدوان وتدميرها وتحقيق النصر فى أقل وقت وبأقل خسائر ممكنة مع قدرتها على تحمل الضربات التى توجه إليها بأقل خسائر وبما لا يؤثر على فاعليتها وفاعلية قواتها المسلحة مع صمودها لإدارة حرب طويلة (إذا لزم الأمر) دون أن يؤثر ذلك على معنويات شعبها وقواتها المسلحة وهذا كله فى إطار عقيدة عسكرية حقة تحقق دعم الله ومدده كما تحقق النصر بإذن الله ٠

---

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، الجزء الاول ، كتاب التيمم ، القاهرة ، دار التراث للريان ، ١٩٨٦ ، ص ٥١٩ ٠

ثالثاً - القوة العسكرية للدولة :

إن أقصر جزاء يمكن اللجوء إليه فى النزاعات بين الدول هو استخدام القوة العسكرية وكما قال كلاوزفيتز CLausevits :

«الحرب مجرد استمرار للسياسة بوسائل أخرى .. كعملية العنف التى تهدف إلى إلزام العدو وتحقيق إرادتنا عن طريق استخدام القوة » .

إن القوة العسكرية تعد عملا رئيسيا فى التأثير الدولى لذا فإنها تعد مطلبا وأداة فعالة فى السياسة وتقاس فائدتها بالمدى الذى يمكن أن تساند به القوة السياسية - فهى مظلة يمكن أن تستخدم فى ظلها الدبلوماسية والنشاط الاقتصادى والدعامة لدعم المصالح والأهداف والغايات القومية وأن قياس النجاح للقوة العسكرية ليست فقط بالانتصار العسكرى ولكن بالبعد الأكثر صعوبة للإنجاز السياسى .

ويعبر فردريك ليسيت الألمانى عن القوة العسكرية للدولة بقوله :

« إن امتلاك الدولة للقوة العسكرية الكافية يحقق لها الاستقرار والرخاء فى الداخل والخارج وأن الغرض الأساسى من الاقتصاد فى الدولة ليس الثروة فقط ولكن القوة والثروة معا لأن الثروة القومية تزداد وتؤمن بالقوة الوطنية . ومن هنا فإن القوة أكثر أهمية من الغنى واليسر لأن الضعف يؤدى إلى التخلى عن جميع الممتلكات وليس فقط الثروة ولكن جميع قوى الإنتاج والحرية والاستقلال الوطنى حيث توضع جميعا فى يد الطرف الذى يستطيع أن يملى إرادته بالقوة على الدولة نتيجة لتفوقه فى القدرة العسكرية »[1] .

إن هناك إجماعا على أهمية القوة العسكرية فى تحقيق الأمن القومى للدولة ومن هنا يجيىء دور القوات المسلحة حيث نجد أن المركز الفرنسى لعلم الاجتماع فى باريس يعرف ذلك فيما يلى :

---

(١) محمد رضا فودة ، الأسلوب العلمى الحديث لبناء القوات المسلحة ، مجلة الحرس الوطنى السعودى ، العدد التسعون ، مارس ١٩٩٠ ، ص ٣٩ .

« القوات المسلحة التى يمتلكها المجتمع هى مركز العمل بأسره ورأس الحربة التى شقت الطريق وأمنت السلطة الوطنية ، حمت الحدود وأوجدت كل المقومات التى تؤلف الكيان الوطنى [1] » .

لذا فإن بناء القوة العسكرية للدولة يعتبر من الأهمية بمكان ، وإنى أرى أن بناء القوة العسكرية للدولة والمحافظة على كفاءتها واستعدادها القتالى يأتى من خلال الاهتمام بالعناصر اللازمة لبناء القوة العسكرية وهى :

(١) العقيدة العسكرية .

(٢) القوة البشرية .

(٣) التسليح .

(٤) التعليم والتدريب .

رابعاً - إعداد القوات المسلحة للجهاد :

يعنى إعداد القوات المسلحة للدولة للجهاد أن تكون قادرة على تحقيق المهام الدفاعية الاستراتيجية وأن يكون ذلك فى إطار تخطيط استراتيجى لاستخدام القوات المسلحة فى إطارحجم وتكوين معين فى وقت السلم وزمن الحرب وحجم مخطط بعيد المدى يتمشى مع تطور الحجم والتكوين كما يحقق أيضا بناء التجمعات الاستراتيجية والتعبوية على الاتجاهات الاستراتيجية والتعبوية فى مسرح العمليات الحربية وبما يحقق الفتح الاستراتيجى المناسب وذلك فى إطار خطة تعبئة ونظام تجنيد يحقق سرعة تلبية مطالب الاستعداد القتالى للقوات المسلحة .

كما يعنى إعداد القوات المسلحة تأمين استعداد قتالى عالى وكفاءة قتالية تجعلها قادرة على مواجهة العدوان المفاجىء واستمرار المحافظة على الكفاءة والاستعداد القتالى للدفاع الاستراتيجى وهذا يتطلب توفر التأمين المادى والفنى بما يسد مطالب القوات المسلحة قبل وفى أثناء وبعد العمليات الاستراتيجية .

---

(١) محمد رضا فودة ، المرجع السابق ، ص ٣٩ .

ويعتبر إعداد القوات المسلحة للدفاع وقت السلم أمراً فى غاية الأهمية ويتوقف أساسا على الآتى :

١ – الموقف السياسى للدولة وأهدافها السياسية العسكرية والاستراتيجية العسكرية .

٢ – الموقف الاقتصادى للدولة وظروفها ومستواها الاجتماعى .

٣ – مدى التقدم العلمى والتكنولوجى للدولة .

٤ – طبيعة الحرب المقبلة وأحوال شنها وطرق إدارتها ومدى تطور وسائل الصراع المسلح المختلفة وحالة القوات المسلحة الراهنة ومسرح العمليات المحتمل .

٥ – قوى وإمكانيات العدو التقليدى المحتمل وحلفائه المحتملين وفى ظل الظروف المعاصرة التى زاد فيها التهديد باستخدام أسلحة الدمير الشامل (خاصة الأسلحة النووية) فإن ذلك يحتم ضرورة استعداد القوات المسلحة والدولة لإدارة الصراع المسلح فى ظل ظروف الحرب التقليدية وأيضا فى ظروف استخدام الأسلحة النووية .

٦ – ويجب أن يؤكد الإعداد الشامل والمبكر للقوات المسلحة قدرتها على صد المعتدى فى أى وقت وتوجيه ضربات انتقامية ساحقة للعدو بهدف الحصول على المبادأة الاستراتيجية مع بدء الحرب وتحقيق النصر بإذن الله فى أقصر وقت ممكن .

ويشتمل إعداد القوات المسلحة على مجموعة إجراءات خاصة وأهم هذه الإجراءات هى :

١ – التخطيط الاستراتيجى .

٢ – تحديد تكوين وحجم القوات المسلحة لوقتى السلم والحرب .

٣ – بناء التجمعات الاستراتيجية والتعبوية فى مسارح العمليات الحربية (الفتح الاستراتيجى) أو على الاتجاهات الاستراتيجية .

٤ – إعداد القوة البشرية العسكرية والتدريب القتالى العالى .

٥ – إعداد تعبئة القوات المسلحة .

٦ – التأمين المادى والفنى للقوات المسلحة .

وسوف نركز فى هذه الدراسة التى يتضمنها الكتاب على إعداد القوة البشرية العسكرية للجهاد .

* * *

المبحث الثانى

إعداد القوة البشرية العسكرية

يبدأ إعداد القوة البشرية العسكرية منذ بداية إعداد وتنمية الدولة لقوتها البشرية والذى يبدأ أساسا :

الإعداد السليم للإنسان بتنشئته التنشئة الصحيحة وتنميته ، وهذه التنشئة تتأثر عادة بالدور الاجتماعى الذى تقوم به أجهزة التنشئة الاجتماعية المختلفة أو تلك الخبرات التى يتعرض لها الإنسان ذاته فى إطار الوظائف المنوط بها تلك الأجهزة فكل هذه الأجهزة تعمل متعاونة أحيانا وغير متعاونة أحيانا أخرى ونجد تأثيرها فى غرس القيم الاجتماعية بأنواعها فى نفوس أطفال المجتمع وشبابه تأثيرا كبيراً وهذه الأجهزة تتمثل فى الأسرة ، الرفاق (الأصدقاء) ، المؤسسات التعليمية (المدرسة – المعهد – الكلية) المؤسسات الدينية (المسجد – الأزهر – دار الإفتاء) والمنظمة السياسية إن وجدت وأجهزة الإعلام والثقافة (الإذاعة – التليفزيون – الصحافة – مؤسسات النشر) .

إن قيام أجهزة التنشئة الاجتماعية بدورها مع توفير المناخ المناسب للتنشئة الاجتماعية يحقق أولا تقوية الشعور بانتماء المواطن الانتماء الفعَّال لوطنه ويجعله قادرا على تحقيق الأهداف القومية للدولة .

أولا – توفير المناخ المناسب للتنشئة الاجتماعية :

١ – توفير الحريات بجميع أنواعها :

(حرية الفكر – الحرية السياسية – الحرية الاقتصادية . . . .)

والمقصود أن تكون الحرية وسيلة لإحساس الإنسان بكيانه وشخصيته دون ما خروج عن التقاليد أو القوانين المتعارف عليها والتى تخدم مصالح الأمة بأسرها .

٢ - حل مشاكل المواطنين بالأساليب العلمية :

أحد عوامل تحقيق الانتماء الفعال لدى المواطنين هو حل مشاكلهم بالأساليب العلمية فإذا تحقق ذلك تفرغ المواطنون إلى الإنتاج وترسخ ولاؤهم للوطن والقيام بالذود عنه ضد أى معتدى داخليا وخارجيا ٠

٣ - توفير الاحتياجات الإنسانية :

أنه بالرغم من وجود الاختلافات الفردية بين البشر فى الخصائص والسمات إلا أن هناك شبه اتفاق بين العلماء السلوكيين حول وجود احتياجات إنسانية لها صفة العمومية ، وتتميز تلك الاحتياجات بتجددها باستمرار باعتبار أن الإنسان بطبيعته كائن حى متجدد الحاجات فبمجرد أن يشبع الإنسان مستوى معينا من حاجاته يظهر لديه مستوى آخر من الحاجات يريد إشباعه ومن أشهر الدراسات السلوكية التى ألقت الضوء على طبيعة الاحتياجات وأولويتها هى الدراسة الى أجراها (إبراهام ماسلو) حيث قسم الحاجات الإنسانية إلى خمس مستويات يمكن تصورها فى شكل درجات السلم أو شكل المدرج متعدد المستويات كما هو مبين بالشكل الآتى :

تبدأ بالحاجات الطبيعية الأولية (الحاجة إلى المأكل والمشرب والمسكن والهواء والراحة ٠٠٠ إلخ ، وتنتهى بحاجة إرضاء الذات)[١] ٠

الحاجة

إلى

إرضاء الذات

الحاجة إلى إثبات الذات

الحاجات الاجتماعية

الحاجة إلى الأمن والحماية من الأخطار

الحاجات الطبيعية الأولية

مدرج ماسلو للحاجات الإنسانية

(١) ليلى شحاته ، دراسات فى العلوم السلوكية ، مكتب الصافى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٠٦ ٠

فإذا كان الإنسان مشبعا لهذه الحاجات (كل طبقا لحالته ومستواه الاجتماعى) نجد أن سلوكه ينم عن توازنه ورضائه عن نفسه فى حين أن الفرد غير المشبع لتلك الحاجات ستجد أن سلوكه مَرَضُيا يعكس عدم قدرته على إرضاء ذاته وافتقاده لشعور أصيل بقيمة ما يؤديه أو ينجزه .

ولتقريب الصورة السابقة لنظرية ماسلو على الواقع فى مجتمع نامى نجد أن هناك شريحة من السكان لا تستطيع تلبية حاجاتها على النحو المشار إليه فى النظرية حيث يشكل ذلك اعتراضا لسير ولاء هذه الشريحة فى طريقه الصحيح والطبيعى قد يفرز ذلك كنتيجة لما سبق جماعات ومجتمعات فكرية متعددة تتفق تقريبا فى شعورها بالاغتراب العام عن المجتمع رافضة الولاء له .

وهناك حقيقة أن الإنسان منذ ولادته مرتبط بمن يشبع حاجاته بدءاً من صدر أمه إلى المؤسسات المجتمعية المختلفة التى يحتويها المجتمع وهناك مقولة مشهورة تقول : « الولاء لملبى الحاجات » .

وإذا رجعنا بالذاكرة إلى ما قبل أربعة عشر قرناً من الزمان نجد أن الحق سبحانه وتعالى قد بيَّن ذلك فى قرآنه الكريم فيقول تعالى :

﴿ لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ * إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ . [سورة قريش] .

ويقول تعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[المجادلة : ١١] .

ويقول تعالى :

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَشَاءُ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

إن الله تعالى هو مانح كل شئ وهو ملبى الحاجات جميعا فإنه قد جعل الولاء له وحده وهو الولاء الحقيقى أساس كل الولاءات الأخرى والولاء لله وحده لا يتعارض مع الولاء لأسرة أو حاكم أو للوطن ، فالله سبحانه وتعالى قد أمر ببر الوالدين وطاعة أولى الأمر والحفاظ على الوطن بدءاً من المنزل الذى يقطنه الفرد وأسرته الصغيرة ويتدرج ليشمل الحى أو القرية أو المدينة ليصل إلى الدولة

بمفهومها القانونى المعاصر ولا يقف تعبير الوطن فى نظر الإسلام عند هذا الحد بل يمتد ليشمل أرض الإسلام كلها لعموم قول الله تعالى :

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

خلاصة القول : إن الولاء للوطن لا يتعارض مع الولاء لله وحده شريطة أن يكون هذا الوطن حقيقة مستودعًا للعقيدة الإسلامية وعلى أرض تعبد الله وتطبق شريعته لقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ، وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

٤ - صياغة دستور ثابت للدولة أساسه الشريعة الإسلامية والالتزام به :

إن صياغة دستور ثابت للدولة والالتزام به يعتبر أساسا لعمل أجهزة التنشئة الاجتماعية بالدولة وأن العمل فى ظل وجود سياسة ثابتة للدولة تحظى بالقبول العام لدى أى شعب هو الأساس الذى يوجد جهود وأجهزة التنشئة الاجتماعية فى اتجاه واحد صحيح تعمل أساسا لتحقيق الأهداف القومية .

إن هذا الدستور يناسب الدول العربية والإسلامية لابد أن يكون مصدره الشريعة الإسلامية بعناصرها السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأن الإسلام جاء بتنظيم شامل متكامل للحياة وللناس كافة .

٥ - كفاية القدوة وسلامتها :

مطلوب توفر القدوة الحسنة على كافة المستويات ابتداء من الأسرة ودور الوالدين فيها وانتهاء بالدولة وموقف الحاكم منها ومرورًا بما يصادفه الفرد من أشكال للقدوة فى مجالات التعليم والعمل ووسائل الاتصال المختلفة وعندما تفتقد القدوة فى أى مستوى من هذه المستويات يضيع لدى الفرد المثل الأعلى وهو المصدر الأساسى للنسق القيمى ويضعف ما لديه من ولاء لمجتمعه .

والقدوة فى التربية هى من أنجع الوسائل المؤثرة فى إعداد النشء خلقيًا وتكوينه نفسيا واجتماعيا ذلك لأن المربى هو المثل الأعلى فى نظر الأطفال والأسوة الصالحة فى عين الشباب يقلده سلوكيا ويحاكيه خلقيا ، ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا فى صلاح النشء أو فساده . والقدوة تنبع أساسا من إشارة الله سبحانه فى كتابه الكريم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، هذا يفسر سلامة القدوة وصلاحها كما بيننا .

ثانيا – العلم أساس القوة والرقى :

فبالعلم تبنى الأمم حضارتها وتحدد فى العالم مكانتها وهو المؤشر الحقيقى لمستقبلها . والعلم هو الذى يميز الدول المتقدمة عن الدول المتخلفة ويظهر هذا بوضوح فى مختلف نواحى الحياة وينعكس بدوره على عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية حتى لو توافرت الموارد الطبيعية والأراضى الزراعية والكوادر البشرية .

ولقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماما كبيرًا ، فالإسلام دين العلم ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن الكريم على قلب المصطفى – ﷺ – تتضمن القراءة مصباح العلم والقلم آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة وأن الله هو الذى علم الإنسان كل شئ ، وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمات من سورة العلق ، يقول تعالى :

﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِىَّ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ – ٥] .

إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضا وذلك بالحض على العلم ورفع درجة العلماء ، يقول تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[الزمر: ٩]فالآية أولها (علم) وآخرها (العقول) فهى أدوات العلم .

ويقول عز وجل :

﴿ يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[المجادلة : ١١]

ولم يكتف الإسلام بالدعوة إلى العلم بل قرر أصولا تمنع الجمود العقلى وتحمى الفرد من التحجر الفكرى ، فهو دين الحجة والبرهان ودين العقل ودين اليقين لا الظن ، وهو ضد التقليد الأعمى والمحاكاة على غير بينة ، ويدعو دائما للأخذ بالأحسن فى مختلف الأمور وهذا ما يشير إليه قوله عز وجل :

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٨] ٠

وإذا رجعنا إلى الأمة الإسلامية فى عهد الرسول الكريم والصحابة الكرام أنها لم تتصدر العالم فى ذلك الزمان إلا بفضل الأساليب العلمية المتقدمة التى نهجها المسلمون فى مختلف مجالات الحياة ، وقد نشر المسلمون العلم فى أى موقع تصل أقدامهم إليه ، ويقول ليبرى :

« لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون » ٠

وفى زماننا هذا نجد أن اليابان قد تقدمت بالعلم بل وامتازت وفاقت كثيرا من دول العالم المعاصر رغما عن قلة مواردها الطبيعية بل وندرة بعضها بالمقارنة بتلك المتوفرة فى دول أخرى متخلفة لا تعرف كيف تستثمرها وتستفيد منها لغياب العلم بين أهل هذه الدول والتى يقال عنها بطريقة مهذبة (دول نامية) ٠

مما سبق يتضح أهمية العلم فى حياة الشعوب مما يتطلب ضرورة وضع استراتيجية للتعليم العام تشمل الآتى :

١ – تأصيل ديمقراطية التعليم عن طريق إتاحة الفرصة المتكافئة أمام جميع أفراد الشعب لكى تحصل على تعليم أساسى مناسب وعلى أنصبة متفاوتة تتناسب مع قدراتهم واستعدادتهم وميولهم فى مراحل ونوعيات التعليم التالية ٠

٢ – التربية الدينية أساس لمناهج التعليم ٠

٣ – تجنيد طاقات الشعب من أجل محو الأمية واعتباره مشروعا قوميا .

٤ – بث القيم الروحية والسلوكية والتربوية والقومية لتصبح أساسا لسلوك الفرد .

٥ – الأخذ بالمنهج العلمي في التفكير كأسلوب لتربية النشء لمواجهة الحياة والحكم على الأمور .

٦ – التكوين المتكامل للفرد من خلال ربط التعليم بالعمل وإدخال الدراسة المهنية في مختلف مراحل التعليم وربط المدارس المهنية بظروف البيئة المختلفة (زراعية – صناعية – صحراوية – ساحلية) .

٧ – تلبية احتياجات التنمية الاجتماعية والاقتصادية من القوى العاملة المدربة والمزودة بالقيم والمعارف والمهارات اللازمة لتحمل مسئولية النهوض بالمجتمع في إطار التنمية الشاملة .

ثالثا – تحقيق التنشئة الاجتماعية السليمة :

وهذا لا يتم إلا في إطار استراتيجية قومية (شاملة) تضع دورا لأجهزة التنشئة الاجتماعية مع متابعة تنفيذ هذه الأجهزة لدورها وهذا يحتاج إلى تضافر كافة جهود مؤسسات الدول المختلفة لوضع استراتيجية قومية لتحدد هذا الدور حتى يمكن تحقيق الأهداف القومية .

* * *

المبحث الثالث

إعداد المقاتل

بعد أن تحدثنا عن إعداد القوة البشرية العسكرية فى إطار الإعداد العام للقوة البشرية للدولة يأتى دور القوات المسلحة فى الإعداد السليم للمقاتل ٠

والإعداد السليم للمقاتل هو الإعداد الشامل الذى يشمل الإعداد المعنوى والإعداد المادى ، وهذا الإعداد عملية شاقة سواء من ناحية التخطيط أو التنفيذ ، الأمر الذى يتطلب دراسات جادة متنوعة تغطى كافة اتجاهات هذا الإعداد ، الأمر الذى يتطلب جهودا كثيرة من الباحثين للعمل لتغطية هذه الاتجاهات ، ولكننا سوف نحاول وضع إطار عام يوجه الإعداد لهذه الدراسات حيث تضع مفهوماً للإعداد المعنوى ومشتملات الإعداد المادى والموضوعات المطلوب التدريب عليها ٠

أولا - الإعداد المعنوى :

١ - مفهوم الإعداد المعنوى :

يختلف مفهوم الإعداد المعنوى للقوات المسلحة فى بلد إسلامى عن المفهوم المقابل فى البلاد الأخرى ويأتى هذا الخلاف من ناحيتين :

(أ) الأولى أن الركيزة الأساسية للإعداد المعنوى للفرد أو على مستوى القوات المسلحة كلها هى الدين ، ذلك أن العقيدة الدينية تمثل لدى الشعوب الإسلامية مركز الدائرة فى حياتها وأعظم اهتماماتها ويختلف ذلك عن الإعداد المعنوى عن طريق العقيدة السياسية مهماكانت مقبولة اجتماعيا ٠ إن كلمة عقيدة تمثل لدى المسلمين بالذات اتصالا مؤكدا بالدين ٠ ولذلك فالجيش المسلم لا يمكن أن يحارب من أجل عقيدة سياسية أو اقتصادية كالرأسمالية أو الاشتراكية والعالم الحر والحضارة الغربية أو نحو ذلك مما تحارب من أجله جيوش غير إسلامية ٠ ولا شك فى أفضلية الدين كركيزة أساسية فى الإعداد المعنوى

وإلى جانبه ركائز أخرى كالوطنية والرسالة التاريخية للأمة فهى كلها ركائز دائمة على عكس العوامل المتغيرة التى تتخذ ركائز فى الإعداد المعنوى مثل المذاهب السياسية والاقتصادية أو مجرد الدفاع عن حضارة الغرب ونحو ذلك مما يشكل عناصر متغيرة وغير كافية عقليا ونفسيا للتضحية بالحياة الإنسانية فى ميدان القتال .

ويمكن أن ندلل على أن الدين هو الركيزة الأساسية للإعداد المعنوى للقوات المسلحة من آيات القرآن الكريم التى شملت آيات القتال التى نزلت بدءا بالإذن بالقتال دفاعا عن حقهم فى الحياة إلى الجهاد فى سبيل الله بكل صوره وقد شملها هذا الكتاب بالتفصيل فى مواقع كثيرة لا ضرورة لتكرارها .

(ب) أما الخاصية الثانية التى يتميز بها الإعداد المعنوى للقوات المسلحة فهى التزام هذا الإعداد بالصدق فليس المقصود جعل المقاتل فى حالة معنوية عالية على حساب الحقيقة أو خلق مؤسسة عسكرية شرسة على حساب الحقيقة الدينية والخلقية والتاريخية كما تفعل دول استعمارية أخرى . ولكن الهدف هو الإعداد المعنوى السليم للمقاتل والجيش كضرورة إنسانية وعسكرية ونلمس مدى التزام الصدق فى الإعداد المعنوى للقوات المسلحة من آيات القرآن الكريم ، فالقتال ليس نزهة وليس استمتاعا للقتل من أجل القتل ، ولكنه عمل جليل لهدف سام والمقاتل يجب أن يعلم ما هو مقبل عليه من خطر وتسلحه الآيات الكريمة بأسلحة معنوية لا تعرفها الجيوش الاخرى .

والمتابع لفصول هذا الكتاب وبالأخص الهدف من القتال وأخلاقيات القتال فى الإسلام وفضل المجاهدين والآيات الكريمات التى وردت فيه يجد الدليل الصادق على أن الدين هو الأساس الصحيح للإعداد المعنوى للفرد وللقوى البشرية العسكرية ككل .

٢ - ترسيخ أسباب القوة النفسية لدى المقاتل :

حرص الإسلام على ترسيخ أسباب القوة النفسية لدى المقاتل المسلم ومقاومة أسباب الضعف النفسى التى ولا شك أن المقاتل يحتاج إلى مقاومتها حتى تبقى الحالة المعنوية للمقاتل فى أفضل حالاتها .

ثانيا – الإعداد المادى :

يركز الإسلام أيضًا على الجانب المادى فى الإعداد والذى يتعلق بتدريب المقاتل وتسليحه وتدريبه من جميع النواحى المادية . وسوف نتناول الخطوط العريضة لبعض موضوعات الإعداد المعنوى والمادى للتدريب عليها وهى :

١ – التعريف بالعقيدة العسكرية : (مفهومها وجوهرها ومضمونها) ، والعمل على غرسها فى نفوس المقاتلين .

٢ – تربية النفس :

حث الإسلام على جهاد النفس للنزعات السيئة والنقائص المعوقة كالغرور وحب الظهور وكل ما يفسد القلب ويصيب النفس من أمراض وما أكثرها من طمع وحقد وحسد وبغض .

كما حث على جهاد النفس للأمراض الخلقية والاجتماعية ولوساوس الشيطان وللشهوات والمغريات والكسل والفتور والضعف كل هذا من وسائل ودواعى التغلب على الأعداء وعوامل النجاح فى أى ميدان من الميادين .

٣ – الانضباط الذاتى :

يركز الإسلام على تكوين الضمير الدينى للمسلم فهو الذى يدفعه لأن يرعى الله فى كل تصرفاته وأعماله ينجزها على أكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية داخل نفسه خوفا من الله الرقيب المطلع الذى لا تأخذه سنة ولا نوم لا خوفا من سلطة دنيوية وهذا هو أعلى مراتب الانضباط العسكرى وهو الانضباط الذاتى وفى هذا يقول نابليون بونابرت : « إن المجتمع الذى لا يعتمد على قوة ذاتية ويتوقف العمل الجماعى فيه على قوة السلطة وعلى دقة المراقبة لا شك أنه يعتبر عبئا على المجتمع ومضيعة لقواه » .

وهذا ما يعبر عنه رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – بقوله :

« أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

٤ – الطاعة :

وقد تناولناها تفصيلا فى توجيهات الإسلام للقتال فى الفصل الثالث .

٥ - التحكم فى درجة التذبذب العاطفى :

« الحرب من طبيعتها احتمال النجاح والفشل والمطلوب من المقاتل - باعتباره إنسانا له عواطف تجعله يفرح للنجاح ويحزن للفشل - أن يتحكم فى مدى تأثره العاطفى بمعنى أنه لو تم النجاح فلا يصح أن يذهب به فرحه إلى درجة التهور أو الاستكانة السلبية أو الغفلة أو ترك الحذر وإذا فشل فى معركة فلا يصح أن يذهب به حزنه إلى درجة الانهيار المعنوى أى أنه مطلوب منه أن تكون مسافة التأرجح والتذبذب العاطفى بين حالتى الفرح والحزن قصيرة بقدر الإمكان لأن هذه المسافة كلما قصرت كلما منحت المقاتل قدرة أكبر على الصمود الطويل فى المعركة الممتدة فيظل محتفظا بثباته وقدرته القتالية فى جميع الأحوال حتى النهاية ، وهذه من مقومات النصر » .

وتعاليم الإسلام تعلم المقاتل المؤمن أن لا يأس مع الضَّراء بل صبر ولا بطر فى السرَّاء بل شكر لله ، وهذا ما يشير إليه قول الرسول الكريم صلاة الله وسلامه عليه .

٦ - مقاومة الحرب النفسية :

إن العقيدة الراسخة القائمة على الإيمان بالله الإيمان الحق الصادق هى الركيزة الأساسية لتحصين المقاتل ضد الحرب النفسية ، فالعدو يهدف من وراء الحرب النفسية إلى تدمير الروح المعنوية للمقاتلين وإضعاف مقاومتهم وإصرارهم على القتال .

والمؤمن لا تزيده أساليب الحرب النفسية إلا إيمانا وثباتا وهذا ما يشير إليه قول الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

ومن أمثال مقاومة الحرب النفسية :

قول خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين لقائد جيش الفرس :

« لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما يحبون الحياة » وكان ذلك ردا على رسالة قائد جيش الفرس التى أرسلها إلى خالد بن الوليد كمحاولة لبث الرعب

فى نفوس المسلمين وإفقادهم الأمل فى النصر ببث اليأس فى نفوسهم ملوحًا بسلاح التفوق العددى للفرس إذ كان آنذاك ستة أضعاف المسلمين ٠

وبالإيمان الصادق الحق ومقاومة الحرب النفسية انتصر المسلمون ٠٠ فالمؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية إلا إيمانا وثباتا ٠

٧ - التربية البدنية :

« حث الإسلام على تعلم السباحة والرماية ، وركوب الخيل ، وغير ذلك من الوان الفتوة الرياضية ، وشرع السباق فى الجرى ، والمصارعة ، والنضال بالسهام ، والرماية بالقوس والرهان ٠ والطعن بالرمح والحربة ، وركوب الخيل مسرجة ومعراه ، والسباحة والضرب بالسيف ، ورفع الأثقال والسباق بين الفرسان المتسابقين على الخيل أو الإبل واشترك النبى صلوات الله وسلامه عليه فى هذا ، حين تكررت من مسابقته لزوجته السيدة عائشة رضى الله عنها ووضع الرسول لهذه المسابقات نظما وتفاصيل ، وعود صحابته أن يتعلموا التواضع فى ذلك مع الاستعداد للتحدى حينما لا يجدى التواضع [1] » ٠

ويمدح الإسلام المؤمن القوى ويعتبره أنفع وأفضل عند الله من الضعيف فيقول الرسول الكريم :

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ٠

ويقول فى حديث آخر : « إن لبدنك عليك حقًّا » ٠

وإذا نظرنا إلى سمات الحرب الحديثة نجد أن التربية أساس لبناء الفرد الصالح لمواجهة متطلبات هذه الحرب بصفاتها الواضحة ٠ بل إن هناك تخصصات جديدة برزت مع تطور الحرب الحديثة مثل قوات المظلات وقوات الصاعقة بمهامها المتعددة التى تتطلب أفرادا على لياقة بدنية عالية لمواجهة ظروف التدريب القاسية وكذلك ظروف العمليات الضاربة حتى يمكن لهم تحقيق مهامهم بكفاءة تامة ٠

---

(١) وزارة الحرب ، عقيدتنا الدينية طريقنا إلى النصر ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، عام ١٩٧٣ ، ص ٣٤ - ٣٥ ٠

٨ - التدريب على السلاح :

« حث الإسلام على التدريب على السلاح وإتقانه والمداومة عليه ، لقد كان النبى ﷺ يحث المسلمين على التدريب على الرمى والطعن بالحراب والتمرس بأعمال القتال حتى لقد سمح باتخاذ المسجد ميدانا للتدريب . فيروى أن بعض الأحباش كانوا يلعبون بحرابهم عند النبى - ﷺ - فى المسجد فدخل عمر - رضى الله عنه - فأنكر عليهم لعبهم بالحراب فى المسجد فقال النبى : (دعهم يا عمر) .

قال الرسول ذلك لأن المسجد موضوع لأمن جماعة المسلمين فأى عمل من الأعمال يجمع بين منفعة الدين وأهله فهو جائز فيه مباح بين جدرانه ، وقد بلغ تقدير المسلمين للتدريب أن بعضهم كان يتدرب حتى فى يوم العيد [١] .

٩ - ويتم إعداد المقاتل فى القوات المسلحة فى المنشآت التعليمية المختلفة (أساسات مراكز تدريب مدارس ومعاهد القوات المسلحة) ثم تصقل مواهبه ومهاراته الفنية والتكتيكية خلال المشروعات والمناورات العسكرية فى الوحدات والتشكيلات العسكرية .

١٠ - أما بالنسبة لتأهيل الضباط القادة الذين يتولون القيادة فإنه يتم فى الكليات والمعاهد العسكرية ليتخرج الضابط ليتولى القيادة داخل القوات المسلحة ويصقل مواهب القيادة فى المشروعات والمناورات العسكرية والتدريب المشترك مع منحه دورات تدريبية وتأهيلية تتناسب مع نظام الترقى ليكون حاصلا على أقصى درجات التأهيل العلمى والعسكرى ليكون صالحا للتخطيط والقيادة .

* * *

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٣ .



الفصل السادس

العقائد العسكرية (دراسة تحليلية)



الفصل السادس

العقائد العسكرية (دراسة تحليلية)

● **تمهيد** :

لكل دولة عقيدتها العسكرية التى تنبع من ظروفها التاريخية والاجتماعية والدينية والعقائدية والثقافية ووضعها الجيوبوليتيكى ونظامها السياسى وقدرتها الاقتصادية والتهديدات التى تواجهها .

ولقد اختلفت المفاهيم الفكرية العسكرية والسياسية فى تحديد التعريف الدقيق للعقيدة العسكرية للدولة ومكانتها وعلاقتها بالغايات والأهداف القومية والسياسات القومية والتخصيصية ، الأمر الذى نتج عنه عدم وجود نمط واحد يمكن الأخذ به ويمكن اعتباره نمطا ثابتا لعقيدة عسكرية حقة . ولتأكيد ذلك سوف نجرى دراسة تحليلية لهذه العقائد العسكرية مركزين على أهم هذه العقائد العسكرية (العقيدة العسكرية للاتحاد السوفيتى السابق كممثل للعقيدة العسكرية لدول الشرق والعقيدة العسكرية للولايات المتحدة كممثل للعقيدة العسكرية لدول الغرب وكذلك العقيدة العسكرية لإسرائيل مصدر التهديد الرئيسى فى الشرق الأوسط) ، مؤكدين على عدم قدرة هذه العقائد العسكرية على مواجهة العقيدة العسكرية الإسلامية وهى العقيدة العسكرية الحقة .

أما باقى العقائد العسكرية لدول العالم فهى عقائد تابعة تؤخذ إما من الشرق أو عن الغرب كما سبق أن أوضحنا وبالتالى فهى ينطبق عليها ما ينطبق على هذه العقائد العسكرية .

وسوف نتناول هذه الدراسة التحليلية فى هذا الفصل فى ثلاثة مباحث على النحو التالى :

المبحث الأول – ويتناول العقيدة العسكرية لدول الشرق .

المبحث الثانى – ويتناول العقيدة العسكرية لدول الغرب وإسرائيل .

المبحث الثالث – دراسة تحليلية للعقائد العسكرية .

المبحث الأول

العقيدة العسكرية لدول الشرق

العقيدة العسكرية للاتحاد السوفيتى (سابقا) هى السياسة العسكرية إلا أنه لا يستخدم لفظ السياسة العسكرية ويستخدم لفظ العقيدة العسكرية وهى تعنى : « أنها مجموعة من الآراء والمفاهيم العلمية المدروسة عن طبيعة الحرب والمهام العسكرية للدولة وطرق تنفيذها ووجهات النظر للدولة لبناء قواتها المسلحة وإعداد الدولة وقواتها المسلحة للحرب ، وهى انعكاس لسياسة الدولة فى المجال العسكرى » ومن حيث محتوياتها فهى تنقسم إلى أسس سياسية وأسس عسكرية كالآتى :

أولا - الأسس السياسية :

١ - الاتجاهات الرئيسية لدراسة العدائيات المنتظرة ٠

٢ - دور القوات المسلحة فى تأمين مصالح الأمن القومى ٠

٣ - دور القوات المسلحة فى تأمين الشرعية الدستورية ٠

٤ - اتجاهات ومستويات التعاون الاستراتيجى (تحالفات - تسهيلات عسكرية ٠٠٠ إلخ) ٠

ثانيا - الأسس العسكرية :

١ - المبادأة العامة واتجاهات التطور للعلم العسكرى وفن الحرب ٠

٢ - اتجاهات بناء وتطوير القوات المسلحة وأسس استخدامها ٠

٣ - مطالب الاستعداد القتالى وتعبئة القوات المسلحة ٠

٤ - أسس التوزيع والفتح الاستراتيجى التعبوى للقوات المسلحة ٠

٥ - الاتجاهات الرئيسية لإعداد الدولة للدفاع وقواتها المسلحة ٠

٦ – الاتجاهات الرئيسية لتطوير وسائل الصراع المسلح (سياسة التسليح ، والإنتاج الحربى ، وسائل الردع ، إنشاء قوات تدخل سريع ٠٠٠ إلخ) .

٧ – وضع أسس ونظام القيادة والسيطرة للقوات المسلحة .

٨ – وضع أسس ونظام إعداد التأمين المادى الفنى للقوات المسلحة .

وقد تعدلت العقيدة العسكرية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وأدخل عليها تعدبلات هامة لتصبح عقيدة عسكرية للاتحاد الفيدرالى الروسى (روسيا الاتحادية) .

ففى الثانى من نوفمبر عام ١٩٩٣ ، صدق مجلس الأمن القومى على وثيقة تحتوى الفقرات الرئيسية للاتحاد الفيدرالى الروسى وصودق عليها بإعلان رئاسى رقم ١٨٣٣ لنفس اليوم وتتعلق الوثيقة بالنواحى السياسية والعسكرية الفنية والاقتصادية للعقيدة العسكرية الجديدة معلنة احتياجات الأمن لروسيا فى حالة التحول للإصلاح الديمقراطى وخلق نظام جديد للعلاقات الدولية وتتلخص غالبية التغييرات الهامة أو العناصر الجديدة فيما يلى :

١ – تم التخلى عن الأيديولوجية الأساسية القديمة التى تميز العدو من الصديق وتم استخدام اصطلاح « الشركاء » بدلا منها (روسيا لا تنظر إلى أى دولة كعدو) ولكنها تعتبر (كل الدول التى لا تضر بمصالحها وتطبق ميثاق الأمم المتحدة كشركاء) ، وسوف تتعاون روسيا مع شركائها فى الحفاظ على السلام وتجنب الحرب والصراع المسلح .

٢ – مصادر التهديد الرئيسية ومصادر الصراع المسلح : بالرغم من التقليل من مخاطر الحرب بين دولتين سواء إن كانت حرب تقليدية على نطاق واسع أو حرب نووية فإن التهديدات المستقبلية تظل باقية والمصادر الرئيسية للصراع تتمثل فى الآتى :

(أ) التنافس الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والإقليمى والدينى والتنافس العرقى .

(ب) تنشأ الصراعات بواسطة القوميات العدوانية والتعصب الدينى وهى تمثل خطورة بصفة خاصة ٠

(ج) تشتمل المصادر الخارجية للتهديد العسكرى على الآتى : (تتضمن الآتى) :

(١) المطالب الإقليمية ضد روسيا ٠

(٢) كبت حرية المواطنين الروس فى البلاد الأجنبية وعدم حصولهم على حقوقهم المشروعة (يوجد ٢٥ مليون مواطن روسى يعيشون فى روسيا قرب الحدود) ٠

(٣) اتساع وامتداد التكتلات العسكرية والاتحادات التى تضر بالأمن العسكرى لروسيا (تحديد واضح من اتساع عضوية حلف الناتو فى اتجاه الشرق) ٠

(د) تتمثل مصادر التهديد العسكرى الداخلى فى الآتى :

(١) أنشطة القوميين والانفصاليين (أنشطة غير قانونية) التى تهدف إلى تهديد استقرار الوضع الداخلى فى روسيا وتتضمن الجريمة المنظمة وتجارة المخدرات وتهريب البضائع (الأنشطة غير القانونية للقوميين والانفصاليين التى تهدف إلى تهديد الاستقرار الداخلى) ٠

٣ - تركز الوثيقة على الآتى :

(أ) أهمية الوسائل غير المسلحة لضمان الأمن مثل إجراءات بناء الثقة فى المجال العسكرى (تبادل المعلومات العسكرية وتنسيق العقائد العسكرية مع الحلفاء والشركاء) ٠

(ب) أهمية التوسيع غير المحدود لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية كهدف بعيد المدى للخطر الشامل للتجارب النووية ٠

(ج) تطوير التعاون العسكرى المفيد خاصة مع أعضاء كومنولث الدول المستقلة ودول شرق ووسط أوروبا ٠

(د) توضيح موقف موسكو النووى على نطاق واسع تبعا للاستراتيجية النووية لحلف الناتو والتركيز على الطبيعة السياسية للأسلحة النووية (تعلن روسيا عن تخيلها عن الضربة الأولى وترجىء الاستخدام الأول للأسلحة النووية وتحتفظ به لظروف واضحة تماما وهى فى حالة العدوان بقوة نووية فقط أو عدوان قوة غير نووية متعاونة مع حليف مزود بأسلحة نووية أو يشترك مع دولة لديها أسلحة نووية) .

ويمكن ترجمة الهدف البعيد لروسيا كحد أدنى للردع ، وأخيرا نزع السلاح النووى الشامل .

(هـ) استخدام القوة العسكرية شرعًا ليس فقط من أجل الدفاع عن الوطن أو الدفاع الشامل عن النفس ولكن أيضا لإنهاء الصراعات المسلحة على الحدود الروسية لتأمين المصالح الحيوية لروسيا .

(و)تمد روسيا مظلتها النووية لحلفائها فى كومنولث الدول المستقل (CIS) [1] .

٤ – تتضمن المهام الجديدة للقوات المسلحة الروسية (أساسا) عمليات حفظ السلام بتكليف من مجلس الأمن (للأمم المتحدة) أو تنفيذ التزامات روسيا الدولية .

٥ – يوكل بالمهام الأمنية الداخلية بداية لقوات الأمن الداخلى وقد تتدخل القوات المسلحة بالقوة تحت ظروف خاصة (مثل تمرد الثالث من أكتوبر ١٩٩٣) أو من أجل حماية أهداف استراتيجية هامة .

٦ – يجب أن تكون القوات المسلحة عصرية (تواكب تطور العصر الذى تعيش فيه) وتواكب الحقائق الجيوبوليتيكية الجديدة بتعزيز خفة حركتها وتحديث معداتها بحيث تكون قادرة على العمليات الدفاعية النشطة والعمليات الهجومية فى أى نوع من أنواع الحروب .

---

(1) CIS commun Wealth of Independent states

٧ – يتم إنجاز الإصلاح العسكرى المخطط فى مرحلتين :

(أ) المرحلة الأولى حتى عام ١٩٩٦ :

ويتم فيها استكمال سحب القوات المنتشرة خارج روسيا وخفض حجم القوات المسلحة وإعادة بنائها ووضع نظام التجنيد المختلط موضع التنفيذ .

(ب) المرحلة الثانية بحلول عام ٢٠٠٠ :

يتم استكمال بناء القوات المسلحة والتنفيذ الكامل لنظام التجنيد المختلط .

* * *

المبحث الثانى

العقيدة العسكرية لدول الغرب وإسرائيل

أولا - العقيدة العسكرية لدول الغرب :

إن مفهوم العقيدة العسكرية لدول الغرب هو المذهب العسكرى المتبع فى الدولة والوارد فى قوانين قتالها المختلفة أى أن العقيدة ترتبط باستخدام الأسلحة وتغير طبقا للتطور التكنولوجى فى التسليح وما يرتبط به من متغيرات تدخل فى تركيب الجيوش وأساليب قتالها ، وقد مرت العقيدة العسكرية الغربية بالعديد من المتغيرات ، ومن أمثلة العقيدة العسكرية لدول الغرب سوف نركز على المذهب العسكرى للولايات المتحدة لأن جوهره يتماثل مع جوهر هذه المذاهب الغربية بالرغم من وجود اختلاف ظاهرى (حيث اعتمدت جميعها على القوى النووية والدعم الأمريكى من أجل السيطرة على العالم) .

يقوم المذهب العسكرى للولايات المتحدة على استراتيجية الرد الشامل . وقد جاء على لسان المسئولين الأمريكيين « إن على الولايات المتحدة أن تكون جاهزة لتوجيه ضربة نووية شاملة فى الزمان والمكان المناسبين وذلك خارج حدود أوروبا » .

ولقد تطور المذهب العسكرى للولايات المتحدة من فترة الخمسينيات إلى يومنا هذا على النحو الآتى :

١ - فى الخمسينيات : كان المذهب العسكرى يعتمد على التهديد بإشعال الحرب العالمية النووية من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة .

٢ - فى الستينيات : ظهرت فى الولايات المتحدة استراتيجية جديدة وهى أن الاستراتيجية يجب أن تكون مرنة وحاسمة فى الوقت نفسه ، وتلحظ الاستعداد لخوض أى حرب عالمية نووية أو تقليدية كبيرة أو صغيرة وبالتالى فإن

استراتيجية (الرد المرن) تناولت مجالات واسعة من الحروب ، كما أنها تسمح بخوض ما يسمى (بالحرب المحدودة) ، مع استخدام الوسائط النووية وكانت تتجه كسابقتها إلى إحراز السيادة العالمية ، ومجابهة الأنظمة الاشتراكية والتقدمية وإخماد حركات التحرر الوطنى فى العالم [1] .

٣ – فى عام ١٩٧١ أعلنت الولايات المتحدة عن استراتيجية (الردع الواقى) ، حين صاغت القيادة السياسية – العسكرية الأمريكية وجهات نظر جديدة أدخلتها فى مذهبها العسكرى حول طبيعة الحرب وتصنيفها . فقد قسمت الحرب إلي أربعة أنواع ، حسب الوسائط التى تستدعى للاشتراك ، ومقاييس التنفيذ وتناسب االقوى على ساحة الصراع ، وهى : « الحرب النووية الاستراتيجية الشاملة الحرب النووية المحدودة على مسرح العمليات والحرب التقليدية الشاملة ، الحرب التقليدية المحدودة على مسرح العمليات » .

٤ – ولوحظ على عتبة الثمانينيات انقلاب مفاجىء فى الاستراتيجية الإمبريالية وغدت القوة والقوة وحدها المؤثرة فى سياسة الولايات المتحدة الخارجية وراح رجال الدولة وكبار المسئولين العسكريين الأمريكيين يهددون بحرب نووية ويعلنون عن مناطق هامة فى العالم تقع على بعد آلاف الكيلومترات من القارة الأمريكية أنها غدت مناطق (مصالح حيوية) للولايات المتحدة .

ووفقا لمبادىء المذهب العسكرى للولايات المتحدة التى تقترح وترسم الإعداد ومجرى الحروب العدوانية فى أراضى ما وراء البحار ، فإن قوات أربع قيادات موحدة من أصل خمسة وسائطها منتشرة (حتى فى زمن السلم) خارج الولايات المتحدة فى أوروبا وفى المحيط الأطلسى ، والمحيط الهادى ، وفى القارة الأمريكية .

ولذلك وبناء على المهام العسكرية المطلوبة ، فقد قسمت القوات الأمريكية إلى قوات استراتيجية وقوات عامة ، وقوات ووسائط نقل القطاعات ، وقوات

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن (الرد المرن) ، (الحرب المحدودة) انظر الدليل المرفق ملحق (أ) .

احتياطية وقوات تدخل سريع لتأمين التدخل العسكرى المباشر للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة ، وأية منطقة أخرى فى العالم .

هذا بالإضافة إلى انتشار شبكة متطورة من القواعد العسكرية فى جميع المناطق المهمة استراتيجيا فى العالم ، كى تنفذ سياسة توسعية إجمالية ، وتؤمن لهذه الغاية الوجود الدائم لتجمعات هامة من القوات العسكرية الأمريكية على مسارح ما وراء البحار ، ولتقوم بالتعزيز فى حالة الأزمات .

ومن المعروف أن النموذج الاستراتيجى الأمريكى وضع فى البداية على أساس أن البنتاجون الأمريكى ، ومعه معظم النظريين الاستراتيجيين ، كان يعتقد أن « الولايات المتحدة حصلت على التفوق التكنولوجى بشكل نهائى وإلى الأبد » وهكذا أصبح الأمريكيون أسرى لمذهبهم العسكرى ، على الرغم من أنهم لاحظوا أن الردع بدأ يرتد ضدهم ، بسبب التعادل العسكرى الذى حققه الاتحاد السوفيتى السابق (الاتحاد الروسى حاليا) .

وينبغى أن ننوه بأن تلاؤم المذهب العسكرى للولايات المتحدة ، والمفاهيم الحربية الاستراتيجية لحلف الأطلسى ، مع تناسب القوى المتغير ، كان كل مرة يهدف إلى الإبقاء على الحرب كواسطة ، لتحقيق المساعى السياسية ذات الطابع العدوانى .

والملاحظ فيما سبق أن فكرة العمل من موقع القوة سيطرت على المذهب العسكرى للولايات المتحدة وهو ما يؤكده تعريفها للاستراتيجية بأنها : « فن استخدام القوة المسلحة وعلمها ، بغرض تحقيق أهدافها السياسية القومية ، عن طريق استخدام القوة أو التهديد بها » (تعريف الاستراتيجية ورد فى كتاب « دليل ضابط الركن فى القوات المسلحة الأميريكية ») .

ثانيا - العقيدة العسكرية لإسرائيل :

المذهب العسكرى لإسرائيل يمثل العقيدة العسكرية لها وقد تأثر بإنشاء دولة إسرائيل وهو (المذهب العسكرى) يدور حول حلم إسرائيل (فكرة

إسرائيل الكبرى) إذ تشكل هذه الفكرة جوهره وغايته الرئيسية فى نفس الوقت مستخدمة القوة العسكرية الإسرائيلية وسيلة لتحقيق أهدافها السياسية والسياسة العسكرية واضعا فى الاعتبار أن إسرائيل لن تهزم إلا مرة واحدة فإما أن تنتصر وإلا فالهزيمة تعنى الفناء والزوال من الوجود ٠

اعتمد المذهب العسكرى الإسرائيلى على ركائز أساسية اشتقها الاستراتيجيون من الهدف الصهيونى القومى (حماية وجود الدولة وضمان بقائها ، التوسع وتأمين استمرار وجود الدولة بالغزو العسكرى لتحقيق أفضل الأوضاع) ومن واقع إسرائيل السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى والجغرافى والركائز هى :

١ – الحرب الوقائية : وضرورة السعى لتحقيق الضربة الأولى ٠

٢ – الردع : القدرة على الردع وفرض سياسة التهديد ٠

٣ – الانتقام السريع ٠

٤ – نقل الأعمال القتالية إلى أرض العدو : عدم القتال على أكثر من جبهة مع سرعة نقل المعركة لأرض العدو ٠

٥ – التفوق : بناء القوة العسكرية المتفوقة وتحقيق التوازن العسكرى لصالح إسرائيل والحفاظ على التفوق النوعى والتكنولوجى ٠

٦ – استثمار الموقف الدولى :ضمان مؤازرة قوة كبرى (الولايات المتحدة) أو أكثر كحليف موثوق به ٠

٧ – الحرب الخاطفة : ضرورة تحتمها العوامل البشرية والاقتصادية ٠

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ أعلنت إسرائيل وبشكل سافر عن الخيار النووى ٠

وعلق إفرايم كتسير رئيس الكيان الصهيونى السابق ردا على سؤال أحد الصحفيين حول قلق الأوساط الدولية من امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية بقوله : « إن يقلق العالم فهذا لا يؤثر فينا إطلاقا » ٠

كما ذكر موشى دايان : « إن على إسرائيل الوصول إلى خيار نووى حتى

يعرف العرب أننا نستطيع تدميرهم فيما إذا نشأ وضع أصبحت بموجبه الدولة كوجود معرضة للخطر »[1].

ومما سبق يتضح التأثير الكبير لحرب أكتوبر ١٩٧٣ على المذهب العسكرى الإسرائيلى لقد أجبرت هذه الحرب القيادة العسكرية الإسرائيلية على إعادة النظر فى كيفية خوض الحرب المستقبلية مع الدول العربية التى تتقارب معها فى القوة العسكرية ويجمع الاستراتيجيون فى إسرائيل على أن أساس تحقيق الأهداف الصهيونية هو استمرار التمسك بالمفاهيم الأمنية الاستراتيجية باعتبارها أساسا للمذهب العسكرى الإسرائيلى والتى تتمثل فى : الحفاظ على إسرائيل قوية ومتفوقة بشكل مطلق على الدول العربية من الناحية التكنولوجية والنوعية .

* * *

---

(١) تصريح موشى دايان فى صحيفة يديعوت أحرونوت فى ١١/٤/١٩٧٦.

المبحث الثالث

دراسة تحليلية للعقائد العسكرية

أولا – هناك حقيقة واضحة عبر التاريخ تؤكد أن المسلمين ما خاضوا حربا عدوانية قط ضد أى شعب أو بلد بل على العكس كانوا دائما عرضة للعدوان ومازالوا حتى يومنا هذا وإذا وقع القتال كان قتالهم يتسم بالرحمة والفضيلة والعدل وهو ما أشارت إليه السنة النبوية الشريفة وأقوال وأعمال الصحابة الكرام من بعده وهذا ما يؤكده قول الرسول الكريم – ﷺ – لمن تولى أمر الجند :

« انطلقوا باسم الله ولا تغلوا وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

ولقد اتسمت العقيدة العسكرية الإسلامية بسمات نعرض أهمها فيما يلى :

١ – سلامة المصدر :

العقيدة العسكرية الإسلامية تعتصم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع السلف الصالح وأقوالهم وأى معتقد يستمد من غير هذه المصادر إنما هو ضلال وبدعة . وهذه الميزة والخصيصة ، أعنى الاعتماد على الكتاب والسنة ، ونهج السلف الصالح سمة من سمات أهل السنة لاتكاد تتخلف فى كل مكان وزمان والحمد لله .

٢ – الوضوح والبيان :

تمتاز العقيدة العسكرية الإسلامية بالوضوح والبيان وخلوصا من التعارض والتناقض والغموض ، والتعقيد فى ألفاظها ومعانيها ، لأنها مستمدة من كلام الله المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن كلام رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى . بينما المعتقدات الأخرى هى من تخليط البشر

او تأويلهم وتحريضهم وشتان بين الصنفين ولا سيما وأن العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم .

٣ - وضوح الغاية والهدف :

فغاية العقيدة جعل كلمة الله لتكون هى العليا فهى تقاتل فى سبيل الله وتهدف إلى نصرة الحق ودرء الباطل لأن القتال فيها جهاد فى سبيل الله .

٤ - عقيدة لا تقهر :

لأنها مؤيدة بنصر الله عز وجل فإذا تمسك معتقدوها بتقوى الله ونصرته وعملوا بها أمرا ونهيا وآمنوا إيمانا حقًا صادقا وقاموا بالعمل الصالح الطيب استحقوا نصر الله العزيز الحكيم القاهر فوق عباده ولأن شعارها النصر أو الشهادة .

٥ - عقيدة ثابتة لا تتغير :

فهى عقيدة تنبع من العقيدة الإسلامية وهى العقيدة الحقة الثابتة القائمة إلى يوم الدين مصدرها الكتاب والسنة (الكتاب معجزة قائمة إلى يوم القيامة وهو تنزيل من رب العالمين وليس من وضع بشر يخطىء ويصيب) وهى تشريع لا يتغير بتغير الزمان أو المكان فهو من لدن حكيم عليم عالم الغيب والشهادة ، أما البشر فيقول عنهم رب العزة ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[الإسراء : ٨٥] .

٦ - عقيدة أصيلة تحترم العقود والمواثيق والمعاهدات :

فهى تعترف بالأديان كما تحمى العرض والمال والمقدسات .

٧ - عقيدة فاضلة (ذات أخلاقيات) :

فهى تتضمن آدابا للحرب (أخلاقيات للقتال) لم تسم إليها البشرية حتى يومنا هذا (فى نهاية القرن العشرين) .

وهناك حقيقة اعترفت بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر فى كتاب أصدرته بعنوان « ذاكرة التاريخ العربى الإسلامى » منصفة الإسلام فى القواعد الدولية للحرب والسلام .

٨ – عقيدة حقة فاعلة :

إذا تمكنت فى النفوس وانطوى عليها القلب والصدر وصدق بها وعملت بها الجوارح أصبحت منبعا لإرادة القتال والشعلة التى تضىء قلب المقاتل بنور الإيمان بالقضية التى يقاتل من أجلها بحيث تشكل فى نفسه قوة ذاتية تحركه وتدفعه للفدائية فى القتال إلى درجة استرخاص النفس والمال فى سبيل تلك القضية .

٩ – عقيدة راسخة تحبب فى الإقدام وتأمر بالاستشهاد وتنهى عن التولى يوم الزحف وتضع الشهداء فى مكانة عالية .

١٠ – القدرة على التطور :

قدرة العقيدة العسكرية الإسلامية على التطور فقد بدأ تكوين العقيدة العسكرية الإسلامية فى عصر الأسلحة البيضاء واستمر تطورها عندما ظهرت الأسلحة الحديثة (المدفعية ، الهندسية) وظهر ذلك بشكل واضح أيام العثمانيين حيث أمكن عمل التطورات الحديثة فى تنظيم الأسلحة البرية والبحرية وقد جرى ذلك التطور أخذا والتزاما بالآية الكريمة : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ .

١١ – تنفيذ مبادىء الحرب :

لقد اعتمدت العقيدة العسكرية الإسلامية منذ نشأتها الأولى وخلال مراحل تطورها على (مبادىء الحرب) (قيم سامية تمثل مبادىء للحرب) وفقا لما تمت صياغتها والتعبير عنها فى الأزمنة الحديثة وقد يكون من المثير ملاحظة أن لكل مبدأ من تلك المبادىء ضرورته العميقة فى معظم التجارب القتالية التى خاضها المسلمون : فالمباغتة والمبادأة والمناورة ، وأمن القوات ، والحرص على الإمداد ، مبدأ الهدف ، مبدأ الردع ومبدأ الحشد تبرز جميعها واضحة خلال عمليات الفتح الأولى ، كما تظهر تطوراتها عبر مسيرة الأعمال القتالية خلال كل مراحل التاريخ .

وما كانت العقيدة العسكرية الإسلامية لتأخذ أبعادها الزمنية المستمرة

وخصائصها المميزة لولا فضل الله وحفظه لها ثم تلك الجموع من المجاهدين فى سبيل الله الذين تعاقبوا جيلا بعد جيل وهم يتوارثون فضائل الجهاد ، ويلتزمون بفريضته ويختارون الشهادة ابتغاءً لرضوان الله وأملا فى مثوبته وتصديقا بوعده الحق .

ثانيا - تتبلور أهم سمات العقيدة العسكرية لدول الشرق فى الآتى :

١ - تنبع العقيدة العسكرية لدول الشرق من الأيديولوجية الشيوعية وهى تمثل السياسة العسكرية لها وهى التى تحدد أن :

« الصراع هو الوضع الطبيعى للتغيير وخاصة صراع الطبقات داخليا ومواجهة الرأسمالية العالمية خارجيا وذلك عن طريق خلق وتطوير الأزمات والمشاكل فى العالم الرأسمالى » .

٢ - تحدد الأيديولوجية الشيوعية الهدف السياسى العسكرى للاتحاد السوفيتى حسب مصالحه وحسب التهديدات والعدائيات المؤثرة على أمنه وحسب أسبقيات الاهتمام التى تضعها القيادة السياسية بالاشتراك مع القيادة العسكرية .

٣ - فرض السيطرة على دول أوروبا الشرقية ومحاولة السيطرة على موارد الطاقة والمواد الاستراتيجية بالدول النامية علاوة على الدول التى تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى (القديم) واحتكار أسواقها .

٤ - حتمية الصراع الدموى بين الطبقات وتسيد طبقة البرولوتاريا .

٥ - الأيديولوجية الشيوعية ليس لها قيم إنسانية ولكنها تعمل على ظلم الطبقات الأخرى وهى أيديولوجية عدوانية لا تنصر حقا ولا تردع باطلا .

٦ - نظرا لأن الأيديولوجية الشيوعية من وضع البشر الذى يخطىء ويصيب أنهار الاتحاد السوفيتى وتمزق وهو ما يؤكد أن الأيديولوجية الشيوعية عقيدة فاسدة غير صحيحة وهو ما يؤكد بالتالى فساد العقيدة العسكرية (التى تنبع منها) .

وحتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وقيام الاتحاد الفيدرالى الروسى نجدأنه

يتمسك بعقيدته الفاسدة القديمة من حيث استخدامها للقوة النووية ومن مظلة روسيا النووية لحلفائها فى كومنولث الدول المستقلة وكذلك استخدام القوة العسكرية ليس فقط من أجل الدفاع عن الوطن أو الدفاع الشامل عن النفس ولكن أيضا لأنهاء الصراعات المسلحة على الحدود الروسية لتأمين المصالح الحيوية لروسيا (على حد قولهم) وهو ما يعتبر ذريعة لاستخدام سياسة البطش والعدوان ضد الدول الأخرى والمثل ظاهر للعيان فى قضية الصراع الذى وقع فى الشيشان .

ثالثا – تتبلور أهم سمات العقيدة العسكرية للغرب وإسرائيل فى الآتى :

١ – المذاهب العسكرية مذاهب عدوانية فالدول تضع مذهبها العسكرى بما يتلاءم مع سياستها العليا وطموحاتها الوطنية والقومية ويرتبط بالشعارات التى تلتزم بها الدولة والأمة .

(أ) فألمانيا النازية كانت تعتبر أن بسط نفوذها على أوروبا والعالم هو حق مشروع لها نظرا لان العنصر الجرمانى الصافى هو الذى يجب أن يسود (على حد زعم النازية) .

(ب) وإيطاليا الفاشية ترى أن من حقها السيطرة على حوض البحر المتوسط لاستعادة أمجاد أوروبا .

(ج) وإسرائيل اليوم ككيان دخيل زرع بالقوة الغاشمة فى فلسطين ترى من حقها التوسع والاحتلال من أجل إعادة اليهود المشتتين فى أنحاء العالم وتوطينهم فى فلسطين المحتلة استنادا إلى الوعد الإلّهى لليهود وبانهم شعب الله المختار (على حد زعم الصهيونية العالمية) .

لقد ترك المذهب العسكرى لإسرائيل فى المجتمع الإسرائيلى نزعة دائمة وعميقة من الحقد على العرب لخلق جيل فاشى جديد يعطى للقيم العسكرية النزعة العدوانية ويحض على العنف وكان تركيزه الدائم على الخطر الخارجى كذريعة لتبرير عنصريته وتعصبه الأعمى .

لقد أصبح المجتمع الإسرائيلى كله مجتمعا عسكريا حربيا يعتمد على القوة العسكرية لتحقيق أطماعه التوسعية على حساب الأرض العربية (بفضل مذهبه العسكرى العدوانى) ولم تكن الوسائل السياسية والاقتصادية والإعلامية وغيرها من الوسائل سوى توابع للوسيلة الرئيسية (القوة العسكرية) مرتبطة بها وخادمة لها .

٢ – الطبيعة العدوانية للمذهب العسكرى للولايات المتحدة وهذا ما يؤكده مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى فى تصريح له فى مارس عام١٩٨٢ بقوله : « إن سياسة الولايات المتحدة التى تستند على القوة العسكرية ، تعتمد برنامجا طويل الأمد لزيادة حجم القوات العسكرية الأمريكية وتحسين الترسانة النووية الاستراتيجية فى المقام الأول » ، وهذا بالرغم من توقيع الولايات المتحدة على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية .

كما يؤكده تصرفات الولايات المتحدة فى هذا الزمان من تأييد مطلق للقوى الإمبريالية فى العالم وعلى رأسها إسرائيل وانحيازها الأعمى الظالم لكل تصرفاتها العدوانية بكل الوسائل والأساليب .

وكذلك فرضها نظاما دوليا جديدا تكون لها اليد الطولى فيه تتصرف فيه كما تشاء دون مراعاة للقوانين والمواثيق والأعراف الدولية ولكن وفقا لمصالحها الحيوية فقط .

٣ – مذاهب غير أصيلة لا تحترم المواثيق والقوانين الدولية والشاهد لهذا العصر يرى ضرب إسرائيل عرض الحائط لكل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الخاصة بفلسطين وشعب فلسطين .

٤ – مذاهب عدوانية وحشية لا ترعى حرمة المقدسات أو كرامة الإنسان وهى عنصرية لا تحترم إلا جنسها دون سائر الأجناس وهى لا تميز بين صغير وكبير ذكر كان أم أنثى .

٥ – ليس لها آداب للحرب أو أخلاقيات للقتال ولا ترعى أسيرا أو جريحا ولا تراعى طفلا أو سيدة أو شيخا .

٦ – عقائد فاسدة غير صحيحة فهى لا تنصر حقا ولا ترد باطلا بل على العكس فهى عقائد ظالمة .

٧ – عقائد متغيرة غير ثابتة ، تتغير على مر الزمن بل وتختلف من دولة إلى أخرى .

رابعا – ومن قراءاتنا المتعددة لمعرفة رأى العلماء في العقيـدة العسكرية الحقة ، نعرض آراء بضع من أبرز العلماء العسكريين والمدنيين فى مجال العسكرية الإسلامية استرشادا بها فى الدراسة التحليلية للعقائد العسكرية :

١ – يرى اللواء أ . ح / محمد جمال الدين محفوظ أنه :

« إذا كانت العقائد العسكرية لدول العالم تصوغها وتضع مبادئها القيادات السياسية العسكرية فى ضوء نظرتها نحو الحرب وتقديرها لطبيعتها وأهدافها السياسية وإمكاناتها الاقتصادية وغير ذلك من الظروف الاستراتيجية فإن شأن هذه العقائد شأن القوانين الوضعية التى تنتجها عقول المشرعين من البشر وتخضع للظروف وتنطوى على الصواب والخطأ معا . وهذا ما تثبته أحداث التاريخ على مر العصور فإنها تؤثر وتغير فى المبادىء والقواعد التى تقوم عليها العقائد العسكرية بحكم تأثرها نفسها وتغيرها من وقت إلى آخر ومن عصر إلى عصر وفى الظروف والأحوال المختلفة التى تنقلب فيها الدولة أو تتطور ، أما العقيدة العسكرية الإسلامية فإنها بحكم انبثاقها من القرآن والسنة تتبوأ مكانة عالية – وتتميز بالاستقرار والثبوت لأنها من هدى الدين وليست ميراثا لحروب البشر ، فالرسالة الإسلامية ليست من صنع إنسان يخطىء ويصيب ، وإنما هى من الله أنزلها على رسوله بالتعبير الإلّهى نفسه كما أنها فى غاية الإحكام والدقة جملة وتفصيلا لأنها من لدن حكيم خبير » .[١]

٢ – ويرى اللواء الركن محمود شيت خطاب الآتى :

(لا أعرف عقيدة راسخة تحبب الأقدام وتأمر بالاستشهاد وتنهى عن التولى يوم الزحف وتضع الشهداء فى مكانة عالية كالعقيدة الراسخة « العقيدة العسكرية الإسلامية ») .[٢]

---

(١) محمد جمال الدين على محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ، ص ٣٨ .

(٢) اللواء الركن محمود شيت خطاب ، عقيدتنا العسكرية الإسلامية غائبة فى حروبنا ولابد من أن نستفيد من الجهاد الأفغانى ، حوار عبد العزيز آل داوود ، مجلة الحرس الوطنى السعودى ، شوال ١٤١٠ ه – مايو ١٩٩٠ .

٣ – يرى اللواء أ ٠ ح / مصطفى جودت العباسي الآتى : (١)

« لما كانت الرسالات السماوية يميزها عن غيرها من المعتقدات وحدة المصدر (الله سبحانه وتعالى) لذا اعتبر الدين مصدرا ثابتا للعقيدة العسكرية كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُون وَيُقْتَلُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١١] .

من هنا أصبحت العقيدة العسكرية الإسلامية لها خاصيتها فهى لا شرقية ولا غربية تستمد قيمها ومبادئها من تعاليم الدين الإسلامى وتنبع من ظروف الأمة العربية والإسلامية » .

٤ – كما يرى الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم أن :

« العقيدة العسكرية كثمرة ناتجة من العقيدة الأم وهى العقيدة الإسلامية تأخذ فى تكوينها دوراً أصيلا وبناءً محكما لا ينهض إلا على أساس ثابت قويم هو الإيمان الصحيح وبمقومات أصيلة أهمها :

الإخلاص وإنكار الذات ، التحرر من مخافة الموت أو الخوف على الرزق ، الدفاع عن العقيدة والوطن الإسلامى ، الثبات عند اللقاء ، عقيدة تقوم على الإقناع لا السيف .

والعقيدة العسكرية النابعة من العقيدة الإسلامية الصحيحة تجعل صاحبها فى أمن مما يفزعه فى الحياة بل تدعوه إلى العزة ، لأنه يؤمن بأن الأمور تجرى بمقادير إلهية ، عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال :

(كنت خلف النبى – ﷺ – يوما فقال : « يا غلام أنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم

---

(١) مصطفى جودت العباسى ، العقيدة العسكرية للدولة (دولة ما) ، مجلة الدفاع ، العدد الثانى عشر ، مايو ١٩٨٧ .

ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لن يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ») ٠

خامسا – خلاصة التحليل :

من الدراسة المستفيضة للعقيدة العسكرية الإسلامية (من حيث المفهوم والجوهر والمكونات) ومن العرض السابق للعقائد العسكرية لدول العالم (المفهوم والمضمون والسمات) وبالاسترشاد برأى بعض العلماء البارزين (العسكريين والمدنيين) ، نخلص إلى الآتى :

١ – أن العقائد العسكرية لدول العالم فى الغرب وإسرائيل هى مذاهب عسكرية وليست عقائد للاختلاف الواضح البيّن بين العقيدة والمذهب لغة واصطلاحا كما أن العقيدة العسكرية ليست سياسة عسكرية كما تفسرها دول الشرق للاختلاف الظاهر الجلى بين مفهوم العقيدة والسياسة لغة واصطلاحا أيضا ٠

٢ – ارتباط كل من المذهب العسكرى والسياسة العسكرية ارتباطا وثيقا بالنظام السياسى للدولة وكذلك بالأعباء الملقاة على عاتقها فى قطاع السياسة الخارجية والداخلية وبالحالة الاقتصادية والسياسية للدولة والثقافية للبلاد كما أن المبادىء الأساسية للسياسة العسكرية أو للمذهب العسكرى فتحدد من قبل القيادة السياسية للدولة ولكن العقيدة العسكرية الحقة تنبع من الشرائع السماوية ٠

٣ – تغير مفهوم المذهب العسكرى / السياسة العسكرية من مكان إلى مكان ومن عصر إلى عصر ومن شخص إلى آخر يجعلها عقيدة غير ثابتة وغير مستقرة ، إذن فهى عقيدة غير صحيحة فقد تصلح لزمان غير زمان ، وفى مكان غير مكان ، وهذا يتعارض مع صفات العقيدة العسكرية الحقة ٠

٤ – المذهب العسكرى مجموعة من الآراء والأفكار البشرية حول جوهر الحرب المقبلة وأهدافها وطبيعتها وحول إعداد البلد والقوات المسلحة ووسائط

اللازمة لخوضها ضمن استراتيجية معينة ، أما العقيدة الحقة فهى إيمان بقيم سامية من عند الله العزيز الحكيم ، وهذا يختلف اختلافا كليا وجذريا عن الأفكار نتاج البشر ، فالإنسان يخطىء ويصيب ، أما الله سبحانه وتعالى فهو المنزه عن الخطأ والنسيان فهو سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ولله الأسماء الحسنى .

٥ – السياسة العسكرية هى : « فن الاستخدام السياسى للقوة العسكرية بالتعاون مع باقى قوى الدولة الشامل خاصة تلك السياسية منها ، وذلك بهدف تحقيق الأهداف القومية للدولة ، وعليه فإن السياسة العسكرية تعتبر إحدى مكونات السياسة العاملة للدولة ، وتوضع السياسة العسكرية للدولة لخدمة هدفها السياسى العسكرى الذى يتم وضعه بواسطة القيادة السياسية للدولة بالاشتراك مع القيادة العسكرية ، ومن هذا يتضح أن السياسة العسكرية هى أفكار ومبادىء من صنع البشر ، وينطبق عليها ما ينطبق على المذهب العسكرى من خصائص وسمات تجعلها عقيدة غير صحيحة .

٦ – يتأثر المذهب العسكرى بأصول تاريخية ويرتبط بالشعارات التى تلتزم بها الدولة ، أما العقيدة العسكرية فتنبع عن شرع سماوى وهى ثابتة لا تتغير وهى عقيدة عسكرية حقة .

٧ – لا يوجد فى أى من مفاهيم المذهب العسكرى والسياسة العسكرية ما يشير إلى أنها منبع لإرادة القتال للقوة البشرية العسكرية أو ما يحرك هذه القوة ويدفعها للتضحية بالنفس فالشعارات التى تتضمنها هذه المذاهب ليست جديرة بذلك فهى تدافع عن أيديولوجيا لا ترتقى إلى مرتبة الأديان السماوية ، فهى إذن لا تستقر فى الشعور والوجدان كما تستقر العقيدة الحقة .. إذن الاختلاف جوهرى بين العقيدة العسكرية الحقة وهذه المذاهب والسياسات العسكرية وهو يتمثل فى درجة اقتناع المقاتل بكل منها فقيم وأحكام العقيدة تطبق عن قناعة تامة وإيمان صادق دون أدنى شك فيها بعكس أفكار ومبادىء المذاهب العسكرية .

٨ – وأخيرا نود أن نسجل هنا أنه لا وجه للمقارنة حقيقة بين مجموعة من الأفكار والمبادىء لبشر يخطىء ويصيب وبين الإيمان بمجموعة من القيم الإنسانية من صنع أحكم الحاكمين الله الذى لا إله إلا هو المنزه بصفاته وكماله وأنه من الخطأ الجسيم إجراء مثل هذه المقارنة .

وهذا ما حدا بنا أن نسمى هذا الفصل (دراسة تحليلية وليس دراسة مقارنة) .. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

* * *

الملاحق

- ملحق (أ) دليل المصطلحات السياسية والعسكرية .
- ملحق (ب) ميثاق المؤتمر الإسلامى .
- ملحق (ج) الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى وتاريخ انضمامها .

ملحق (أ)

دليل المصطلحات السياسية والعسكرية

١ - إرادة القتال

« هى الرغبة الأكيدة فى الصمود والثبات فى ميدان القتال من أجل مثل عليا وأهداف سامية وإيمان لا يتزعزع بهذه المثل والأهداف وتحمل أعباء الحرب بذلا للأموال والأنفس وصبراً فى البأساء والضراء وحين البأس حتى يتم تحقق تلك المثل العليا والأهداف السامية . ومفهوم إرادة القتال فى العقيدة العسكرية الإسلامية مادة وروح فيه الدعوة إلى الخير والسلام وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفيه الإعراض عن الاستغلال والاستعباد وكل ذلك فى سبيل إعلاء كلمة الله لتكون هى العليا وما دون ذلك هى السفلى » .

٢ - استراتيجية (Strategy)

شاع استخدام هذا المصطلح فى العقود الأخيرة على نطاق واسع إلا أنه لا يوجد تعريف موحد متفق عليه حتى الآن لهذه الكلمة [١] .

(أ) يعرفها كلاوتزفيتز بأنها « فن استخدام المعارك كوسيلة للوصول إلى هدف الحرب » .

(ب) يعرف ليدل هارت الاستراتيجية على أنها :

« فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة ».

(ج) يقدم الجنرال أندريه بوفر (الاستراتيجى الفرنسى) تعريفا لجوهر الاستراتيجية يقول فيه : « هى فن الحوار بين إرادتين متعارضتين تستخدم القوة المسلحة لحل نزاعاتهم » .

(د) يعرفها فيلد مارشال مونتجمرى بأنها : « هى فن إدارة الحرب » .

---

(١) لمزيد من التفاصيل ، انظر الموسوعة العسكرية ، المجلد الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص ٦٦ - ٧٠ .

(هـ) ويعرفها هنرى اكلس بانها : « فن توجيه القوة توجيها شاملاً للتحكم فى المواقف والمناطق لتحقيق الأهداف » .

(و) ويعرفها كولينز (Collins) بأنها : « فن وعلم استخدام القوة العسكرية تحت كافة الظروف لتحقيق أهداف الأمن القومى بتطبيق القوة أو التهديد بها » .

ومن تطور استخدام اصطلاح الاستراتيجية عبر العصور يتضح أن هناك تعريفات للاستراتيجية العسكرية وأخرى للاستراتيجية الشاملة مع الاستخدام الموسع لهذا المصطلح وقد تناولنا كثيرا من هذه التعريفات فيما سبق لكثير من المفكرين العسكريين ، ومن ذلك نخلص إلى الآتى :

(أ) إن الاستراتيجية العسكرية هى :

« علم وفن إعداد واستخدام وتطوير القوات المسلحة فى الدول فى الصراع المسلح على أساس السياسة العسكرية لتحقيق الهدف السياسى العسكرى المحدد » (وهى مجال نشاط القيادة العسكرية) .

(ب) إن الاستراتيجية القومية هى :

« المنهج الشامل (فن وعلم) الذى يبنى على إعداد وحشد واستخدام قوى الدولة بكامل عناصرها (سلما وحربا) وتوجيه ذلك الحشد من القوى فى الاتجاهات التى تحقق الهدف القومى للدولة فى إطار الغاية القومية » (وهى مجال القيادة السياسية فى الدولة) .

٣ - أسرى الحرب

عرفت اتفاقية جنيف لعام ١٩٢٩ أسير الحرب بانه « كل شخص من الأعداء يؤخذ لا لجريمة ارتكبها ، وإنما لأسباب عسكرية ، ويوجد لبقائه محجوزا عند الدولة التى أسرته نظام مفصل يحميه من العنف وسوء المعاملة » .

ولقد تناولت المادة الرابعة من اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ الخاصة بالاسرى حصراً لفئات الأشخاص الذين ينطبق عليهم وصف الأسير إذا ما وقعوا فى أيدى سلطات العدو على النحو التالى :

أولا – أفراد القوات المسلحة التابعون لأحد أطراف النزاع :

ويقصد بأفراد القوات المسلحة وفق مفهوم هذه المادة القوات الأصلية والفرعية والتكميلية والمراجع فى تحديد من يعد من أفراد القوات المسلحة هو القوانين الداخلية للدولة التى يتبعها الأسير .

ومن المستقر وفقا للعرف الدولى أن المقاتلين يجب أن يرتدوا الملابس العسكرية أثناء القتال حال وجودهم فى ميدان القتال أو فى إقليم العدو فإذا ما ضبطوا فى ملابس مدنية أو ملابس عسكرية لدولة العدو ، فإنهم يفقدون الضمانات المقررة لهم وفقا لأحكام القانون الدولى ولا يعاملون كأسرى حرب وإنما كمخربين .

وتنص الاتفاقية على أن تزود القوات المسلحة أفرادها ببطاقات تحمل بيانات معينة ليمكن التحقق من شخصهم بمعرفة سلطات الأسر ويجب بالتالى تقديمها عند الطلب .

ثانيا – أفراد الميليشيات والمتطوعون فى المقاومة الشعبية :

وهم الذين يقومون بحركات مقاومة منتظمة ويتبعون أحد أطراف النزاع ويعملون داخل أو خارج أراضيهم ، حتى لو كانت هذه الأرض محتلة وبشرط أن تتوفر فى هذه الميليشيات أو وحدات المقاومة الشروط الآتية :

١ – أن تكون تحت قيادة شخص مسئول عن مرؤوسيه .

٢ – أن يكون لها علامة مميزة بحيث يمكن تمييزهم بها من بعد .

٣ – أن تحمل أسلحتها بشكل ظاهر .

٤ – أن تقوم بعملياتها الحربية طبقا لقوانين وتقاليد الحرب .

ثالثا – الأشخاص المدنيون الذين يرافقون القوات المسلحة .

رابعا – أفراد أطقم البواخر بما فيهم القادة والملاحون ومساعدوهم فى البحرية التجارية والملاحون فى الطائرات المدنية .

خامسا – سكان الأراضى الجارى احتلالها الذين يحملون السلاح عند اقتراب العدو بشرط أن يحملوا السلاح بشكل واضح وأن يحترموا قوانين وتقاليد الحرب .

والأسير في الإسلام هو :

« الأسير في النظام الإسلامي هو فرد من العدو المحارب غير مسلم ، وربما أمسك به قبل الحرب أو بعدها ، سواء إن كان جريحا أم سليما » .

وعليه فلا أسر لأفراد العدو المهادن أو المصالح إلا لحدوث غدر ووقوع خيانة كما أنه لا أسر لأفراد مسلمين .

فلو ثار بعض المسلمين على السلطة أو خرجت طائفة منهم على الدولة فألقي القبض عليهم فهؤلاء بغاة وليسوا أسرى لهم معاملة مغايرة تختص بشرحها كتب الفقه الإسلامي [1] .

ولمزيد من التفاصيل انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة .

* * *

٤ – الأمن القومي

يعرف البرفيسور فردريك هارتمان : Fredrik Hartman الأمن القومي بأنه : « جوهر المصالح القومية الحيوية للدولة » [2] .

« Security in the sum total of the vital national interests of the state ».

ويعرفه جير الدهويلر : (Gerald F . Wheeler) في دائرة المعارف الأمريكية بأنه : « حماية الدولة من جميع الأخطار الداخلية والخارجية » .

Protection of the state against all domestic or foreign dangers .

ويعرف والتر ليبمان (Walter Lippiman) الأمن القومي بقوله :

«إن الدول تكون آمنة عندما لا تحتاج للتضحية بمصالحها المشروعة في

---

(١) حسن عبد الغني أبو غدة ، أسرى الحرب في الإسلام ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٠٣ ، ذو القعدة ١٤٠١هـ – سبتمبر ١٩٨١ م .

(٢) أحمد شوقي الحفني ، الأمن القومي والاستراتيجية القومية (الأسس والمفاهيم النظرية) ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٨٤ ، ص ٩ .

سبيل تجنب الحرب وأنها قادرة فى حالة التحدى على حماية تلك المصالح بنفس الحرب . وقد ربط هيلمان هذه المصالح المشروعة بقيم للدولة أى أنها المصالح النابعة من القيم التى تسود المجتمع » .

ويضيف ليبمان « أن أمن الدولة يجب أن يكون مساويا للقوة العسكرية والأمن العسكرى بالإضافة إلى إمكانية مقاومة الهجوم المسلح والتغلب عليه »[1] .

* * *

٥ - الأمة

كلمة تطلق على معانى كثيرة منها ما يراد به (الدين) كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف : ٢٢] وتطلق ويراد بها (الرجل المطيع لله) كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] وتطلق ويراد بها (الجماعة) كقوله تعالى : ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [القصص : ٢٣] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾ [النحل : ٣٦] وتطلق ويراد بها (الحين من الدهر) كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف : ٤٥] أى بعد حين على أصح القولين ، فكذلك هذا أن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها فى سياق الكلام بدلالة الوضع .

* * *

٦ - الانتقام الشامل (Massive Retaliation)

الانتقام الشامل هو المذهب الاستراتيجى الذى اتخذته إدارة الرئيس إيزنهاور وأعلن عنه فى عام ١٩٥٤ كأساس لدعم الولايات المتحدة لحلف الناتو وكذلك كل حلفاء الولايات المتحدة الذى تعهد مذهب ترومان عام ١٩٤٧ بقيام الولايات المتحدة بالدفاع عنهم .

ومن ثم يكون المفهوم التقليدى للدفاع قد تم إحلاله بفاعلية بالردع

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦ - ٧

والانتقام . وبدلا من اشتراك القوات فى قتال من المحتمل أن يكون حربا طويلة للدفاع عن حلفاء الولايات المتحدة الذين تم غزوهم بواسطة الاتحاد السوفيتى أو أحد الدول العميلة فإن المذهب الجديد يعتمد كلية على القوة النووية الاستراتيجية . والنظرية هى : مقابلة أى غزو حقيقى لحدود أية دولة حليفة بضربة نووية كبيرة فورية ليس ضد قوات العدو فقط ولكن أيضا ضد أرض الاتحاد السوفيتى ذاته (١) .

(ولمزيد من التفاصيل انظر: الموسوعة العسكرية ، المجلد الأول،ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

* * *

٧ - الإيمان

يمكن تعريف الإيمان كالآتى :

لغةً : التصديق المحض كما استعمل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ يُؤمِنُ بِاللهِ وَيُؤمِنُ لِلمُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة : ٦١] وفى قوله تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[يوسف : ١٧] .

شرعًا : هو كلمة جامعة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره .

والإيمان الشرعى المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا . هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة (٢) .

* * *

(1) DAVID ROBRTSON . A Dictionary of Modern Defence and Strategy . - P . I93.

(٢) تفسير ابن كثير ، الجزء الأول ، ص ٤٠ .

٨ - التكتيك

هو فن استخدام القوات فى المعركة ، وهو فن القتال ٠ وهو يبحث موضوعات تنظيم وإدارة القتال للتشكيلات والوحدات من مختلف الأسلحة فى البر والبحر والجو ٠

* * *

٩ - الجغرافية السياسية

تنتمى الجغرافية السياسية فى الأصل إلى الجغرافية البشرية وهى أحد فروعها الأربعة الرئيسية (الجغرافية السياسية – الجغرافية الاقتصادية – جغرافية السكن – جغرافية السكان) وهى تقسم كغيرها من باقى فروع الجغرافية البشرية إلى عدة فروع متخصصة لاسيما منها : الجغرافية العسكرية وجغرافية الانتخابات وكغيرها من باقى الفروع الجغرافية تتناول الظاهرات المكانية التى بدورها تتفاعل مع الظاهرات البشرية السياسية فينتج عن هذا التفاعل فى العلاقات ظاهرات سياسية متباينة فى نسق بيانى يتطلب الفهم [١] ٠

وقد تطورت الجغرافية السياسية من منظور نظرى بحت إلى منظور تطبيقى منفعى يضع الخطط لمعيشة الإنسان السياسى على الأرض بين جماعات ما فى مكان ما لتأمين حاجاتهم الأساسية من تنظيم وغذاء ومأوى ٠ وقد ارتبط هذا التغيير بمطالب الأمن ودواعى السياسات القومية مما أدى إلى انحرافها عن مطالب الأمن لكل الجماعات إلى التخطيط لتأمين جماعات محددة والذى بدوره أدى إلى توقفها فترة سادت منها سياسة الأرض (الجيوبوليتيكا) التى رغم ما قيل فيها تبقى ممثلة للجانب العملى التطبيقى للجغرافية السياسية التى يرى البعض أن ميلادها الحديث فى أواخر القرن التاسع عشر اقترن بهذه الاتجاهات الجيوبوليتكية [٢] ٠

---

(١) الدكتور عبدالله عطوى ، الدولة والمشكلات الدولية ، دراسة فى الجغرافية السياسية ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٩٤ ، ص ١٥ ٠

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة ٠

ومنذ نصف قرن كان مفهوم الجغرافية السياسية أنها ترديد لقوائم من الوحدات السياسية وعواصمها ومراكزها ومدنها [1] . ولما كانت أية ظاهرة سياسية أو أى مظهر للتنظيم السياسى للمكان يعد موضوعا للدراسات الجغرافية السياسية طالما أن له تنظيما سياسيا فإن المفهوم المحدد للجغرافية السياسية أنها العلم الذى يهتم بدراسة الدولة وهى القوة المؤثرة فى حياة الإنسان اليومية ومختلف الأنشطة والوظائف التى تكون الإطار البشرى لمكان الإنسان من مختلف جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدفاعية والتنظيمية [2] . ولما كنا فى عالم يسوده الصراع أصبحت دراسة قوة الدولة داخل وخارج حدودها السياسية فى مقدمة اهتمامات الجغرافية السياسية [3] .

* * *

١٠ - الحرب

ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح أو مطالب متعارضة بين جماعتين من البشر .

ويعرف المنظر العسكرى الألمانى كلاوزفتز الحرب على أنها : « امتداد للسياسة بوسائل أخرى » وعمل عنف يقصد به إجبار خصومنا على الخضوع لإرادتنا [4] .

* * *

---

(1) Free man, T . W . , A Hundred years of Geography . Duk Worth , London 1961 .

(٢) محمد مرسى الحريرى ، دراسات الجغرافية السياسية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٣ ص ١٤ .

(٣) على عبد الخالق الجباوى ، الجغرافية السياسية ، مطبعة كلية الآداب ، جامعة دمشق ١٩٨٩ - ١٩٩٠ ، ص ٥ .

(٤) دكتور . عبد الوهاب الكيالى ، موسوعة السياسة (٢) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دار الكيالى ، ص ١٧٠ .

١١ - الحرب الباردة

حالة من حالات الصراع غير المسلح فى ظل وضع متوتر بين جانبين يستهدف كل جانب تقوية نفسه وإضعاف الجانب الآخر بكل الوسائل ماعدا وسيلة الحرب الساخنة ٠

الحرب الباردة هى إذن صراع تمتنع خلاله الأطراف المتنازعة عن اللجوء إلى السلاح الواحدة ضد الأخرى ٠

وقد استخدم هذا المفهوم للمرة الأولى من قبل الأمير خوان مانوئيل الأسبانى فى القرن الرابع عشر ، ثم من قبل الاقتصادى الأمريكى برنارد باروش فى مطلع عام ١٩٤٧ ، وأصبح تعبيرا شائعا مع الصحافى والتر ليبمان ويفهم منه بصورة عامة وصف حالة التوتر بين الدول الغربية والكتلة الشرقية التى حصلت بعد العام ١٩٤٥ على أثر الحرب العالمية الثانية ٠

وباختصار فإن الحرب الباردة هى سياسة القيام بإيقاع الشقاق فى العالم بكل الوسائل غير المستخدمة فى الحرب الفعلية مع عدم تورط الدول الكبرى فى صراع مع بعضها البعض (١) ٠

* * *

١٢ - الحرب الخاطفة (Blitzkrieg)

تترجم حرفيا بـ (Lightning War) أى الحرب السريعة المفاجئة كالبرق ولذا سميت بالحرب الخاطفة ٠ استخدمت بواسطة الجيش الألمانى كطريقة تكتيكية لغزو بولندا وفرنسا والاتحاد السوفيتى أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

ومفهومها يتركز فى التركيز على السرعة والمناورة فضلا عن تركيز القوة فى نقطة واحدة ٠

تتضمن معركة الحرب الخاطفة سلسلة من قوات الجيش (طوابير) تبحث

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ٠

عن أضعف نقط فى خطوط العدو وبواسطة استغلال هذه النقط الضعيفة تمر الوحدات منها إلى خلف خطوط العدو لتدمير اتصالاته وخطوط مواصلاته لإرباك خططه وهى تؤكد على تحاشى المواقع القوية بدلا من مواجهتها مباشرة . وهى لا تهدف إلى تدمير قوات العدو ومعداته بقدر ما تهدف إلى شل وعجز تنسيقه العسكرى بين قواته وإرباك خطوط مواصلاته وذلك بشن هجمات متعددة غير متوقعة ضد هذه المواصلات والمناطق الإدارية والأهداف الحيوية فى العمق (١) .

* * *

١٣ - الحرب الشاملة

اصطلاح يقصد به التعبير عن حالة الصراع المسلح الذى ينشب بين قوتين أو أكثر ويتم فيه استخدام كافة الأسلحة دون تمييز بين الأهداف المدنية والعسكرية ولكن لم يحدث عمليا خلال الحروب الحديثة استخدام شامل لكافة أنواع الأسلحة التقليدية أو النووية ضد مختلف الأهداف العسكرية والمدنية ولذلك فإن هذا الإصلاح الذى نشأ فى أعقاب الحرب العالمية الأولى أثر شيوع استخدام الطائرات فى القتال ومن ثم إمكان نقل الحرب بسرعة إلى المؤخرة عن طريق القذف الجوى أصبح يعنى وفقا لاستخدامه الأدبى الجارى الحرب التى لا تقف عند خط جبهة القتال فحسب وإنما تتعداها إلى العمق أو المؤخرة العسكرية والاقتصادية والسكانية بواسطة السلاح الجوى عادة .

وتندلع الحرب الشاملة عندما يكون هدف النزاع بين الطرفين كبيراً جداً وعندما يحس كل طرف بأن التخلى عن هدفه يشكل خسارة حيوية ويكون هذا النوع من الحروب عنيفا كبير التكاليف ولا ينتهى بعد خسارة معركة أو أكثر بل يستمر حتى يتم الحسم الاستراتيجى على أرض المعركة أو يتم انهيار الخصم بسبب ضغط الحرب (٢) .

* * *

---

(1) David Robertson , A Dictionary of Modern Defence and Strategy, Europa Publication limited , P . 41 .

(٢) الموسوعة العسكرية ، المجلد الاول ، ٦١١ .

١٤ - الحرب المحدودة

من الواضح أن الحرب المحدودة هى اصطلاح نسبى فقط يستخدم فى بعض الأحيان فى المناقشات الاستراتيجية ليعنى حقيقة أى شئ قصير من الحرب الاستراتيجية المركزية (هو وصف فنى لما يفكر فيه الكثيرون كمثال للحرب النووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يتم فيه تبادل الصواريخ البلاستيكية بعيدة المدى) [١] .

ويمكن اعتبار الحرب محدودة من خلال بعدين :

(المساحة ، وعدد المشتركين فيها أو الوسائل المستخدمة لشنها) .

وبعد ثالث متغير (قد يكون مهما) يشير إلى هدف الطرفين المتحاربين لهذا فإن الحرب العالمية الثانية لم تكن حربا محدودة ليس فقط لمداها الجغرافى ولكن أيضا لأن هدف الحلفاء كان الاستسلام غير المشروط لقوات المحور بينما يظهر أن هدف الحرب بالنسبة لألمانيا هو السيطرة الشاملة والدائمة على كل أوروبا .

فى العصور السابقة كانت الحروب تحارب لأهداف محدودة مثل حروب لويس الرابع عشر على سبيل المثال . كان هدفها المحدد هو : جعل نهر الراين الحد الشرقى لفرنسا .

فى الفترة الحديثة فإن الحرب المحــدودة على أكثر تشــبيه سوف تشير إلى المواجهة التى تحــدث ولا تتضمن القــوى العظمى أو إذا حدثت فإنها تقاتل (الحرب) بعيدا عن الجبــهة المركزية (الجبهة الألمانية) ولا تتضمن أسلحة نووية .

المشكلة مع المفهوم أن الحرب تكون فقط محدودة من وجهة النظر الخارجية لذا على سبيل المثال فإن كثير سوف يعتبر الحروب العربية الإسرائيلية كحروب محدودة فهى تتضمن قوات دبابات ولا تستخدم أسلحة نووية أو كيميائية وهى محدودة (قصيرة) من الناحية الجغرافية وهى قصيرة فى المدة ومع ذلك (أو من

---

(1) David Ropertson , op . cit . pp . I82 - 183 .

وجهة النظر الأخرى) فإن القيادة الإسرائيلية العليا لا تنظر إليها كأنها حروب محـدودة طالما الوجود لدولة إسرائيل مستمرا (طالما بقيت إسرائيل على قيد الحياة) .

* * *

١٥ - الحرب الوقائية

تعبير يقصد به تلك الحروب التى يشنها طرف فى ظل قناعته بأن النزاع العسكرى مع طرف آخر لا يمكن تجنبه . وفى حين تفترض الحرب الوقائية كذلك اقتناع الطرف البادىء بالحرب بأنها ليست وشيكة فإنه يكون مقدراً أن التأخير فى شنها يؤدى إلى مخاطرة أكبر على صعيد نتائجها المتوقعة .

ويميز المنظرون بين تعبير وقائية وتعبير (استباقية) أو (بالشفعة) الذى يرتبط فى معظم الأحيان بكلمة هجوم أو ضربة (Attack , Strike) ويستخدم التعبير الأخير للدلالة على أن هجوم الخصم وشيك ولذا تم استباقه بضربة أولى .

وتلجأ الدول فى كثير من الأحيان إلى وضع مجموعة من الشروط والمتغيرات التى تدفعها فى حالة وقوعها إلى شن حرب وقائية وهى بذلك تسهل عملية اتخاذ القرار كما تردع الخصم عن القيام بمجموعة خطوات متعارضة ومصالح الدول المعنية [١] .

* * *

١٦ - الدفاع الاستراتيجى (Strategic Defence)

هو مزيج من الأعمال العسكرية المنسقة ذات الطبيعة الدفاعية بصفة عامة تقوم بتنفيذها وإدارتها القوات البرية وباقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة المقاتلة والمعاونة وذلك على جميع / غالبية الاتجاهات الاستراتيجية المتاحة فى مسرح العمليات وذلك طبقا لفكرة الاستخدام الاستراتيجى للقوات المسلحة والتى تهدف إلى إحباط وصد واحتواء هجمات وضربات العدو فى البر والبحر والجو وتكبيده أكبر خسائر ممكنة واستنزاف طاقاته وقدراته مع تهيئة أنسب

(١) الموسوعة السياسية ، المجلد الثانى ، ص ١٢٦ .

الظروف المواتية لانتزاع المبادأة الاستراتيجية من العدو والتحول إلى استئناف الأعمال الهجومية الاستراتيجية .

وهو جوهر وأسلوب تنفيذ الاستراتيجية العسكرية للدولة فى مرحلة ما تقوم فيها الدولة باتخاذ استراتيجية عسكرية دفاعية لتأمين حدودها الدولية ضد عدائيات مباشرة من الدول المجاورة أو عدائيات غير مباشرة .

قد يكون الدفاع الاستراتيجى هو جوهر الاستراتيجية العسكرية لحلف عسكرى معين سواء فى مسرح الحرب بصفة عامة أو فى أحد مسارح العمليات بصفة خاصة .

ويهدف الدفاع الاستراتيجى بصفة عامة إلى تأمين وصد وإحباط هجمات وضربات العدو البرية والبحرية وتكبيده أكبر خسائر ممكنة واستنزاف طاقاته وقدراته فى تهيئة أنسب الظروف المواتية لانتزاع المبادأة الاستراتيجية من العدو والتحول إلى استئناف الأعمال التعرضية لاستعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل بدء العدوان / الغزو .

(تهيئة أنسب الظروف للتحول إلى استئناف الأعمال الهجومية الاستراتيجية) .

* * *

١٧ - الرباط

الرباط هو الإقامة فى الثغور وهى الأماكن التى يخاف على أهلها من أعداء الإسلام ، والمرابط هو المقيم فيها المعد نفسه للجهاد فى سبيل الله والدفاع عن دينه وإخوانه المسلمين .

* * *

١٨ - الرد المرن (Flexible Response)

تعنى استراتيجية الرد المرن أن تهيىء لكل عمل معاد ردًّا يتلاءم معه بقوة كافية لإحباط خطة الخصم إلا أنها لا تجازف إلا بكمية ضرورية من القوات سوى أن هذه الاستراتيجية لا تعنى أن يكون سلوكنا مماثلا لسلوك العدو (فمن

الممكن فعلا أن نرد على هجوم تقليدى بدفاع ذرى تكتيكى ، وبعمل ذرى استراتيجى محدود أحيانا) ولكن هذه الاستراتيجية تعنى دراسة كل حالة حسب أهميتها وطبقا لما تستحق ، وعدم اللجوء إلى الرد الكثيف إلا فى آخر المطاف .

وتحاول هذه الاستراتيجية أن تكون فعالة فى الرد مع الحفاظ على تحديد النزاع . وغرابة هذه الاستراتيجية أنها تؤمن التوافق بين المعركة العسكرية المحلية والردع العام لإبقاء النزاع داخل حدود معينة وباحتفاظها بالتهديد وبالرد الشامل كاحتياط فإنها تحتفظ بقسط كبير من قيمة الردع الاستراتيجية (زمن السلم) . وبما أن الردع سيكون ثنائى الطرف ، فإن كلا الخصمين سيتجه إلى تحديد النزاع . وإذا لم تحدث أخطاء وبقى هدف النزاع محدوداً بصورة كافية يتم الصراع دون (تصعيد إلى الحدود القصوى) . وينبغى فى هذه اللعبة الخطرة أن تتجنب تحول حادث محلى وتطوره إلى حرب عامة .

ولهذا فإن لهذه الاستراتيجية عقبات متتابعة ينبغى عدم اجتيازها إلا بقرارات سياسية خاصة ومن هنا يولد تكتيك خاص بهذه الاستراتيجية يتضمن عدم اجتيازها ، وتصبح الحرب فى هذه الاستراتيجية كسلم متعدد الدرجات (حوادث ، حروب تقليدية ، ضربات ذرية تكتيكية ، استراتيجية محدودة ، استراتيجية شاملة ... الخ) ويأمل الطرفان عند النزاع حسم اختبار القوة على إحدى هذه الدرجات الوسيطة .

وقد اعترضت البلدان التى أحست بأن أراضيها ستكون مسرحًا لهذه العمليات على هذه الاستراتيجية ، لأنها لا تريد تحويل أرضها إلى مسرح للعمليات الذرية المحتملة ، وهى تقبل التضحيات فى حالة حرب عامة لا فى حالة حرب محدودة . وهناك اعتراض آخر على مثل هذه الاستراتيجية يمس الردع وقوانينه فقبول النزاع المحدود دعوة للقيام به ، وتقليص للردع بالتالى ومع نشوب النزاع المحدود تزداد مخاطر التصعيد إلى الحدود القصوى [1] .

* * *

---

(١) الموسوعة العسكرية ، المجلد الثانى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص ٨٤١ .

١٩ - الردع

يعرف الردع بأنه توفر القدرات التى تتيح اتخاذ إجراءات لإقناع الطرف الآخر وإرغامه على التراجع عن سلوك معين أو أهداف يتوخاها منه مثل انتهاج سياسة عدوانية تضر بمصالح الدولة الرادعة ٠ وتتضمن فكرة الردع والتهديد بالعقوبة وإلحاق خسائر فادحة تفوق الفوائد التى يتوقع الحصول عليها من الإقدام على تنفيذ سياسته [١] .

ويهدف الردع إلى منع العدو من التفكير فى استخدام أسلحته وذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات بحيث يشكل تهديداً كافيا يحقق الردع ٠ إن أهم فائدة يقدمها الردع تكمن فى احتمال إلقاء الحرب كأداة للسياسة الخارجية بحيث يصبح استعمال الأسلحة ذات المفعول التدميرى أمراً غير مرغوب / مقبول فى العلاقات الدولية ٠

* * *

٢٠ - السرية

هى طائفة مختارة من الجيش أقصاها أربعمائة [٢] .

وقد تكون فرداً واحداً أو أكثر يقودها أحد أفراد المسلمين بتكليف من الرسول - ﷺ - وقد كلفت السرايا بمهام قتالية كالإغارة والكمائن وبمهام خاصة كالاستطلاع والدعوة والاغتيال ٠

كانت سرية حمزة بن عبد المطلب أول مهمة فى شهر رمضان من العام الهجرى الأول بعد هجرة الرسول - ﷺ - إلى يثرب بستة أشهر ٠

أما الغزوة فهى قوة تضم عددا غير ثابت من الأفراد قاده الرسول - ﷺ - بنفسه من أجل تنفيذ مهمة سياسية أو قتالية رئيسية ٠

ويبلغ إجمالى عدد الغزوات والسرايا فى العهد النبوى حوالى ثمانين غزوة

---

(١) لمزيد من التفاصيل ، انظر المرجع السابق ، ص ٨٤٢ - ٨٤٥٠

(٢) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، دار المعارف بمصر ، الطبعة العاشرة ص ٢٥٥ ٠

وسرية على أرجح الأقوال قاد رسول الله – ﷺ – منها حوالى سبعة وعشرون غزوة (على أرجح الأقوال) (١) .

وقاد الرسول – ﷺ – أول غزوة « غزوة الأبواء » فى شهر صفر من العام الهجرى الثانى وكانت آخر غزوة (غزوة تبوك) فى شهر رجب من العام التاسع الهجرى ، بينما كانت آخر السرايا سرية على بن أبى طالب فى شهر رمضان من العام العاشر الهجرى ، وكان الرسول – ﷺ – قد أمر بتشكيل سرية أسامة بن زيد بن حارثة فى شهر صفر من العام الحادى عشر الهجرى ، إلا أنه – ﷺ – توفى فى شهر ربيع الأول قبل خروج السرية وتولى أبو بكر الصديق دفعها بعد خلافته ورغم أهمية سرية أسامة البالغة فإن مراجع التراث لا تعدها من بين سرايا العهد النبوى (٢) .

* * *

٢١ – السياسة

كلمة (السياسة) مشتقة من (ساس) ، (يسوس) بمعنى : « تدبير شئون الناس وتملك أمورهم والرياسة عليهم ونفاذ الأمر فيهم » ، وتستخدم للدلالة على معانى القيادة والرئاسة ، والمعاملة ، والحكم والتأثير والتربية والترويض .

ومن أهم التعاريف للسياسة ما يلى :

(أ) هى « النشـاط الاجتماعى ، الفريد من نوعه ، الذى ينظم الحياة العامة ، ويضمن الأمن ويقيم التوازن والوفاق ، من خلال القوة الشرعيه والسيادة بين الأفراد والجماعات المتنافسة والمتصارعة فى وحدة الحكم المستقلة على أساس

---

(١) محمد صلاح الدين كامل ، أسس تحديد وتحديث مبادىء الحرب لدى المدارس العسكرية التقليدية والإسلامية ، وتعيين أنسبها للقوات المسلحة المصرية – دراسة مقارنة – رسالة مقدمة إلى أكاديمية ناصر العسكرية العليا لنيل درجة الدكتوراه فى فلسفة العلوم العسكرية عام ١٩٩٧ ، ص ٧٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٠٤ .

علاقات القوة ، والذى يحدد أوجه المشاركة فى السلطة بنسبة الإسهام والأهمية فى تحقيق الحفاظ على النظام الاجتماعى وسير المجتمع ٠

(ب) يعرف أرسطو الفيلسوف اليونانى السياسة بأنها :

« علم السيادة وسيدة العلوم فهى سيدة كممارسة لأنها تعنى بالمسائل الحيوية فى المجتمع ، مثل تحديد الأولويات الاجتماعية ، وكيفية توزيع وتوجيه الموارد والثروة ، وتحديد حقوق المواطن وواجباته الاجتماعية ، ووجهة الثقافة وقضايا السلم والحرب ٠٠٠ إلخ » ٠

وهى سيدة العلوم كدراسة وأفكار تعنى بتوضيح المفاهيم (العدل ، الحرية ، الحق) وتحديد الغايات والوسائل والخيارات ومقارنة البدائل وبالتالى تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر فى اعتماد الخيارات والحكم عليها ٠

* * *

٢٢ - السياسات

هى « قرار مسبق أو دليل عام سبق إقراره ويستخدم كمرشد لاتخاذ القرارات الإدارية فى المستقبل ، وهى مجموعة من المبادىء والقواعد العامة التى يتم بمقتضاها وضع الحدود التى يتم على أساسها تحديد الاتجاه والتصرف واتخاذ القرارات والسياسات العليا » ٠

* * *

٢٣ - السياسات العليا

هى السياسات التى تضعها الإدارة العليا لتحقيق الأهداف الاستراتيجية وتتم فى إطار السياسات الأساسية وتتصل بأعمال المنظمة ككل ، وترتبط إلى حد كبير باستراتيجيتها ٠

* * *

٢٤ - السياسة العسكرية

من أهم مفاهيم السياسة العسكرية الآتى :

(أ) هى الإطار الذى يحدد اتجاهات الاستراتيجية العسكرية وخطوطها العامة وهى حلقة الاتصال بين الجانب المدنى والجانب العسكرى فى الدولة وهى

التى تنظم وتنسق العلاقة بين مختلف السياسات التخصصية للدولة وبين القوة العسكرية ودورها واستخدامها وحجمها وصولا إلى تحقيق الهدف السياسى العسكرى للدولة وتبنى السياسة العسكرية على ضوء إجراءات التنسيق مع السياسات التخصصية الأخرى للدولة مع السياسة الخارجية والسياسة الداخلية حتى يمكن تحديد أعدائها المنتظرين وصورة الحرب المتوقعة ، التى بناء عليها تبنى قواتها المسلحة بالكم والكيف المناسبين للمهام التى ستناط بها (وجهة نظر الغرب) .

(ب) « تعتبر السياسة العسكرية محددات العمل للقوات المسلحة لتحقيق مهامها الاستراتيجية على أساس الاحتفاظ بقوات مسلحة قومية قادرة على حماية الدولة ضد أى تهديد أو اعتداء براً وبحراً وجواً فى أى وقت من الأوقات مع الاستعداد لتقديم الدعم للدول الشقيقة بناء على قرار القيادة السياسية فى إطار العمل العربى المشترك وتحت مظلة الجامعة العربية وبشرط أن يوجه الطلب رسميا إلى جمهورية مصر العربية من الدول الطالبة للدعم » (وجهة نظر جمهورية مصر العربية) [1] .

(جـ) السياسة العسكرية هى « فن الاستخدام السياسى للقوة العسكرية بالتعاون مع باقى قوى الدولة الأخرى خاصة تلك السياسية منها وذلك بهدف تحقيق الأهداف القومية للدولة ، وعليه فإن السياسة العسكرية تعتبر إحدى مكونات السياسة العامة للدولة . وتوضع السياسة العسكرية للدولة لخدمة هدفها السياسى العسكرى الذى يتم وضعه بواسطة القيادة السياسية للدولة بالاشتراك مع القيادة العسكرية » [2] .

(د) هى مجموعة من المفاهيم والآراء العلمية المدروسة عن طبيعة الحرب والمهام العسكرية للدولة وطرق تنفيذها ووجهات نظر الدولة لبناء قواتها المسلحة

---

(١) المشير حسين طنطاوى ، وزير الدفاع لجمهورية مصر العربية ، الأهرام ، أكتوبر ١٩٩٦ .

(٢) محمد رضا فوده ، الأسلوب العلمى الحديث لبناء القوات المسلحة ، مجلة الحرس الوطنى ، مارس ١٩٩٠، ص ٣٩ .

وإعداد الدولة للحرب وهى انعكاس لسياسة الدولة فى المجال العسكرى ويتم وضعها بواسطة القيادة السياسية يساعدها فى ذلك أجهزة القيادة العسكرية العليا (وزارة الدفاع / القيادة العامة) ٠

* * *

٢٥ - الشهيد

« الشهيد فى الإسلام هو الذى ضحى بنفسه من أجل إعلاء كلمة الله ، ومن أجل خدمة دينه ووطنه ومجتمعه ، ولقد ورد فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ ما يدل على أن الشهيد له أجره العظيم عند الله عز وجل » [١] ٠

* * *

٢٦ - الصلح

يجوز للمسلمين أن يصالحوا من أعدائهم من شاؤوا ، إذا اضطروا إلى ذلك وكان الصلح يحقق لهم فوائد لم يحصلوا عليها بدونه ، فقد صالح النبى ﷺ أهل مكة صلح الحديبية ، كما صالح أهل نجران على أموال يؤدونها ، وصالح أهل البحرين على أن يدفعوا له جزية معينة وصالح اكيدر دومه (اكيدر : عربى غسانى) وفى هذا دليل على أن الجزية تؤخذ من غير أهل الكتاب كما هو مذهب مالك - رحمه الله - فحقن دمه على أن يدفع الجزية ٠

روى البخارى والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف أن النبى ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر (وهذا مذهب مالك والأوزاعى وفقهاء الشام) وقال الشافعى - رضى الله عنه - : « تقبل من أهل الكتاب عربا كانوا أم عجما ويلحق بهم المجوس ولا تقبل من عبدة الأوثان على الإطلاق » ، وقال أبو حنيفة - رضى الله عنه : « لا يقبل من العرب إلا الإسلام أو السيف » ٠

وروى الترمذى أن النبى ﷺ أخذها (الجزية) من مجوس البحرين وأخذها عمر - رضى الله عنه - من فارس ، وأخذها عثمان من الفرس والبربر ٠

* * *

---

(١) محمد سيد طنطاوى ، مفتى جمهورية مصر العربية ، منزلة الشهيد فى الإسلام ، مجلة المجاهد ، العدد ١٠٠ ، مارس ١٩٨٩ ٠

٢٧ - العلم

هناك تعاريف عديدة (للعلم) وسوف نقتصر هنا على أهم هذه التعاريف :

١ - « العلم هو المعرفة المنسقة (Systematized Knowledge) التى تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب ، والتى تتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس وأصول ما تتم دراسته » (١) .

(ب) « العلم هو فرع من فروع المعرفة أو الدراسة ، خصوصا ذلك الفرع المتعلق بتنسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بواسطة التجارب والفروض » (٢) .

(جـ) « العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذى يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة والتى تحكمها قوانين عامة وتحتوى على طرق ومناهج موثوق بها ، لاكتشاف الحقائق الجديدة فى نطاق هذه الدراسة » (٣) .

٤ - أما سير جيمس هوبوود جيتز فيعتقد بأن العلم يعلمنا كيف نعرف وأن الفن يعلمنا كيف نعمل (٤) .

* * *

٢٨ - العلم العسكرى

هو مجموع علوم نظام الحرب وطرق التحضير لها وإدارتها ويبحث عن الآتى :

(أ) طبيعة الأعمال العسكرية للحروب المقبلة .

---

(1) Webster's New Twentieth Century Dictionary of English Language , 1960 .P . !622

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(3) Shorter Oxford English Dictionary , 1961 , P . 1806 .

(4) jeans , Sir James Hopwood . The Mysterious Universe The Macmillan Co , New York , 1931 .

(ب) قوانين الحرب .

(جـ) طرق إدارة الأعمال العسكرية .

(د) مبادئ فن الحرب .

(هـ) يضع الأسس النظرية والتوصيات العلمية لحل مشاكل بناء القوات المسلحة وإعدادها .

وينقسم العلم العسكرى إلى :

(أ) علوم عسكرية عامة .

(ب) علوم عسكرية خاصة .

(جـ) علوم عسكرية فنية .

ويضاف أن الإلمام بعلم الحرب ليس معناه الإلمام فقط بطرق إدارة الحرب أو الفن العسكرى ، بل يجب أيضا دراسة العلوم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة والعدو ووضعها فى عين الاعتبار ولذلك يجب دراسة علم السياسة العسكرى والاقتصاد العسكرى وعلم النفس العسكرى والاستفادة من التاريخ العسكرى .

والعلم العسكرى : يتناول كل ما له علاقة بالحرب المقبلة .

والتاريخ : يتناول الحروب السابقة .

* * *

٢٩ - العقيدة

من أهم المفاهيم الخاصة بكلمة العقيدة الآتى :

(أ) العقيدة لغويا هى : « الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده »[١] .

---

(١) المعجم الوسيط ، الجزء الثانى ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثالثة ، ص ٦٣٧ .

وفى الدين : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل .

(ب) العقيدة هى : « التصديق بالشىء والجزم به دون شك أو ريبة فهى بمعنى الإيمان يقال : أعتقد فى كذا أى آمن به والإيمان بمعنى التصديق يقال آمن بالشىء أى صدق به تصديقا لا ريب فيه ولا شك معه »[1] .

(جـ) العقيدة هى : « ما ينطوى عليه القلب والضمير وأنها مجموعة القيم والمبادىء التى يؤمن بها مجتمع ما ، وتحدد سلوكه وتوجه سياسته ، وبمعنى آخر أنها مجموعة القيم والأفكار والمعتقدات التى يلتف حولها مجموعة من الناس يناصرونها ويلتزمون بها فى سلوكهم »[2] .

(د) وهى أيضا : « مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ويثنى عليها صدره جازمًا بصحتها قاطعًا بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدًا . وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه وعلمه به وقدرته عليه ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ومجازاته إياه على كسبه الاختيارى ، غير الاضطرارى وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامر ونواهٍ عن طريق رسله وكتبه طاعة تزكو بها نفسه وتتهذب بها مشاعره وتكمل بها أخلاقه وتنتظم بها علاقته بين الخلق والحياة »[3] .

* * *

٣٠ - العقيدة العسكرية

من أهم تعاريف العقيدة العسكرية الآتى :

(أ) هى « السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح ،

---

(١) السيد سابق ، العقائد الإسلامية ، توزيع الفتح للإعلام العربى ، القاهرة ، ص ٨ .

(٢) أحمد على مرسى ، الثقافة والعقيدة ، الندوة الاستراتيجية السادسة ، ص ٦٥ .

(٣) أبو بكر جابر الجزائرى ، عقيدة المؤمن ، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة ثانية ، عام ١٩٧٨ ، ص ٢١ .

وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها (من وجهة نظرها) وطرق إدارتها والأسس الجوهرية لإعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب » [١] .

(ب) « أنها مجموعة القيم والمبادئ التى تهدف إلى إرساء نظريات العلم العسكرى وعلوم فن الحرب وتحدد بناء واستخدام القوات المسلحة وقت السلم والحرب بما يحقق الغايات والأهداف الوطنية للدولة » [٢] .

(جـ) « هى مجموعة من القواعد العامة التى تبين أهم مصادر التهديد للمصلحة الوطنية لدولة ما وترتب هذه المصادر حسب درجة خطورتها وتوضح وسائل التصدى لها فى كافة المجالات وخصوصا ما يستدعى لها أن تستخدم القوات العسكرية » [٣] .

(د) « هى فن وعلم إعداد واستخدام القوات المسلحة للدولة بغرض تأمينها وتنظيم إدارة الصراع المسلح لتحقيق العقيدة السياسية للدولة » [٤] .

* * *

٣١ - الغاية القومية العليا

إن الغايات القومية هى : عادة القيم والمصالح التى فى سبيلها تدخل الدولة الحرب وهذا ما عبر عنه مفكرو الأمن القومى بأنها القيم الجوهرية (Core Value) أو هى المصالح الحيوية (Vital Interests) .

وبوجه عام هى القيم أو المصالح التى لا تقبل الدولة التضحية بها حتى فى سبيل تجنب الحرب حيث إنها ذات تأثير حاد ومباشر على الأمن القومى للدولة وتندرج هذه القيم الجوهرية أو المصالح الحيوية تحت مسمى الغاية القومية

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، دعوة الأمة الإسلامية لتدريس العسكرية الإسلامية فى معاهدها ، مجلة الأزهر ، مارس - إبريل ١٩٨٦ .

(٢) لواء أ . ح / مصطفى جودت العباسى ، العقيدة العسكرية للدولة (دولة ما) مجلة الدفاع ، العدد الثانى عشر ، مايو ١٩٨٧ .

(٣) العقيدة العسكرية ، كلية الحرب العليا ، أكاديمية ناصر العسكرية العليا .

(٤) المرجع السابق .

العليا National Purpose ، حيث تكون غاية الدولة العليا هي الحفاظ على تلك القيم الجوهرية أو تلك المصالح الحيوية .

وتقع مسئولية تحديد تلك الغاية القومية العليا على القيادة السياسية للدولة ،ويقاس نجاح هذه القيادة بمدى شرح وإيضاح تلك الغاية وكسب الإجماع حولها من كافة الاتجاهات في الدولة بحيث تكون هذه الغاية في الواقع اسما على مسمى فتكون قومية قبل أن تكون فئوية أو حزبية ، أو دينية أو عرقية وأن تكون تلك الغاية القومية العليا مصدراً رئيسيا لسياسة الدولة (١) .

* * *

٣٢ - الفتح الاستراتيجى

يعنى بالفتح الاستراتيجى ، كل إجراءات التقـــدم وإعادة التجميع والفتح لبنـــاء التجميعات الاستراتيجـية فى المسرح (المسارح) أو على الاتجاه (الاتجاهات) الاستراتيجى والمسبق تخصيصها والقادرة على إدارة العمليات الاستراتيجية طبقا لفكرة الاستخدام الاستراتيجى للقوات المسلحة وبناء على ذلك فإنه بتنفيذ تلك الإجراءات يتم بناء التجميع المحدد وبتمام الفتح يكون ذلك التجميع قادر على إدارة العمليات (العملية) فى المسرح (على الاتجاه الاستراتيجى) وباختصار يعتبر الفتح الاستراتيجى هو بناء التجميعات الاستراتيجية فى مسرح العمليات .

* * *

٣٣ - الفدائية فى الإسلام

إن الفداء هو استعداد الإنسان للتضحية بكل عزيز ورخيص وغال ونفيس فى سبيل عقيدته . وتحرير وطنه وبذل ما يملك من روح ومال وأبناء .

وكلمة فداء فى اللغة العربية لها دلالة واضحة على جعل شئ مكان شئ

---

(١) أحمد شوقى الحفنى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩ .

يحميه ، تقول : فديته أفديه كأنك تحميه بنفسك أو بشئ يعوض عنه ، فتقول فديته بمالي وفديته بأبي وأمي ومن هنا جاءت ووردت كلمة الفدية وهي ما يحمي به المرء نفسه من إطعام مساكين أو كسوتهم أو دفع مال لهم يسدون به حاجتهم وفاقتهم ، وذلك مثل كفارة الصوم أو كفارة اليمين أو غيرها .

والدافع الحق إلى الفداء الصادق هو الإيمان العميق واليقين الأعمق بالغيرة على حرمة العقيدة وحرية الوطن وانتهاك العرض والأرض وضياع الحق المسلوب . والفدائي أمام هذه الحقوق يفتديها ويحميها خالصا مخلصا لا يريد نفعا ولا جزاء ولا شكورا ولا يريد إشهارا ولا ذكرا ولا شهرة ويندفع بكل ما أوتي من قوة لغسل العار الذي لحق بوطنه بائعا نفسه لله رب العالمين وقال تبارك وتعالى في سورة التوبة :

﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ،وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة : ١١١] (١) .

* * *

٣٤ -الفن التعبوى

يختص بنظرية وتطبيق إعداد وإدارة عمليات التشكيلات التعبوية لأفرع القوات المسلحة في الحرب .

وهي ما يعبر عنها بالتكتيكات الكبرى في الغرب وهي تختص بالعمليات العسكرية التي تقوم بها مجموعات عسكرية كبيرة .

* * *

---

(١) عبد المطلب صلاح ، الصحابي حنظلة بن أبي عامر ودور الفدائيين في الإسلام ، منبر الإسلام ، العدد ٩ السنة ٤٠ ، يوليو ١٩٨٢ - رمضان ١٤٠٢هـ ، ص ٧٩ .

٣٥ - القاعدة

القاعدة لغة هى : أساس الشئ والأصل الذى ينبنى عليه غيره ، سواء كان هذا البناء حسيا أو معنويا (١) .

والقاعدة اصطلاحا هى : الحكم الكلى المنطبق على الجزئيات المندرجة تحت مفهومها من الفروع الكثيرة المختلفة (٢) .

قام التشريع الإسلامى على ثلاثة أنواع رئيسية من القواعد هى :

القواعد الشرعية ، القواعد الأصولية ، والقواعد الفقهية .

القواعد الشرعية :

هى الأسس التى بنيت عليها الشريعة الإسلامية وتنحصر جميعها تحت هدف واحد للتشريع الإسلامى وهو تحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد والمضار عنهم ولهذا تقررت فى الشريعة عدة قواعد منها التدرج فى التشريع والتيسير ورفع الحرج وعدم التكليف بما لا يطاق وغير ذلك من القواعد الأخرى والواقع إن هذا النوع من القواعد يعبر عن روح وجوهر وغاية المنهج الإسلامى .

* * *

٣٦ - المصابرة

المصابرة : هى فعالية الشدائد التى تقع بينك وبين غيرك إلى أن تخر صريعا فى صفوف القتال ، فى كفاح الظلم والمنكر ، فى كفاح البغى (تعنى التصدى ، وبغى عليه استطال وإفراط على القرار الذى هو حد الشئ) والعدوان فى تقويم عوج النفس وانحرافها ، فى فك أغلال الجمود ودفع الأفكار التحللية الضارة فى هذا ونحوه تكون المصابرة .

* * *

٣٧ - المصالح القومية (الحيوية)

من التعبيرات الشائعة بين الدارسين للعلاقات الدولية ويشير إلى : الأغراض

---

(١) د . سعاد إبراهيم صالح ، مختارات من قواعد الفقه الكلية ، ص ٨ .

(٢) بدر الدين أبو بكر سليمان ، الاعتناء فى الفرق والاستثناء ، الجزء الأول ، ص ٨ .

والأهداف الدولية الى تبذل الدول أقصى ما فى وسعها لتحقيقها • وإذا كان هذا التعبير « المصالح القومية » يشوبه بعض الغموض ويثير كثيرا من التساؤلات حتى بين الدارسين أنفسهم عن مدى صلاحيته وفائدة المفهوم نفسه • ولذا من الأفضل استخدام (الأهداف) كبديل عن (المصالح القومية) وتعنى : الأهداف القومية : الأوضاع والظروف الدولية التى تخلقها الحكومة من أجل المحافظة على سلوك الدول الأخرى أو التغيير فيها بما يتلاءم مع متطلباتها •

العنصر الأساسى لمفهوم (الهدف) هو (القيمة) ، فالأهداف والأغراض الأساسية للدولة عادة ما تنبع من قيم ومداولات قومية أساسية [1] :

* * *

٣٨ - المنهج (METHOD)

« هو الطريق التى يتبعها الباحث فى دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة ، وأن هذا العلم الذى يبحث فى هذه الطرق هو علم المناهج ، وإن هذا العلم قد يكون على يد العلماء المتخصصين والفلاسفة إذ هما يتبعان طريقة واحدة متكاملة إلى المعرفة » [2] •

ومن ضمن هذه المناهج ، المنهج الوصفى والمنهج التاريخى وهما ما تم استخدامهما فى هذه الدراسة :

(أ) المنهج الوصفى :

ويتضمن هذا المنهج أشكالا كثيرة وهى :

١ - المسح •

٢ - دراسة الحالة •

٣ - تحليل الوظائف والنشاطات •

---

(١) أحمد شوقى الحفنى ، الأمن القومى والاستراتيجية القومية (الأسس والمفاهيم النظرية) ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٨٤ ، ص ٨٦ •

(٢) أحمد بدر ، أصول البحث العلمى ومناهجه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، توزيع مكتبة غريب ، جمهورية مصر العربية ، الفجالة ، ص ٢٨ •

٤ – الوصف المستمر على مدى فترة طويلة (وهى دراسة تتبعية لمراحل معينة من النمو والتطور) ٠

٥ – البحث المكتبى والوثائقى (حيث لا يهدف البحث المكتبى إلى مجرد إعداد قوائم بيولوجية وإنما يتضمن تقييم الحقائق المتعلقة بموضوع معين ومقارنتها وتفسيرها والوصول إلى تعميمات بشأنها) ٠

أى أن هذا المنهج يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة ٠

(ب) المنهج التاريخى :

وهذا المنهج يعتمد على الوثائق ونقدها وتحديد الحقائق التاريخية ثم يحاول الباحث بعد مرحلة التحليل هذه ، مرحلة أخرى هى التركيب حيث يتم التأليف بين هذه الحقائق وتفسيرها ٠ وذلك كله من أجل فهم الماضى ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية ٠

* * *

٣٩ – الهدنة

يجوز عقد هدنة مع المحاربين ، إذا كان فى ذلك تحقيق مصلحة محققة للمسلمين ، فقد هادن رسول الله – ﷺ – فى حروبه كثيرا من المحاربين ومن ذلك مهادنته ليهود المدينة عند نزوله بها ، حتى نقضوها وغدروا به – ﷺ – فقاتلهم وأجلاهم عنها ٠

وعقد الهدنة والموادعة هو اتفاق على ترك القتال فترة من الفترات الزمنية قد تنتهى إلى صلح ٠

* * *

٤٠ – سياسة الدولة

« السلوك الذى تسلكه الدولة فى الداخل والخارج لتحقيق الأهداف السياسية التخصصية لها من خلال مجموعة سياسات تخصصية » ٠

* * *

٤١ - سياسة التسليح

هى الخط العام الذى ترسمه الدولة وتحدد على أساسه الخطط والتدابير الرامية إلى تزويد قواتها المسلحة فى زمن السلم بأحدث الأسلحة والمعدات وذخائرها وقطع غيارها وفق التصور المسبق لطبيعة الحرب التى ستخوضها ، وتأمين الحاجات التسليحية لتلك القوات فى زمن الحرب بكمية ونوعية تتناسبان مع التسليح المعادى وتطوره ، وتكملان النقص الناجم عن الخسائر والاستهلاك [١] .

* * *

٤٢ - سياسة الدفاع

هى السياسة الهادفة إلى رسم وتطوير كل الوسائل الكفيلة بتأمين الحفاظ على الوطن وسيادته وأمنه القومى ، وتترجم سياسة الدفاع إرادة الحكام بمواجهة كل خطر يهدد إقليم الأمة ومصالحها الحيوية . وعلى سياسة الدفاع فى أيامنا الحالية أن تأخذ بعين الاعتبار التحولات العميقة التى عرفتها ظاهرة الحرب منذ القرن الماضى . ظهور الحرب الشاملة (١٩١٤ - ١٩١٨) التى تتطلب بالضرورة تعبئة شاملة للموارد العسكرية والبشرية والاقتصادية للأمم ، كذلك ولادة العصر الذرى (١٩٤٥) الذى يزيد أيضا من أهمية العوامل الصناعية والتكنولوجية ويفرض على الدول القادرة على امتلاك السلاح النووى مجهودا هائلا فى المضمار العلمى والمالى وإلى جانب خطر التهديد النووى الذى تستجيب له اليوم الاستراتيجيات الردعية ، توجد أيضا أشكال ضغط أخرى (الأيديولوجيات ، الاقتصاديات .. إلى آخره) تفرض على سياسة الدفاع أن تكون قادرة على تحريك مجموع قطاعات [٢] النشاطات فى الدولة .

* * *

---

(١) دكتور . عبد الوهاب الكيلانى ، الموسوعة العسكرية ، المجلد الرابع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ٥٦٩ .

(٢) دكتور . عبد الوهاب الكيلانى ، موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الجزء الثالث ، بيروت ، عام ١٩٨٣ ، ص ٣٨٧ .

٤٣ - سياسة القوة البشرية العسكرية

يشير اصطلاح « سياسة القوة البشرية العسكرية ، بصفة عامة إلى الطريقة التى يزود بها المجتمع مؤسساته العسكرية بالقوة البشرية وكيفية الاستفادة منها والمحافظة عليها .

وتهدف سياسة القوة البشرية إلى تدبير الأفراد اللازمين طبقا للميزانيات بالأعداد والرتب والدرجات والتخصصات والمهن المخصصة المقررة بها واستكمال النقص فى حينه ، وكذلك العمل فى نفس الوقت على بناء كوادر من الأفراد ولجميع الرتب والدرجات والتخصصات بما يغطى خطة التعبئة واستعواض الخسائر .

* * *

٤٤ - فن الحرب

هو الفرع الرئيسى للعلم العسكرى ويعرف بأنه نظرية وتطبيق تحضير وإدارة المعارك والعمليات والصراع المسلح بوجه عام باستخدام جميع الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وأسلحتها وكذلك التأمين الشامل لأعمال القتال ، ويشمل الاستراتيجية العسكرية والفن التعبوى والتكتيك .

* * *

٤٥ - كلاوزفيتز (Clausewitz)

هو كارل فون كلاوزفيتز (Karl Von Clausewitz) مفكر عسكرى له شهرة كبيرة وذو نفوذ وسلطة فى التاريخ الغربى من عام (١٧٨٠ - ١٨٣١) .

هو جنرال بروسى حارب فى الحروب النابوليونية وفى آخر أيامه اعتكف لكتابة دراسة كبيرة عنونت ببساطة بـ« فى الحرب » (On War) والتى لم تنشر إلا بعد وفاته بعام .

ولا يمكن تلخيص أفكاره هنا وهى تهتم بالتفاصيل التكنولوجية لعمل ضباط الأركان وهو صاحب تعريف (الحرب) على أنها :

« الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل أخرى » وقد عنى بالحرب مركزا على أن كل الاستراتيجيات والأنشطة العسكرية يجب أن تخضع لتوضيح السياسية والقرار السياسى .

كان يشير العقيدة التى أصبحت مشهورة كثيرا بعد فترة طويلة وتمثلت فى العبارة : « الحرب هامة جدا لتترك للجنرالات » [١] .

* * *

٤٦ - مبادىء الحرب

تتلخص أشهر التعاريف فيما يلى [٢] :

(أ) يعرفها نابليون بأنها : « تلك التى نظمت عمل القادة العظام الذين وصلت إلينا أعمالهم بواسطة التاريخ ، اقرأ وأعد قراءة حملات الاسكندر وهانيبال وقيصر وجوستاف أدولف ونورين وأوجين وفردريك الأكبر ، إن المبادىء التى ينبغى اتباعها فى الحرب الهجومية والدفاعية تنبع تلقائيا من هذه الحملات » .

(ب) ويعرفها كلاوزفيتز بأنها : « إن مبدأ الحرب قانون للعمل والفعل ، ولكن ليس له المعنى الحاسم الذى للقانون وهو يحل محل روح القانون واتجاهه ومعناه العام فى الحالات التى لا يمكن فيها احتواء متنوعات ومتناقضات الواقع الحقيقى (داخل إطار قانون جامد) » .

(ج) تعريف علمى وضعه جونستون وقال فيه : « إن مبدأ الحرب حقيقة أساسية كلية ثابتة لا تتغير ، تنظم المعرفة وتظهر العلاقات بين الحقائق وتوفر مرشدا ثابتا لممارسة فن الحرب » .

---

(1) DAVID ROBERTSON , A Dictionary of Modern Defence and Strategy , EUROPA Publications Limited , p . 68 .

(٢) محمد صلاح الدين كامل ، أسس تحديد وتحديث مبادىء الحرب لدى المدارس العسكرية التقليدية والإسلامية ، وتعيين أنسبها للقوات المسلحة المصرية - دراسة مقارنة ، رسالة مقدمة إلى أكاديمية ناصر العسكرية العليا لنيل درجة الدكتوراه فى فلسفة العلوم العسكرية ، عام ١٩٩٧ ، ص ٨٨٨ - ١٠١٢ .

(د) وهناك تعريف وضعه فوشى يبين أن مبادىء الحرب هى : « قواعد علمية لممارسة فن الحرب ، مثل قواعد علم الصوتيات بالنسبة لممارسة فن الموسيقى وقواعد علم البصريات بالنسبة لممارسة فن الرسم » .

(هـ) ويرى اللواء أ . ح / دكتور محمدصلاح الدين كامل : أن تعريف مبادىء الحرب من وجهة النظر الإسلامية هى :

« إن مبادىء الحرب أحكام تكليفية عملية ملزمة ، تستهدف إيجاد وحفظ ضروريات وحاجيات وتحسينات المكلفين بها ، ودفع الضرر عنهم ووقايتهم من الفشل أو الهزيمة ، وتمكينهم من النجاح أو النصر بغير حرج ولا مشقة » .

* * *

٤٧ - نظرية سياسية

باب أساسى من أبواب علم السياسة ، وهى مجموعة تحليلات وفروض وتصورات للنتائج ، تفسر فى ضوئها الظواهر السياسية ، أى حول هوية الدولة ، نشأتها وتطورها ووظائفها ونظمها وأهدافها .

وترتبط النظرية السياسية بفهم معين للتاريخ والأخلاق والسلوك السياسى كما أنها تضع فى اعتبارها القيم والمبادىء السائدة والتكوين النفسى والتركيب الاجتماعى والتفاعل والصراع السائد فيه لتحديد وسائل النظرية وغايتها [١] .

* * *

٤٨ - نظرية عسكرية

هى مجموعة النظريات التى تحكم الأعمال الحربية والتى تعتبر نتاج خبرة الأفراد وهى مجموعة الأفكار عن الحرب والجيش التى تجمعت خلال سنوات طويلة من حياة الأمة . والاستنتاجات العملية من نظرية عسكرية تتوقف على الأحوال والظروف التاريخية وعلى الآراء السياسية والاقتصادية والنظرية الدولية .

* * *

---

(١) الموسوعة السياسية ، مجلد رقم (١) ، ص ٥٨٧ .



الخـــــاتمة

أولا - النتائج واستخلاصات الدراسة .

ثانيا - التوصيات .

كلمة ختامية .

أولا : النتائج واستخلاصات الدراسة :

١ – إن هدف الصهيونية واضح ودائم ولم يتغير بل ولن يتغير مهما وقَّعت إسرائيل من معاهدات سلام لأنها (إسرائيل) تسعى إلى تحقيق حلمها الكبير (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات يعاونها فى ذلك الاستعمار وأعوانه من الدول الكبرى .

٢ – إن أمتنا العربية تمر بمرحلة الضعف والتمزق والهوان لم يشهد لها التاريخ العربى الإسلامى مثلا من قبل نتيجة لتخليها عن عقيدتها العسكرية الحقة (الإسلامية) واتباعها لعقائد عسكرية باطلة غير صحيحة مستوردة من الشرق ومن الغرب وتخالف الدين الإسلامى الحق .

٣ – إن أشد ما يخشاه اليهود ويخافونه هو الإسلام لأنهم يعلمون أنه الطريق الوحيد لإنقاذ فلسطين وحماية مصر من الخطر الصهيونى .

٤ – إن العقيدة العسكرية الحقة لابد أن تنبع من الشريعة الإسلامية ومصادرها أساسا الكتاب والسنة .

٥ – تتضمن العقيدة العسكرية الإسلامية مجموعة من القيم السامية إذا أحسن غرسها فى نفوس القوة البشرية تشكل منبعا لإرادة القتال وتكون الشعلة التى تضىء قلب المقاتل المؤمن بنور الإيمان الذى يولد فى نفسه قوة ذاتية تحركه إلى الفدائية واسترخاص النفس فى سبيل القضية التى يقاتل من أجلها .

٦ – تتضمن العقيدة العسكرية الحقة توجيهات للقتال وآداب للحرب تجعلها عقيدة عسكرية لا تقهر قادرة على نصرة الحق ورد المعتدى وهى فى نفس الوقت عقيدة عسكرية رحيمة لها أخلاقيات وآداب فى القتال يندر أن يوجد مثلها فى عصرنا الحالى عصر الحرية والديمقراطية كما يدعون .

ثانيا – التوصيات :

لمواجهة إسرائيل وأعوانها وتحطيم حلمها الكبير (إسرائيل الكبرى من

النيل إلى الفرات) ولاستعادة الحق العربى السليب وإعادة العزة والكرامة للشعوب العربية والإسلامية ، أرى الآتى :

١ - ضرورة تنفيذ توصيات المؤتمر العالمى السابع للندوة العالمية للشباب الإسلامى المنعقد فى العاصمة الماليزية (كوالالمبور) التى تنص على الآتى :

« على الحكومات والهيئات والشعوب بتحكيم شرع الله ، وأن يكون الإسلام هو المصدر الوحيد للتشريع وتوجيه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

٢ - ضرورة التمسك بميثاق المؤتمر الإسلامى ، وتنفيذ ما جاء به بكل دقة من قبل جميع أعضاء المؤتمر [١] .

٣ - ضرورة توفير المناخ المناسب للتنشئة الاجتماعية السليمة بالدول العربية والإسلامية على النحو الوارد بالدراسة .

٤ - توحيد العقيدة العسكرية بالدول العربية والإسلامية ، على أن تكون العقيدة العسكرية الإسلامية هى الأساس .

٥ - إعداد القوة بالدول العربية والإسلامية على النحو الوارد بالدراسة .

٦ - دراسة التكامل الاستراتيجى والعسكرى والتصنيع الحربى بين الدول الأعضاء فى المؤتمر الإسلامى مع التفكير جديًا فى إنشاء منصب أمين عام مساعد للشئون العسكرية (ويوجد مثل هذا المنصب فى أغلب المنظمات الدولية المشابهة) .

٧ - أهمية إنشاء برلمان إسلامى يعبر عن رأى الشعوب الإسلامية ويضع

---

(١) ميثاق المؤتمر الإسلامى ، موضح بالملحق (ب) المرفق ، والدول الأعضاء فى المنظمة ملحق (جـ) .

التشريعات والقوانين الملزمة لكافة الشعوب الإسلامية لجميع مجالات التعاون الدولى .

٨ – ضرورة وضع سياسة إعلامية موحدة مشتركة يشترك فيها الدول ذات الإمكانات الفنية والمادية وذلك لمواجهة التحديات والتهديدات الموجهة من إسرائيل وأعوانها من دول الغرب ودول الشرق وكذلك للقيام بدور إعلامى نشط على المستوى العالمى لتوضيح وتبنى وجهات النظر والمواقف الخاصة بالقضايا الإسلامية .

٩ – زيادة التعاون بين الدول الإسلامية فى المجال العسكرى فى نواحى التدريب المشترك وتبادل الخبرات والخبراء والتأهيل .

١٠ – الدعوة لتكوين قوة إسلامية رادعة للتهديدات والتحديات للأمن القومى الإسلامى .

وأخيرا إن علينا جميعا (أفرادًا وجماعات ، شعوبًا وحكومات) أن نعمل لأمتنا الإسلامية العمل الصالح الطيب مؤمنين بالله الإيمان الحق الصادق وما أصدق قول الشاعر حين قال :

يا أمتى وجب الكفاح ... فدعى التشدق والصياح
ودعى التقاعس ليس بنصر ... من تقاعس واستراح
ما عاد يجدينا البكاء ... على الطلول أو النواح
الكفر جمع شمله ... فلم النزاع والانتطاح
يا ألف مليون واينهم ... إذا دعت الجراح
هاتوا من المليار مليونا ... صحاحا من صحاح
لا يصنع الأبطال إلا ... فى مساجدنا الفساح
شعب بغير عقيدة ... ورق تذريه الرياح
من خان (حى على الصلاة) ... يخون (حى على الفلاح)
إن الأمل الصادق قوى ... والصباح المشرق قريب بإذن الله

ولكن الامر ليس بهذه السهولة التى تنطلق بها الأمانى أو تكتب بها الكلمات والطريق أمام المسلمين ليس مفروشا بالزهور والورود وإنما هو مفروش بالأشواك مخضب بالدماء غاص بالشهداء .. وصدق الله العظيم :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِلَنهمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ﴾[النور:٥٥] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[الحج : ٤٠ ، ٤١] .

وختاما أدعو الله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، أدعوه سبحانه وتعالى بالدعاء القرآنى :

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾[البقرة : ٢٨٦] .

* * *

ملحق (ب)

ميثاق المؤتمر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

ميثاق المؤتمر الإسلامى

إن ممثلى :

مملكة أفغانستان ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، البحرين ، جمهورية تشاد ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية الغينية ، الجمهورية الأندونيسية ، إيران ، المملكة الأردنية الهاشمية ، دولة الكويت ، الجمهورية اللبنانية ، الجمهورية العربية الليبية ، ماليزيا ، جمهورية مالى ، الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، المملكة المغربية ، جمهورية النيجر ، سلطنة عمان ، الجمهورية الإسلامية الباكستانية ، دولة قطر ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السنغال ، جمهورية سيراليون ، الجمهورية الصومالية الديمقراطية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية التونسية ، الجمهورية التركية ، الجمهورية العربية اليمنية .

المجتمعين فى جدة من ١٤ إلى ١٨ محرم ١٣٩٢ هـ الموافق ٢٩ فبراير إلى ٤ مارس ١٩٧٢ م .

إذ يشيرون إلى مؤتمر ملوك ورؤساء دول وحكومات البلدان الإسلامية المنعقد فى الرباط فى الفترة ما بين ٩ — ١٢ رجب عام ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٢ إلى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩ م .

وهم مقتنعون بأن عقيدتهم المشتركة تشكل عاملا قويًا لتقارب الشعوب الإسلامية وتضامنها .

وإذ يقررون الحفاظ على القيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية الموجودة فى الإسلام والتى تظل عاملا من العوامل الهامة لتحقيق التقدم بين أبناء البشر .

ويعبرون عن التأكيد بتقيدهم بميثاق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان الأساسية التى تعتبر أغراضها ومبادؤها أساسا لتعاون مثمر بين جميع الشعوب .

ويسعون على توثيق أواصر الصداقة الأخوية والروحية القائمة بين شعوبها وحماية حريتها وتراث حضارتها المشترك المبنية خاصة على مبادئ العدل والتسامح وعدم التمييز .

ويعملون على تعزيز السعادة البشرية وتقدمها وحريتها فى كل مكان .

ويقررون توحيد جهودهم لإقامة سلام عالمى يوفر الأمن والحرية والعدالة لشعوبهم وجميع شعوب العالم .

فقد وافقوا على ميثاق المؤتمر الإسلامى الآتى :

(المادة الأولى)

تؤسس الدول الأعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى .

(المادة الثانية)

الأهداف والمبادئ

(أ) الأهداف :

تتمثل أهداف المؤتمر الإسلامى فيما يلى :

١ - تعزيز التضامن الإسلامى بين الدول الأعضاء .

٢ - دعم التعاون بين الدول الأعضاء فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وفى المجالات الحيوية الأخرى ، والتشاور بين الدول الأعضاء فى المنظمات الدولية .

٣ - العمل على محو التفرقة العنصرية ، والقضاء على الاستعمار فى جميع أشكاله .

٤ - اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل .

٥ – تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها ودعم كفاح الشعب الفلسطينى ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه ٠

٦ – دعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية فى سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية ٠

٧ – إيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى ٠

(ب) المبادئ :

تقرر الدول الأعضاء وتتقيد بأنها فى سبيل تحقيق أهداف الميثاق تستوحى المبادئ التالية :

١ – المساواة التامة بين الدول الأعضاء ٠

٢ – احترام حق تقرير المصير وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأعضاء ٠

٣ – احترام سيادة واستقلال ووحدة أراضى كل دولة عضو ٠

٤ – حل ما قد ينشأ من منازعات فيما بينها بحلول سلمية كالمفاوضة أو الوساطة أو التوفيق أو التحكيم ٠

٥ – امتناع الدول الأعضاء فى علاقاتها عن استخدام القوة أو التهديد باستعمالها ضد وحدة وسلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة عضو ٠

(المادة الثالثة)

هيئات المؤتمر الإسلامى

١ – مؤتمر الملوك ورؤساء الدول والحكومات ٠

٢ – مؤتمر وزراء الخارجية ٠

٣ – الأمانة العامة والمؤسسات التابعة لها ٠

(المادة الرابعة)

مؤتمر الملوك والرؤساء (*)

إن مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات هو الجهاز الأعلى للمنظمة يجتمع حينما تقتضى مصلحة الأمة الإسلامية ذلك للنظر فى القضايا العليا التى تهم العالم الإسلامى وتنسيق سياسة المنظمة تبعا لذلك .

(المادة الخامسة)

مؤتمر وزراء الخارجية

١ - (أ) يعقد المؤتمر الإسلامى على مستوى وزراء الخارجية أو الممثلين المعتمدين ويجتمع مرة كل سنة أو عند الاقتضاء فى أى بلد من بلدان الدول الأعضاء .

(ب) يطلب من أية دولة من الدول الأعضاء أو ممثلى الأمين العام وبموافقة ثلثى عدد الدول الأعضاء بعقد المؤتمر فى اجتماع غير عادى ويمكن الحصول على هذه الموافقة بتعميم الطلب على جميع الدول الأعضاء .

(جـ) يحق لمؤتمر وزراء الخارجية التوصية بعقد مؤتمر لملوك ورؤساء الدول أو رؤساء الحكومات ويمكن الحصول على الموافقة لعقد هذا المؤتمر بتعميم الرغبة فى ذلك على جميع الدول الأعضاء .

٢ - يعقد مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى للمهام التالية :

(أ) النظر فى وسائل تنفيذ السياسة العامة للمؤتمر .

(ب) مراجعة ما أنجز من قرارات الدورات السابقة .

(جـ) اتخاذ قرارات فى الأمور ذات المصالح المشتركة وفقا لأهداف وأغراض المؤتمر الواردة فى هذا الميثاق .

(*) قرر مؤتمر القمة الإسلامى الثالث المنعقد بمكة المكرمة والطائف فى يناير ١٩٨١ أن تصبح اجتماعات مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات دورية مرة كل ثلاث سنوات .

(د) مناقشة تقرير اللجنة المالية والمصادقة على موازنة الأمانة العامة ٠

(هـ) ١ - يعين المؤتمر الأمين العام ٠

٢ - يقوم المؤتمر بتعيين الأمناء المساعدين الثلاثة (*) بناء على ترشيح الأمين العام ٠

٣ - يراعى الأمين العام فى ترشيحه للأمناء المساعدين توفر الكفاءة والنزاهة والإيمان بأهداف الميثاق والتوزيع الجغرافى العادل ٠

(و) تحديد موعد ومكان دورة المؤتمر التالى لوزراء الخارجية ٠

(ز) دراسة أية قضية تؤثر على دولة أو أكثر من الدول الأعضاء فى حالة طلب ذلك لاتخاذ الإجراءات المناسبة بشأنها ٠

٣ - يتم اتخاذ القرارات أو التوصيات لمؤتمر وزراء الخارجية بأغلبية الثلثين ٠

٤ - يمثل ثلثا عدد الدول الأعضاء النصاب القانونى فى أية دورة من جلسات مؤتمر وزراء الخارجية ٠

٥ - يقرر مؤتمر وزراء الخارجية قواعد الإجراءات التى يتبعها والتى يمكن اتباعها فى مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات وينتخب رئيسا لكل دورة ٠ كما تطبق تلك القواعد فى الأجهزة الفرعية التى ينشئها مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات أو مؤتمر وزراء الخارجية ٠

(المادة السادسة)

الأمانة العامة

١ - يرأس الأمانة العامة أمين عام يعين من قبل المؤتمر لمدة سنتين اعتبارا من تاريخ تعيينه ويجوز إعادة تعيينه لمدة سنتين أخريين فقط ٠

(*) قرر مؤتمر القمة الإسلامى الثالث المنعقد بمكة المكرمة والطائف فى يناير ١٩٨١ أن يصبح عدد الأمناء العامين المساعدين أربعة عوضاً عن ثلاثة ، كما قرر أن تصبح مدة نيابة الأمين العام أربع سنوات عوضاً عن سنتين ٠

٢ – يعين الأمين العام موظفى الأمانة من مواطنى الدول الأعضاء أخذاً بعين الاعتبار توفر الكفاءة والنزاهة فيهم ومراعياً لمبدأ التوزيع الجغرافى العادل .

٣ – لا يجوز للأمين العام ولا للأمناء المساعدين ولا لموظفى الأمانة العامة أن يطلبوا أو يتلقوا فيما يتعلق بأداء واجباتهم أية تعليمات من أية حكومة أو أية سلطة خارج نطاق المؤتمر وعليهم أن يمتنعوا عن القيام بأى تصرف قد يسئ إلى مراكزهم بصفتهم موظفين دوليين مسئولين أمام المؤتمر وحده وتتعهد الدول الأعضاء باحترام هذه الصفة فيهم وطبيعة مسئولياتهم والامتناع عن التأثير عليهم باى وسيلة عند قيامهم بمسئولياتهم .

٤ – تقوم الأمانة العامة بتأمين الاتصال بين الدول الأعضاء وتقوم بتقديم التسهيلات للتشاور وتبادل الآراء ونشر المعلومات ذات الأهمية المشتركة بين هذه الدول .

٥ – يكون مقر الأمانة فى جدة إلى أن يتم تحرير القدس لتصبح مقراً دائماً لها .

٦ – على الأمانة العامة إعداد قرارات وتوصيات المؤتمر وتقديم تقرير عن ذلك إليه وعليها أن تقدم للدول الأعضاء مباشرة أوراق العمل والمذكرات بالوسائل الملائمة فى نطاق التوصيات وقرارات المؤتمر .

٧ – على الأمانة العامة إعداد اجتماعات المؤتمر وذلك بالتعاون الوثيق مع الدولة المضيفة بشأن النواحى الإدارية والتنظيمية .

٨ – على ضوء اتفاقية الحصانات والامتيازات التى يقرها المؤتمر العام :

(أ) يتمتع المؤتمر فى بلاد الدول الأعضاء بالأهلية القانونية والحصانات والامتيازات اللازمة لقيامه بوظائفه وتحقيق أهدافه .

(ب) يتمتع مندوبو الدول الأعضاء بالحصانات والامتيازات اللازمة للاضطلاع بمهام أعمالهم المتعلقة بالمؤتمر .

(جـ) يتمتع موظفو المؤتمر بالحصانات والامتيازات اللازمة لقيامهم بوظائفهم حسب ما يقره المؤتمر .

(المادة السابعة)

المالية

١ - إن جميع المصاريف التى تم إنفاقها فى سبيل إدارة أعمال الأمانة ونشاطاتها تتحملها الدول الأعضاء حسب الدخل القومى ٠

٢ - تدبر الأمانة شئونها المالية طبقا للأنظمة واللوائح التى يوافق عليها مؤتمر وزراء الخارجية ٠

٣ - تشكل لجنة مالية دائمة من قبل المؤتمر مكونة من الممثلين المعتمدين للدول المشتركة وتجتمع بمقر الأمانة العامة وتقوم هذه اللجنة بمساعدة الأمين العام بإعداد ومراقبة ميزانية الأمانة العامة طبقا للوائح التى يوافق عليها مؤتمر وزراء الخارجية ٠

(المادة الثامنة)

العضوية

تتكون منظمة المؤتمر الإسلامى من الدول المشتركة فى مؤتمر ملوك ورؤساء الدول والحكومات الإسلامى بالرباط والدول المشتركة فى مؤتمر وزراء الخارجية فى جدة وكراتشى والموقعة على هذا الميثاق ، ويحق لكل دولة إسلامية أن تنضم إلى المؤتمر الإسلامى بطلب يتضمن رغبتها واستعدادها لتبنى هذا الميثاق ويودع لدى الأمانة العامة لعرضه على مؤتمر وزراء الخارجية فى أول اجتماع له بعد تقديم الطلب ويتم الانضمام بموافقة المؤتمر عليه بأغلبية ثلثى الأعضاء ٠

(المادة التاسعة)

تعمل الأمانة العامة فى إطار الميثاق الحالى وبموافقة المؤتمر على توثيق علاقات المؤتمر الإسلامى بالهيئات الإسلامية ذات الصفة العالمية وتحقيق التعاون لخدمة الأهداف الإسلامية التى أقرها هذا الميثاق ٠

(المادة العاشرة)

١ - يجوز لأى دولة من الدول الأعضاء أن تنسحب من المؤتمر الإسلامى إشعار خطى للأمين العام وتبلغ جميع الدول الأعضاء بذلك ٠

٢ – تؤدى الدولة التى تطلب الانسحاب واجباتها المالية حتى نهاية السنة المالية المقدم خلالها طلب الانسحاب ، كما تؤدى للمؤتمر ما قد يكون عليها من ذمم مالية أخرى إزائه .

(المادة الحادية عشرة)

يتم تعديل هذا الميثاق بناء على موافقة وتصديق ثلثى عدد الدول الأعضاء .

(المادة الثانية عشرة)

أى خلاف قد ينجم بشأن تفسير أو تطبيق أو تنفيذ أية مادة من مواد هذا الميثاق يسوى وديًّا وفى جميع الحالات عن طريق المشاورات أو المفاوضات أو التوفيق أو التحكيم .

(المادة الثالثة عشرة)

إن لغات المؤتمر هى : العربية ، الإنجليزية ، الفرنسية .

(المادة الرابعة عشرة)

تتم المصادقة أو الموافقة على هذا الميثاق من قبل الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى وذلك طبقا لأنظمتها الخاصة[١] .

ويصبح هذا الميثاق نافذ المفعول بعد إيداع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة من قبل الأغلبية البسيطة للدول المشتركة فى مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى الثالث المنعقد فى جدة فى الفترة من ١٤ إلى ١٨ محرم ١٣٩٢ هـ الموافق ٢٩ إلى ٤ مارس ١٩٨٢ م .

* * *

---

(١) تم تسجيل الميثاق بهيئة الأمم المتحدة طبقا للمادة ١٠٢ من ميثاق الهيئة بتاريخ أول فبراير ١٩٧٤ .



ملحق (جـ)

الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى
وتاريخ انضمامها

الدول الأعضاء
فى منظمة المؤتمر الإسلامى وتاريخ انضمامها(*)

الدولة	سنة الانضمام	الدولة	سنة الانضمام
١ – المملكة الأردنية الهاشمية	١٩٦٩	١٨ – ليبيا	١٩٦٩
٢ – أفغانستان	١٩٦٩	١٩ – مالى	١٩٦٩
٣ – أندونيسيا	١٩٦٩	٢٠ – ماليزيا	١٩٦٩
٤ – إيران	١٩٦٩	٢١ – مصر	١٩٦٩
٥ – باكستان	١٩٦٩	٢٢ – موريتانيا	١٩٦٩
٦ – تركيا	١٩٦٩	٢٣ – النيجر	١٩٦٩
٧ – تشاد	١٩٦٩	٢٤ – اليمن الجنوبى	١٩٦٩
٨ – تونس	١٩٦٩	٢٥ – اليمن الشمالى	١٩٦٩
٩ – الجزائر	١٩٦٩	٢٦ – الإمارات العربية المتحدة	١٩٧٠
١٠ – السعودية	١٩٦٩	٢٧ – البحرين	١٩٧٠
١١ – السنغال	١٩٦٩	٢٨ – سلطنة عمان	١٩٧٠
١٢ – السودان	١٩٦٩	٢٩ – قطر	١٩٧٠
١٣ – الصومال	١٩٦٩	٣٠ – سوريا	١٩٧٠
١٤ – غينيا	١٩٦٩	٣١ – أوغندا	١٩٧٤
١٥ – منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٦٩	٣٢ – بنجالاديش	١٩٧٤
١٦ – الكويت	١٩٦٩	٣٣ – الجابون	١٩٧٤
١٧ – لبنان	١٩٦٩	٣٥ – غينيا بيساو	١٩٧٤

(*) المصدر : عبد الله الأشعل – أصول التنظيم الإسلامى الدولى - دار النهضة العربية ، سنة ١٩٨٨ .

٣٦ – الكاميرون	١٩٧٥	٤١ – مالديف	١٩٧٦
٣٧ – بوركينا فاسو	١٩٧٥	٤٢ – جيبوتى	١٩٧٨
٣٨ – سيراليون	١٩٧٥	٤٣ – بنين	١٩٨٢
٣٩ – جزر القمر	١٩٧٦	٤٤ – دارالسلام	١٩٨٤
٤٠ – العراق	١٩٧٦	٤٥ – نيجيريا	١٩٨٦

المراجع

أولا – المراجع العربية :

١ – الوثائق :

– القرآن الكريم .

– الإنجيل .

– التوراة .

– ميثاق المؤتمر الإسلامى

٢ – رسائل الدكتوراة :

محمد صلاح الدين كامل : أسس تحديد وتحديث مبادىء الحرب لدى المدارس العسكرية التقليدية والإسلامية وتعيين أنسبها للقوات المسلحة المصرية ، دراسة مقارنة ، رسالة مقدمة إلى أكاديمية ناصر العسكرية العليا لنيل درجة الدكتوراة فى فلسفة العلوم العسكرية عام ١٩٩٧ .

٣ – الكتب :

إبراهيم يحيى الشهابى : مفهوم الحرب فى الإسلام (صراعات وحروب أم تفاعل وسلام ؟) ، الجماهيرية الليبية ، طرابلس .

أبو بكر جابر الجزائرى : عقيدة المؤمن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع طبعة ثانية ، ١٩٧٨ .

أبى محمد عبد الملك بن هشام : سيرة النبى ﷺ لابن هشام ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

أبو الأعلى المودودى : شريعة الإسلام فى الجهاد والعلاقات الدولية ، ترجمة د . سمير عبد الحميد ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م .

أحمد بدر : أصول البحث العلمى ومناهجه ، (وكالة المطبوعات ، الكويت ، توزيع مكتبة غريب ، القاهرة .

أحمد بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، الجزء الأول ، كتاب التيمم ، دار التراث للريان ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

أحمد حسن الباقورى : معالم الشريعة .

أحمد شوقى الحفنى : الأمن القومى والاستراتيجية القومية (الأسس والمفاهيم) ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٨٤ .

إسماعيل بن الخطيب أبى حفص عمر بن كثير : تفسير ابن كثير ، الجزء الثانى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

السيد سابق :

– فقه السنة ، الجزء الثالث ، السلم والحرب – المعاملات ، مكتبة المسلم .

– فقه السنة ، كتاب الجهاد .

– العقائد الإسلامية ، توزيع الفتح الإعلامى العربى ، القاهرة .

بدر الدين أبو بكر سليمان : الاعتناء فى الفرق والاستثناء ، الجزء الأول .

سعاد إبراهيم صالح : مختارات من قواعد الفقه الكلية .

عبد الحليم محمود : إرادة القتال والجهاد فى سبيل الله ، كتاب الجمهورية الدينى .

عبد الله الأشعل : أصول التنظيم الإسلامى الدولى ، دار النهضة العربية عام ١٩٨٨ .

عبد الله عطوى : الدولة والمشكلات الدولية دراسة فى الجغرافية السياسية ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، لبنان ، ١٩٩٤ .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز : فضل الجهاد والمجاهدين وموقف اليهود من الإسلام ، المملكة العربية السعودية ، وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة ، إدارة الشئون الدينية ، قسم التوعية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٤ هـ .

عبد الوهاب الكيلانى : - الموسوعة السياسية ، المجلد الأول ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ ٠

- الموسوعة السياسية ، المجلد الثانى ٠

- الموسوعة السياسية ، المجلد الثالث ٠

- الموسوعة العسكرية ، المجلد الأول ٠

- الموسوعة العسكرية ، المجلد الثانى ٠

- الموسوعة العسكرية ، المجلد الرابع ٠

عفيفى عبد الفتاح طباره : روح الدين الإسلامى ٠

على عبد الله الجباوى : الجغرافية السياسية ، مطبعة كلية الآداب - جامعة دمشق ، ١٩٨٩ - ١٩٩٠ ٠

ليلى شحاته : دراسات فى العلوم السلوكية ، مكتب الصافى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٢ ٠

محمد بن أبى بكر عبد القادرالرازى : مختار الصحاح ، دار الحديث ٠

محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية فى الإسلام ٠

محمد حسين هيكل : حياة محمد ، دار المعارف بمصر ، الطبعة العاشرة ٠

محمود شيت خطاب : - الرسول القائد ، دار العلم ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٤ ٠

- إرادة القتال والجهاد فى سبيل الله ، كتاب الجمهورية الدينى ٠

وزارة الحربية : عقيدتنا الدينية طريقنا إلى النصر ، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ، ١٩٧٢ ٠

٤ - الدوريات :

حسن عبد الغنى أبو غدة : أسرى الحرب فى الإسلام ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٢٠٣ ، سبتمبر ١٩٨١ ٠

حسين طنطاوى : وزير الدفاع لجمهورية مصر العربية ، كلمة بمناسبة الاحتفال بأعياد أكتوبر ، الأهرام ، أكتوبر ١٩٩٦ .

حمزة دعبس : كلمة النور ، جريدة النور ، ٢٣ / ٣ / ١٩٩٢ .

زكريا محمد الخطيب : نظام الشورى فى الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة ، مجلة الأزهر ، عرض وتقديم أحمد محمد الخواص ، يونية ١٩٨٧ .

سعد بن ناصر الغامدى : فى العقيدة ، المسلمون ، العدد (٤٧٧) ، ٢٥ مارس ١٩٩٤ .

عبد الرازق رجب : تطور أبحاث الذكاء الصناعى ، مجلة التكنولوجيا والتسليح ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ، إبريل ١٩٨٩ .

عبد المطلب صلاح : الصحابى حنظلة بن أبى عامر ودور الفدائيين فى الإسلام ، منبر الإسلام ، العدد (٩) ، السنة ٤٠ ، يوليو ١٩٨٣ .

محمد جمال الدين محفوظ : دعوة الأمة الإسلامية لتدريس العسكرية الإسلامية فى معاهدها ، مجلة الأزهر ، مارس – إبريل ١٩٨٦ .

محمد رضا فوده : الأسلوب العلمى الحديث لبناء القوات المسلحة ، مجلة الحرس الوطنى السعودى ، العدد التسعون ، مارس ١٩٩٠ .

محمد سيد طنطاوى : منزلة الشهيد فى الإسلام ، مجـلة المجاهد ، العدد (١٠٠) ، مارس ١٩٨٩ .

محمد محمود متولى : الجهاد وكرامة الأمة الإسلامية ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد (٣٢٦) ، إبريل ١٩٩٣ .

محمود شيت خطاب : عقيدتنا العسكرية الإسلامية غائبة فى حروبنا ، مجلة الحرس الوطنى ، مايو ١٩٩٠ .

مصطفى جودت العباسى : العقيدة العسكرية للدولة (دولة ما) ، مجلة الدفاع ، العدد الثانى عشر ، مايو ١٩٨٧ .

ثانيا - المراجع الأجنبية :

1 - DAVID A . BERTSON , A Dictionary of Modern Defence and Strategy , Europa Publications Limited , 1987 .

2 - Free man , T . W , A Hundred years of Geography .. Duk Worth , London , 1961 .

3 - Gregory D . Foster et al . The strategic dimension of Military Man Power , Center For Strategic and International Studies U. S. A . 1987 .

4 - Jeans , Sir James Hopwood , The Mysterious Universe , The Macmillan Co , New york , 1991 .

5 - Micheel Howard , The Forgotten Dimension of Strategy, , Foreign Affairs (Summer 1979) .

6 - Rays Cline , World Power Trends and U . S . Foreign Policy for 1980 ' s West View Press .

7 - Short Oxford English Dictionary , 1981 .

8 - Webster's New Twentieth Century Dictionary of English Language , 1960 .

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الفصل الخامس : إعداد قوة الدولة للجهاد

الفصل السادس : العقائد العسكرية (دراسة تحليلية)

فهرس الملاحق

فهرس الملحق (أ)

رقم الايداع : ٧١٠٠ / ٩٨
الترقيم الدولى: I.S.B.N
977 - 225 - 118 - 3